

سَائِلُكَ

فِي مَا لَهِيَ فَكَّرِيَّةٌ مَعِصِلَةٌ

تأليف
د. محمد بن إبراهيم أحمد

بِكَلَامِ خَيْرِ مَنَسْتَنَا

رَسَائِلُكَ

فِي مَذَاهِبِ الْكَلْبِيِّ مَعَ صَلَاتِهِ

ح محمد بن إبراهيم الحمد ، ١٤٣٥ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية اثناء النشر

الحمد، محمد إبراهيم أحمد

رسائل في مذاهب فكرية معاصرة. / محمد بن إبراهيم الحمد -

الرياض، ١٤٣٥ هـ

٣١٨ ص ، ١٧ X ٢٤ سم

ردمك ٥-٥٧٠٧-٠١-٦٠٣-٩٧٨

١- الإسلام - مبادئ عامة ٢- الإسلام والمذاهب السياسية

أ- العنوان

١٤٣٥/٦٥٨١

ديوي ٢١٩،٩

رقم الإيداع: ١٤٣٥/٦٥٨١

ردمك: ٥-٥٧٠٧-٠١-٦٠٣-٩٧٨

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م

دار ابن خزيمة

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض

المنزل - شارع الاحساء - غرب حديقة الحيوان

هاتف: ٤٧٣٠٧٨٨ - ٤٧٦٩٩٣٢ - فاكس: ٤٧٦٠٧٩٥



المقدِّمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد:

فهذه رسائل في بعض المذاهب الفكرية المعاصرة؛ حيث يسر الله إعدادها إبان تدريسي لمادة المذاهب في كليات الشريعة، وأصول الدين، والدراسات الإسلامية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ثم في جامعة القصيم؛ إذ كنت أستعين بها على إلقاء المحاضرات في تلك المادة.

وبعض هذه الرسائل كتب قديماً قبل ما يزيد على عشرين سنة، وبعضها كتب بعد ذلك.

وهي تختلف من جهة طولها، وقصرها، وطريقة إعدادها؛ فبعضها يشتمل على شيء من التفصيل، وبعضها أشبه برؤوس الأقلام، وبعضها جاء معزواً إلى مظانه، وبعضها جاء غُفلاً من ذلك؛ لأن التأليف لم يكن مقصوداً في الأصل.

وقد جاءت لغة هذه الرسائل قريبة إلى حد كبير؛ كي تناسب مدارك الطلاب، ولأجل أن تُخَفَّف من عنف المصطلحات الغريبة، أو الجديدة.

ثم إن هناك تشابهاً وتشابكاً، وقواسمَ مشتركةً بين هذه المذاهب؛ من حيث أسباب قيامها، وأهدافها، وأساليبها، ونحو ذلك.

وقد خرج بعضها مفرداً، وخرج بعضها ضمن كتاب (رسائل في الأديان والفرق والمذاهب) وبعضها لم يخرج قبل ذلك.

وبعد إعادة النظر فيها رغبت في إفراد هذه المذاهب في كتاب خاص؛ رجاء عموم النفع؛ فجاء هذا المجموع الذي احتوى على الرسائل التالية:

١- العلمانية

٢- الشيوعية

٣- الوجودية

٤- نبذة في الديمقراطية، والإنسانية، والليبرالية، والبراجماتية، والعولمة.
فإلى بيان ذلك؛ والله المستعان، وعليه التكلان.

د. مُحَمَّدُ بْنُ الرَّهَيْمِ الْجَمَدِ

الزلفي : ص.ب : ٤٦٠

١٤٣٥/٢/٢٨ هـ

جامعة القصيم - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية -

قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

WWW.TOISLAM.NET

ALHAMAD@TOISLAM.NET

@M_ALHAMAD

الرسالة الأولى

العلمانية

مقدمة في نشأتها، وبداية ظهورها

في العالم الإسلامي

العلمانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن
وآله ، أما بعد :

فإن العلمانية إحدى القضايا الكبرى التي برزت في الساحة الأوربية ، ثم في
الساحة الإسلامية والعربية .

وقد تناولها العلماء ، والمفكرون بالدارسة والتحليل ، والنقد .
وتطرقوا لها من زوايا عدة ، فتعرضوا لمفهومها ، وتعريفها ، ومدلولها ، ونشأتها ،
وأسبابها ، وتطورها ، وآثارها .

والكتب المؤلفة ، والرسائل العلمية في شأنها لا تكاد تحصى كثرة ، وما بين الفينة
والأخرى تخرج المؤلفات في العلمانية^(١) .

وفيما يلي نبذة يسيرة عن العلمانية؛ إذ المقام ليس مقام تفصيل ، وإنما هو
تعريف عام بها ، وسيدور الحديث ههنا حول نشأة العلمانية ، وبداية دخولها
بلاد الإسلام ، وسيتركز بصورة أجلى حول مواقف العلماء من العلمانية في ذلك
الحين؛ لأن تلك المواقف شبه مجهولة عند كثير من الناس ، وإنما يدور حول
الحديث عن العلمانية - في الغالب - في قضايا أخرى .

وعلى كل حال فإن مدار الحديث في هذه الرسالة المختصرة سيكون حول

١ - انظر على سبيل المثال: العلمانية وموقف الإسلام منها، عزت عبدالمجيد أبو بركة، والعلمانية
د. سفر الحوالي، وهو من أحسن ما كتب في بابه، وجذور العلمانية د. أحمد فرج، والعلمانيون والقرآن
صلاح يعقوب عبدالله، والعلمانية تحت المجهر د. عبدالوهاب المسيري، والعلمنة في المجتمعات العربية
والإسلامية الحديثة د. عبدالمجيد الشرفي، والعلمانيون والقرآن الكريم - تاريخية النص - د. أحمد الطعان وغيرها
كثير جداً.

المباحث التالية:

مدخل: في مفهوم العلمانية، وأسباب قيامها

المبحث الأول: بداية ظهور العلمانية في بلاد الإسلام

وتحتة: تمهيد، وأربعة مطالب:

المطلب الأول: ظهور كتاب (الإسلام وأصول الحكم)

المطلب الثاني: تطابقه مع كتاب (الإسلام وسلطة الأمة)

المطلب الثالث: المعارضة لكتاب (الإسلام وأصول الحكم)

المطلب الرابع: محاكمة علي عبدالرازق في الأزهر

المبحث الثاني: إشكالات في نسبة كتاب (الإسلام وأصول الحكم) لمؤلفه،

وقناعته به

المبحث الثالث: إشكالات منهجية في كتاب (الإسلام وأصول الحكم)

المبحث الرابع: مواجهة العلماء للعلمانية - الشيخ محمد الخضر حسين نموذجاً -

وتحتة: تمهيد، ومطلبان:

تمهيد:

المطلب الأول: إثباته صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان

المطلب الثاني: مواجهته للعلمانية

فإلى تفصيل ذلك، والله المستعان، وعليه التكلان.

مدخل: في مفهوم العلمانية، وأسباب قيامها

أولاً: مفهوم العلمانية: لفظ العلمانية ترجمة خاطئة لكلمة (secularism) في الإنجليزية، أو (secularite) في الفرنسية، وهي ترجمة مضللة؛ لأنها توحي بأن لها صلة بالعلم بينما هي في لغاتها الأصلية لاصلة لها بالعلم، بل المقصود بها في تلك اللغات هو إقامة الحياة بعيداً عن الدين.

والترجمة الصحيحة للكلمة الأوربية السابقة هي: اللادينية.

وبناءً على ذلك فإن التعريف الصحيح للعلمانية أن يُقال: هي حركة تدعو إلى الفصل بين الدين والحياة، وتهدف إلى صرف الناس عن الاهتمام بالآخرة، وتوجيههم إلى الدنيا فحسب^(١).

فهذا هو معنى العلمانية في أيسر تعريفاتها، وهناك كلام طويل حول تعريفها، وضبطها، وهل يقال: العلمانية بالكسر، أو العلمانية بالفتح، وتوجيه ذلك، وما جرى مجراه^(٢).

أما أسباب قيامها فهي -تقريباً- هي أسباب قيام كثير من النظريات والمذاهب الفكرية، وسيأتي ذكر لشيء من ذلك في الفقرة التالية.

ثم إن للعلمانية صوراً، وأجلاها صورتان:

١- صورة متطرفة: وهي التي لا تكتفي بعزل الدين عن الدنيا، بل تحارب الدين جملة؛ فتنكر وجود الله، وتحارب الأديان، وتكفر بالغيب.

٢- صورة معتدلة: وهي التي تكتفي بعزل الدين عن الدنيا، دون أن تُنكر

١ - انظر العلمانية نشأتها، وتطورها، وآثارها في الحياة الإسلامية د. سفر الحوالي ص ٢١-٢٤.

٢ - انظر المرجع السابق، والعلمانيون والقرآن الكريم د. أحمد الطعان.

وجود الله ، أو تحارب الدين.

بل إنها تسمح بإقامة بعض الشعائر والعبادات بشرط أن تقتصر على علاقة العبد بربه دون أن يكون للدين علاقة في شؤون الحياة الأخرى^(١).

ثانياً: أسباب قيام العلمانية: قامت العلمانية أول ما قامت في أوروبا وذلك لأسباب عديدة منها:

١- الطغيان الكنسي: فالكنيسة طغت، وتجبرت، وأصبحت تفرض على الناس العقائد الباطلة التي لا تتفق مع نقل ولا عقل، كعقيدة العشاء الرباني، وعقيدة التثليث، وعقيدة الخطيئة الموروثة، والصلب والفداء.

كما أنها أصبحت تُحرّم، وتحلل، حسب ما يتفق وأهواء رجال الدين. وعززت الكنيسة سلطتها الدينية الطاغية بادعاء حقوق لا يملكها إلا الله مثل حق الغفران، وحق الحرمان، وحق التحلة.

ولم تتردد الكنيسة في استعمال هذه الحقوق واستغلالها، فحق الغفران أدى إلى المهزلة التاريخية صكوك الغفران السالفة الذكر.

وحق الحرمان عقوبة معنوية بالغة كانت شجراً مخيفاً للأفراد والشعوب في آن واحد؛ فأما الذين تعرضوا له من الأفراد فلا حصر لهم، منهم الملوك أمثال: فردريك، وهنري الرابع الألماني، وهنري الثاني الإنجليزي، ورجال الدين المخالفين مثل: أريوس حتى لوثر، والعلماء والباحثون المخالفون لآراء الكنيسة

١ - انظر تحطيم الصنم العلماني جولة جديدة في معركة النظام السياسي في الإسلام، للشيخ محمد ابن شاكر الشريف، ص ٢٥، والعلمانية وتطبيقاتها في الإسلام، إيمان ببعض الكتاب وكفر ببعض الآخر د. محمد البهي، ص ٦٣، ومجالات انتشار العلمانية وأثرها في المجتمع الإسلامي د. محمد زين الهادي، ص ٩-٦٧.

من برونو إلى آرنست رينان وأضرابه.

أما الحرمان الجماعي فقد تعرض له البريطانيون عندما حصل خلاف بين الملك يوحنا ملك الانجليز، وبين البابا، فحرمه البابا وحرم أمته، فعطلت الكنائس من الصلاة، ومنعت عقود الزواج، وحملت الجثث إلى القبور بلا صلاة، وعاش الناس حالة من الهيجان، والاضطراب، حتى عاد يوحنا صاغراً يقر بخطيئته، ويطلب الغفران من البابا.

ولما رأى البابا ذلك، وصدق توبته رفع الحرمان عنه وعن أمته.
أما التُّحَلَّة؛ فهو حق خاص يبيح للكنيسة أن تخرج عن تعاليم الدين، وتتخلى عن الالتزام بها متى اقتضت المصلحة - مصلحتها - ذلك.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد لاسيما بعد أن اتضح للكنيسة الأثر الإسلامي الظاهر في الآراء المخالفة، فأنشأت ذلك الغول البشع، والشبح المرعب، الذي أطلق عليه اسم (محاكم التفتيش) تلك المحاكم التي عملت على إيادة المسلمين، أو المخالفين لآراء الكنيسة.

كل ما سبق جعل الناس يؤمنون بالمسيحية قسراً دون أن يتجرأ أحد على مناوئتها أو مخالفتها.

أضف إلى ما سبق ما حصل من طغيان الكنيسة السياسي، حيث فرضت وصايتها على الملوك، وجعلت معيار صلاحهم معلقاً بما يقدمون للكنيسة من طاعة واطقياد.

أضف إلى ذلك الطغيان المالي، ويمكن تلخيص مظاهر الطغيان الكنيسي في هذا المجال بما يلي:

أ- الأملاك الإقطاعية: حيث أصبحت الكنيسة أكبر مُلاك الأراضي، وأكبر الإقطاعيين في أوروبا.

ب- الأوقاف: فلقد كانت الكنيسة تملك المساحات الشاسعة من الأراضي الزراعية باعتبارها أوقافاً للكنيسة، بدعوى أنها تصرف عائداتها على سكان الأديرة، وبناء الكنائس، وتجهيز الحروب الصليبية. إلا أنها أسرفت في تملك الأوقاف حتى وصلت نسبة أراضي الكنيسة في بعض الدول إلى درجة لا تكاد تصدق.

ج- العشور: حيث فرضت الكنيسة على كل أتباعها ضريبة العشور، وبفضلها كانت الكنيسة تضمن حصولها على عشر ما تغله الأراضي الزراعية، والإقطاعيات، وعشر ما يحصل عليه المهنيون وأرباب الحرف غير الفلاحين.

د- ضريبة السنة الأولى: فالكنيسة لم تقنع بالأوقاف، والعشور، بل فرضت الرسوم، والضرائب الأخرى، لاسيما في الحالات الاستثنائية؛ كالحروب الصليبية، والمواسم المقدسة، وظلت ترهق كاهل رعاياها.

فلما تولى البابا حنا الثاني والعشرون جاء ببدعة جديدة هي (ضريبة السنة الأولى).

وهي مجموع الدخل السنوي الأول لوظيفة من الوظائف الدينية، والإقطاعية تدفع للكنيسة بصفة إجبارية، وبذلك ضمنت الكنيسة مورداً مالياً جديداً.

هـ - الهبات والعطايا: وذلك أن الكنيسة كانت تحظى بالكثير من العطايا والهبات، يقدمها الأثرياء الإقطاعيون؛ تملقاً ورياءً، أو بدافع من الصدقة والإحسان.

و- العمل المجاني -السخرة-: وذلك بقيام بعض الناس بالعمل لخدمة الكنيسة

بالمجان مدة محددة، هي في الغالب يوم واحد في الأسبوع دون مقابل.

٢- الصراع بين الكنيسة والعلم: فلقد قام الصراع بين الكنيسة والحقائق العلمية على أشده، فلقد كانت الكنيسة هي المصدر الوحيد للمعرفة، فلما ظهرت بعض الحقائق العلمية التي تخالف ما تقرره الكنيسة كنظرية كوبرنيك (١٥٤٣م) الفلكية، ومن بعده (جردانو برونو) وغيرها من النظريات - حصل الصراع بين الكنيسة وبين العلم، ومن هنا اصطدمت حقائق العلم بزيوف الكنيسة؛ فقامت الكنيسة بالقبض عليهم، وتكذيبهم، ومحاربة أفكارهم. ومن ثم نشأت الفكرة القائلة: «إن العلم لا صلة له بالدين، وإن الدين يجارب العلم».

٣- الاضطرابات والثورات التي قامت في أوروبا: كالثورة الفرنسية، وغيرها، تعد من أسباب قيام العلمانية.

٤- شيوع المذاهب والأنظمة الاجتماعية والنظريات الهدامة كنظرية التطور وغيرها.

٥- الخواء الروحي عند الأوروبيين؛ ذلك؛ لأن النصرانية المحرفة لا تزكي الروح، ولا تخلص أتباعها من الأسئلة القائلة داخل النفوس حول الكون، والإله، والمصير، وما إلى ذلك.

٦- غياب المنهج الصحيح عن الساحة الأوروبية، وهو الإسلام.

٧- تقصير أمة الإسلام في أداء رسالتها تجاه البشرية.

٨- خلو الأناجيل المحرفة من أي تصور محدد لنظام سياسي، أو اجتماعي، أو

اقتصادي، أو علمي.

٩- المكر اليهودي الذي يحرص على إنشاء المذاهب الهدامة، أو احتوائها؛
 رغبة من اليهود في إفساد البشرية وجعلها حمراً يمتطونها.
 كل هذه العوامل جعلت من الدين رمزاً للتسلط، والتجبر، والطغيان، والجهل
 والخرافة، ومحاربة العلم؛ فما الحل إذا؟
 الحل الذي ارتأوه أن الدين حجر عثرة أمام التطور، والمطلوب نبذه وإقصاؤه
 عن الحياة، ومن هنا قامت العلمانية.
 وكان جديراً بهؤلاء الذين قاوموا هذه الكنيسة أن يبحثوا عن المنهج الحق
 الذي يشجع العلم ولا يقف ضده، بل هو دين العلم ألا وهو الإسلام.
 ولكن شيئاً من ذلك لم يحصل، والله في ذلك حكمة.
 فهذه أسباب قيام العلمانية، وتلك مسوغاتها^(١).

١ - انظر تفصيل ذلك في كتاب: العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية .

المبحث الأول: بداية ظهور العلمانية في بلاد الإسلام

تمهيد

لا تكاد تعثر في الأزمنة الماضية على مسلم يشن الحرب على الإسلام، ويتنكر له خصوصاً في مجال النظام السياسي.

بل إن زمن هذه الحرب حديث جداً لا يزيد على قرنين من الزمان؛ فقد بدأ مع بداية انتشار الفكر العلماني الذي دعت إليه الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م.

ومن ذلك الحين، وبفعل مجموعة من الأسباب^(١) - بدأ ذلك الفكر يسري إلى بلاد المسلمين، وبدأ التوجه العلماني اللاديني في بعض الدوائر يؤتي ثماره، وينتج نتائجه في العديد من مجالات الحياة، ويمهد لقيام العلمانية.

ولقد كانت تظهر بعض المقولات، أو الفقرات في كتابات بعض الناس؛ لتعلن عن الفكرة العلمانية، غير أنها كانت فقرات قصيرة متداخلة مع كلام كثير قد لا يفتن لها الكثيرون؛ بحيث يملكون عليها دون أن يلقوا لها بالأل.

بل ربما عدوها من سقطات الكُتَّاب دون أن يتبين لهم ما وراءها^(٢).

وظل الحال على هذا المنوال حيناً من الدهر حتى أفصححت العلمانية - في المجال السياسي - عن نفسها إفصاحاً كاملاً، وذلك على المستويين العملي، والنظري.

١ - كالاستعمار، والابتعاث في بداياته، وضعف المسلمين، وتفرق كلمتهم، والهزيمة النفسية التي خالطت كثيراً من نفوس المسلمين إلى غير ذلك من الأسباب التي ليس هذا مجال بسطها.

٢ - انظر تحطيم الصنم العلماني جولة جديدة في معركة النظام السياسي في الإسلام، للشيخ محمد بن شاكر الشريف، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ص ١١.

أما المستوى العملي فكان على يد مصطفى كمال أتاتورك الذي ألغى الخلافة الإسلامية في تركيا، وفصل تركيا عن باقي أجزاء الدولة العثمانية، فحطم بذلك الدولة الإسلامية العظيمة، وأعلن العلمانية الإلحادية، وأشاع أن الدين علاقة قلبية بين العبد وربه.

وتبعاً لذلك ألغى الأوقاف، والمحاكم الشرعية، وفرض القوانين الوضعية المدنية السويسرية، وألغى استعمال التاريخ الهجري، واستبدل به التاريخ الميلادي إلى غير ذلك مما تولى به كبره، وطمس من خلاله هوية الأمة^(١).

أما المستوى النظري العلمي فيتمثل فيما قامت به العلمانية من تقديم فكرتها، أو نظريتها السياسية في عزل الدين عن الدولة، وذلك في أول كتابة من نوعها في ديار المسلمين على يد قاضٍ شرعي، وشيخٍ أزهري وهو علي عبدالرازق^(٢). وهذا ما سيتضح في المطالب التالية.

١ - انظر الرجل الصنم كمال أتاتورك، أول كتاب عن حياة كمال أتاتورك بالتفصيل، تأليف ضابط تركي سابق، ترجمة عبدالله عبدالرحمن، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ص ٥٠٦-٥٠٧، والموجز في المذاهب والأديان المعاصرة د. ناصر القفاري، ود. ناصر العقل، دار الوطن، الرياض، ص ١٠٨-١١٠.

٢ - هو علي بن حسن بن أحمد عبدالرازق ١٣٠٥-١٣٨٦هـ / ١٨٨٨-١٩٦٦م، ولد بـ أبي جرج من أعمال المنيا، وتعلم في الأزهر، ثم أكسفورد، وألف كتاب (الإسلام وأصول الحكم) وأثار ضجة كبرى، وسحبت منه شهادة الأزهر، وانصرف إلى المحاماة، وانتخب عضواً في مجلس النواب، وعين وزيراً للأوقاف، وسيأتي مزيد بيان لسيرته، ومعاركه التي واجهها. انظر الأعلام للزركلي ٣٢٥/٦، ومن أعلام العصر د. محمد رجب البيومي ص ٣٠٥-٣١١، وانظر تحطيم الصنم العلماني ص ١١-١٢.

المطلب الأول: ظهور كتاب (الإسلام وأصول الحكم)

عقب إلغاء مصطفى كمال للخلافة سنة ١٣٤٣هـ، وفيما كان الرأي العام في العالم الإسلامي مأخوذاً بهول الصدمة - ظهر الشيخ علي عبدالرازق بهذه الفكرة الغربية المريبة التي كان لها الأثر في تخفيف وطأة ما فعله أتاتورك على مشاعر المسلمين، وذلك في كتابه (الإسلام وأصول الحكم)^(١).

ذلك الكتاب الذي ألفه وهو قاضٍ في محكمة الاستئناف بالمنصورة، وذلك عام ١٣٤٣، وجاء في طبعته الأولى في مائة وثلاث صفحات، واشتمل على ثلاثة كتب، وتسعة أبواب، ودار حول موضوع الخلافة في الإسلام، وعلاقة الدين بأسلوب الحكم في العالم الإسلامي، وما ينبغي أن يكون عليه في العصر الحديث.

وقد جمع الشيخ علي في كتابه المذكور بين أسلوب المستشرقين في تحوير الفكرة، واقتطاع النصوص، وتلفيق الواهيات، وبين طريقة الباطنية في التأويل البعيد. وعمد إلى مغالطات عجيبة، ومجازفات غريبة؛ ليدلل على أن الإسلام كالمسيحية المحرفة علاقة روحية بين العبد والرب، ولا صلة لها بواقع الحياة، وأن نظام الخلافة لا يمت إلى الإسلام بصلة، وأن القرآن الكريم والسنة النبوية لم ينصا على ذلك، وأن نظام الخلافة في هذا العهد غير ضروري لقيام حكومات إسلامية^(٢).

ولقد كان لهذا الكتاب ما كان من الآثار البعيدة؛ فقد ترجم إلى اللغات

١ - انظر الإسلام قوة الغد العالمية لباول شمتز، نقله إلى العربية د. محمد شامة، مكتبة هبة، القاهرة، ص ١٧٧-١٧٩، حيث أشار باول شمتز إلى كتاب علي عبدالرازق وإن لم يذكر اسمه.

٢ - انظر العلمانية نشأتها، وتطورها، وآثارها في الحياة الإسلامية، د. سفر الحوالي، الدار السلفية، الكويت، ط ١٠، ص ٥٨٢.

الأجنبية، وأصبح مرجعاً معتمداً للدراسات الإسلامية هناك، وقام بتقريبه والثناء عليه جُلُّ المهتمين بهذه الدراسات في الغرب، وظهرت آثاره في كتاباتهم، وهلل له سماسرة الاستعمار من الكتاب والصحفيين، وعدوا مؤلفه عالماً متحرراً متتوراً، ووضعه بعضهم على رأس مرحلة فكرية عصرية.

بل إن بعض الأحزاب السياسية وجدت فيه ضالتها المنشودة؛ فلم تعد تخرج من إعلان انتمائها للاتجاهات السياسية اللادينية شرقياً وغربياً، وبراءتها من الدين والمتدينين^(١).

وقد قابلت الدوائر الاستعمارية والمراكز التبشيرية المسيحية كتاب علي عبدالرازق بالترحيب والتصفيق - كما مرت الإشارة - وذلك لخشيتها من كل فكرة ترمي إلى تكتل العالم الإسلامي، وارتياحها إلى نشر مثل هذه الآراء التي ضمنها علي عبدالرازق كتابه، تلك الآراء التي تخدم أهداف الاستعمار، وتحقق آماله في السيطرة على الشعوب الإسلامية، وإذلالها إلى الأبد.

وقد تُرجم الكتاب إلى الإنجليزية، وعُدَّ أحدَ المراجع الأساسية لعلم الاجتماع الإسلامي في دراسة الجامعات الأمريكية على الخصوص للإسلام وتعاليمه^(٢).

وقد كشف المؤلف عن خبيثة نفسه في حديثه مع مراسل صحيفة (البورص إجبسيان) حينما سأله هذا المراسل:

- هل يمكن أن نعتبرك زعيماً للمدرسة؟

فأجاب: «لست أعرف ماذا تعني بالمدرسة؟ فإن كنت تريد بهذا أن لي

١ - انظر المرجع السابق ص ٥٨٣.

٢ - انظر الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١٤، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص ٢٠٦-٢٠٧، والإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة، د. عبدالله الدميحي، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط ٢، ١٤٠٩هـ، ص ٧١.

أنصاراً؛ يسرني أن أصرح لك أن الكثيرين يرون رأيي، لا في مصر وحدها، بل في العالم الإسلامي بأسره.

وقد وصلتني رسائل التأييد من جميع أقطار العالم التي نفذ إليها الإسلام. ولا ريب أنني -رغم الحكم-^(١) لا أزال مستمراً في آرائي وفي نشرها؛ لأن الحكم لا يُعدّل طريقة تفكيري. وسأسعى إلى ذلك بكل الوسائل الممكنة كتأليف كتب جديدة، ومقالات في الصحف، ومحاضرات، وأحاديث».

وبرغم ما في هجمة أتاتورك وجنائه على الإسلام من الضراوة والقسوة والشراسة - فإن جناية علي عبدالرازق في كتابه (الإسلام وأصول الحكم) أشدُّ وأخطر؛ ذلك أن صنيع أتاتورك ردّةٌ صريحة، وخروج على الإسلام بقوة السلطان؛ فلا يكون لها أثر إلا بقدر بقاء القوة. أما صنيع علي عبدالرازق فقد كان محاولة للتغيير في أصول الإسلام، ومسلماته.

وهذا -بلا ريب- يفعل فعله، ويمتد أثره؛ ليصبح هو التفسير لعلاقة الإسلام بالسياسة والحكم.

وحينئذ توصلد الأبواب -لو قُدِّرَ لهذه المحاولة أن تنجح- في وجه الإسلام، ويُحال بينه وبين القيادة والتوجيه لحياة الأمة المسلمة.

لقد كان كتاب (الإسلام وأصول الحكم) أول كتاب يقدمه -بهذه الصورة- رجل ينتمي إلى الإسلام، بل إلى العلم والقضاء معلناً عن نفسه بلا مواربة، مقدماً فيه الفكر العلماني في جرأة لا تعرف الحياء، ولا الخجل.

١ - يقصد الحكم الذي أصدره الأزهر في حقه - كما سيأتي - .

ولم تكن كتابته مجرد فقرة قصيرة أو طويلة، بل ولم تكن مجرد مقال طويل يُنشر في إحدى الصحف.
وإنما كان كتاباً كاملاً يعرض منهجاً كلياً في معرفة الإسلام، وعلاقته بالحكم^(١).

١- انظر العلمانية وثمارها الخبيثة للشيخ محمد شاکر الشریف، دار الوطن، ط ١.

المطلب الثاني: تطابقه مع كتاب: (الإسلام وسلطة الأمة)

كما يحسن التنبيه عليه أن الحكومة الكمالية حين ألغت الخلافة العثمانية سنة ١٩٢٤م - أصدر المجلس الوطني التركي رسالة شرح فيها وجهة نظره في إلغاء الخلافة.

إلا أن الرأي العام في العالم الإسلامي لم يقابل هذا العمل بالارتياح، بل أخذ بعض مفكري وعلماء الإسلام يتطرحون الرأي في إقامة الخلافة الإسلامية.

أما الرسالة التي أصدرها المجلس التركي فقد كانت بعنوان (الإسلام وسلطة الأمة) أو (الخلافة وسلطة الأمة).

وقد تُرجمت إلى العربية، وطُبعت بمطبعة المقتطف بمصر سنة ١٩٢٤م^(١). وبعد صدور هذا الكتاب سنة ١٩٢٥م أصدر علي عبدالرازق كتابه المذكور، وكان حينئذ قاضياً بمحكمة المنصورة الشرعية الابتدائية. ويُلاحظ أن بين اسمي الكتاب ومضمونهما تشابهاً، إلا أن الكتاب الأول لم يبلغ ما بلغه كتاب (الإسلام وأصول الحكم) من القدح في علاقة الإسلام بالسياسة.

بل إن علي عبدالرازق نَفَسَهُ أفصح عن إعجابه بتلك الرسالة في كتابه المذكور، وذلك في الباب الأول الذي دار حول الخلافة وطبيعتها؛ حيث قال في معرض حديث له عن استمداد الخليفة ولايته: «هي من الله؟ أم من الأمة؟ قال منوهاً بكتاب (الخلافة وسلطة الأمة): «ومن أوفى ما وجدنا في

بيان هذا المذهب^(١)، والانتصار له - رسالة (الخلافة وسلطة الأمة) التي نشرتها حكومة المجلس الكبير الوطني بأنقرة، ونقلها من التركية إلى العربية عبدالغني سني بك، وطبعها بمطبعة الهلال بمصر سنة ١٣٤٢هـ - ١٩٢٤م^(٢).

ومما يوضح الشبه بين الكتابين أنه قد جاء في كتاب (الإسلام وسلطة الأمة) ما نصه: «إن هذه المسألة - الخلافة - مسألة دينية وسياسية أكثر من كونها مسألة دينية، وإنها من مصلحة الأمة نفسها مباشرة، ولم يرد بيان صريح في القرآن الكريم، ولا في الأحاديث النبوية في كيفية نصب الخليفة وتعيينه، وشروط الخلافة ما هي...»^(٣).

وقال علي عبدالرازق ما نصه: «إنه لعجب عجيب أن تأخذ بيدك كتاب الله الكريم، وتراجع النظر فيما بين فاتحته وسورة الناس، فتري فيه تصريح كل مثل، وتفصيل كل شيء من أمر هذا الدين ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ الأنعام: ٣٨ ثم لا تجد فيه ذكراً لتلك الإمامة العامة، أو الخلافة.

إن في ذلك مجالاً للمقال! ليس القرآن وحده الذي أهمل تلك الخلافة، ولم يتصد لها، بل السنة كالقرآن - أيضاً - وقد تركتها، ولم تتعرض لها»^(٤). وجاء في رسالة المجلس الوطني التركي ما نصه: «إن الفرقة المسماة

١ - يعني استمداد الخليفة سطرانه من الأمة.

٢ - الإسلام وأصول الحكم ص ٤٦.

٣ - الخلافة وسلطة الأمة، نقله عن التركية عبدالغني سني بك، تقديم د. نصر حامد أبو زيد،

الناشر دار النهر للنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٢٤م، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٥م، القاهرة، ص ٩٢.

٤ - الإسلام وأصول الحكم ص ٥١.

بالخارجية تنكر وجوب الخلافة، وتقول إن أمر نصب الخليفة وتعيينه ليس واجباً على الأمة الإسلامية، بل هو جائز، ووجوده وعدم وجوده سيان»^(١).

ويقول علي عبدالرازق ما نصه: «فكيف وقد قالت الخوارج: لا يجب نصب الإمام أصلاً، وكذلك قال الأصم من المعتزلة، وقال غيرهم -أيضاً- كما سبقت الإشارة إليه؟»

وحسبنا في هذا المقام نقضاً لدعوى الإجماع أن يثبت عندنا خلاف الأصم والخوارج وغيرهم، وإن قال ابن خلدون: إنهم شواذ»^(٢).

وهكذا ردد علي عبدالرازق في كتابه ما جاء في رسالة المجلس الوطني التركي، وزاد عليها شيئاً من فساد الفهم، وبعد التأويل، وكثرة المغالطات، وسوء الأدب في حق النبي ﷺ وحق كبار الصحابة، ونحو ذلك مما سيرد بيانه لاحقاً.

والغريب في الأمر أنه لم يكن من بين هذه الآراء حصاً على مكافحة الاستعمار، والجهاد في سبيل الاستقلال والحرية.

١ - الخلافة وسلطة الأمة ص ٩١ .

٢ - الإسلام وأصول الحكم ص ٦٩ .

المطلب الثالث: المعارضة لكتاب: (الإسلام وأصول الحكم)

سواء كان الكتاب المنسوب لعلي عبدالرازق من تأليفه هو - كما هو مدون على غلاف الكتاب - أو كان من تأليف بعض المستشرقين كما يذهب إلى ذلك آخرون^(١) - فإن الذي يعني هنا أن يقال: إن العلمانية أعلنت الحرب بغير موارد على النظام السياسي الإسلامي، وبدأت جولتها معه، التي ربما خُيِّلَ لاتباعها أنها الجولة الأولى والأخيرة. لقد كان صدور ذلك الكتاب الذي يعني عند مؤلفه ومن يشايعه إسقاط الحكم بما أنزل الله - عام ١٩٢٥م، أي بعد عام واحد من إسقاط الخلافة والقضاء عليها واقعيًا من قِبَلِ أتاتورك وأتباعه.

يقول الأستاذ الدكتور السيد تقي الدين في تقديمه لكتاب (رد هيئة كبار العلماء على كتاب: الإسلام وأصول الحكم): «ولم يكذب يظهر الكتاب في أول إبريل سنة ١٩٢٥م، ويطلع عليه بعض العلماء والقراء حتى لقي معارضة عنيفة؛ لِتَعَارُضِهِ الصارخ مع الثوابت الإسلامية من جانب، وتطابقه كل المطابقة مع أهداف الإنجليز، والسياسة الاستعمارية في العالم الإسلامي من جانب آخر؛ فالإنجليز كانوا يريدون هدم الخلافة والقضاء على كل فكرة من أجل التجمع من جديد حول الوحدة الإسلامية»^(٢).

ويضيف الأستاذ الدكتور السيد تقي الدين مشيراً إلى جانب من دوافع تأليف ذلك

١ - قد ذهب إلى ذلك الشيخ محمد نجيب المطيعي مفتي الديار المصرية الأسبق؛ حيث قال: «علمنا من كثيرين ممن يترددون على المؤلف أن الكتاب ليس له فيه إلا وضع اسمه عليه فقط». وقد نقل ذلك د. محمد ضياء الدين الرئيس في كتابه (الإسلام والخلافة في العصر الحديث) ص ٢١١، واستظهر له بالعديد من القرائن، حيث توصل إلى أن مؤلف الكتاب أحد اثنين إما المستشرق مرجليوث اليهودي الذي كان أستاذا للعربية في بريطانيا، وتدل كتاباته على أنه كان صهيونيا معاديا للإسلام والمسلمين. أو أنه توماس أرنولد المستشرق المعروف.

وقد ذهب علي عبدالرازق إلى بريطانيا، وبقي فيها عامين، وسيأتي مزيد بيان لذلك. انظر الإسلام والخلافة ص ١٧٥، وإعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام لأنور الجندي، دار الاعتصام، ص ٥٥-٦٢ و١٢١-١٢٥.

٢ - رد هيئة كبار العلماء على كتاب (الإسلام وأصول الحكم) للشيخ علي عبدالرازق، تقديم أ.د. السيد تقي الدين، هدية مجلة الأزهر المجانية، ربيع الأول ١٤١٤هـ، ص ٤.

الكتاب، فيقول: «وهذا هو الغرض الأساسي من الكتاب كله؛ بدليل الدفاع المستميت لحزب الأحرار الدستوريين الذي ينتمي إليه الشيخ علي عبدالرازق وأسرته، وهو الحزب الذي انبثق عن حزب الأمة ربيب الاستعمار الإنجليزي، وذلك في مواجهة موجة الرفض العارمة التي شهدتها البلاد ضد الشيخ علي عبدالرازق وكتابه؛ حيث رمته الصحف الوطنية بالطيش في الرأي، والإلحاد في العقيدة، واندلعت المظاهرات منطلقاً من الأزهر تعلن الاحتجاج، وتطالب بوقف حاسمة؛ للدفاع عن الإسلام، والرد على هذه الدعوات الهدامة التي تعد خروجاً على الدين»^(١).

وبصدور ذلك الكتاب بدأت وقائع الجولة الأولى لتلك المعركة، وظهرت الردود تلو الردود.

فقام بالرد عليه السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار، وكذلك الشيخ محمد شاکر^(٢) وكيل الأزهر سابقاً، وكذلك الأستاذ أمين الرافعي.

وقد أفتى بعض كبار العلماء من أمثال الشيخ محمد شاکر، والشيخ يوسف الدجوي، والشيخ محمد بنحيت، والسيد محمد رشيد رضا برِدَّةٍ علي عبدالرازق مؤلف الكتاب المذكور.

كما ألف كبار العلماء كتباً في الرد عليه: فألف الشيخ محمد الخضر حسين (نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم)^(٣) وألف الشيخ محمد بنحيت مفتي الديار المصرية في وقته (حقيقة الإسلام وأصول الحكم) كما ألف الشيخ محمد الطاهر بن عاشور كتاب (نقد علمي لكتاب الإسلام وأصول الحكم).

١ - المرجع السابق ص ٤ .

٢ - وهو والد العلامة الشيخ أحمد شاکر.

٣ - وهو أعظم تلك الردود، وأهمها، وأخلدها، وأشدّها أثراً على الشيخ علي عبدالرازق، وسيأتي مزيد بيان عن ذلك الكتاب.

المطلب الرابع: محاكمة علي عبدالرازق في الأزهر

عُقدت لعلي عبدالرازق محاكمة في الأزهر من قبل هيئة كبار العلماء برئاسة الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوي شيخ الجامع الأزهر، وعضوية أربعة وعشرين عالماً من كبار العلماء، وبحضور علي عبدالرازق نفسه، وقد تمت مواجهته بما هو منسوب إليه في كتابه، واستمعت المحكمة للدفاع عن نفسه، ثم خلصت الهيئة إلى القرار التالي: «حكماً - نحن شيخ الجامع الأزهر - بإجماع أربعة وعشرين عالماً معنا من هيئة كبار العلماء بإخراج الشيخ علي عبدالرازق أحد علماء الجامع الأزهر والقاضي الشرعي بمحكمة المنصورة الابتدائية الشرعية ومؤلف كتاب (الإسلام وأصول الحكم) من زمرة العلماء.

كما حكم مجلس تأديب القضاة الشرعيين بوزارة الحقانية - العدل - بالإجماع بفصله من القضاء الشرعي»^(١).

وفيما يلي شيء من التفصيل عن تلك المحاكمة التي جرت؛ فقد انعقدت هيئة كبار العلماء برئاسة الشيخ محمد أبي الفضل الجيزاوي، شيخ الجامع الأزهر في ذلك الوقت، صباح الأربعاء ٢٢ المحرم سنة ١٣٤٤هـ (١٢ أغسطس سنة ١٩٢٥م) وكان عدد أعضائها أربعة وعشرين عالماً^(٢)، وبعد مناقشة طويلة أصدرت الهيئة حكمها بإدانة المتهم، وإخراجه من زمرة العلماء.

١ - تحطيم الصنم العلماني ص ١٤-١٥.

٢ - وهم: الشيخ محمد حسنين، والشيخ دسوقي العربي، والشيخ أحمد نصر، والشيخ محمد بنحيت، والشيخ محمد شاكر، والشيخ محمد أحمد الطوخي، والشيخ إبراهيم الخديدي، والشيخ محمد التجدي، والشيخ عبدالمعطي الشرشيمي، والشيخ يونس موسى العطاقي، والشيخ عبدالرحمن قراعة، والشيخ عبدالغني محمود، والشيخ محمد إبراهيم السمالوطي علي، والشيخ يوسف نصر الدجوي، والشيخ إبراهيم بصيلة، والشيخ محمد الأحمدني الظواهري، والشيخ مصطفى المهايوي، والشيخ يوسف شلبي الشبراخيتومي، والشيخ محمد سبيع الذهبي، والشيخ محمد حمودة، والشيخ أحمد الدلبشاني، والشيخ حسن والي، والشيخ محمد الحلبي، والشيخ سيد علي المرصفي. انظر رد هيئة كبار العلماء على كتاب (الإسلام وأصول الحكم) ص ١٥-٢١.

ويترتب على الحكم المذكور: محو اسم المحكوم عليه من سجلات الجامع الأزهر والمعاهد الأخرى، وطرده من كل وظيفة، وقطع مرتباته في أي جهة كانت، وعدم أهليته للقيام بأية وظيفة عمومية، دينية كانت أو غير دينية. أما حيثيات الحكم، فيمكن إيجازها فيما يلي:

١- أن الشيخ علياً جعل الشريعة الإسلامية شريعة روحية محضة، لا علاقة لها بالحكم والتنفيذ في أمور الدنيا.

وقد ردت الهيئة على هذا الزعم الباطل بأن الدين الإسلامي هو إجماع المسلمين على ما جاء به النبي ﷺ من عقائد، وعبادات، ومعاملات لإصلاح أمور الدنيا والآخرة، وأن كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، كلاهما مشتمل على أحكام كثيرة في أمور الدنيا، وأحكام كثيرة في أمور الآخرة.

وقالت الهيئة: وواضح من كلامه -المؤلف- أن الشريعة الإسلامية عنده شريعة روحية محضة، جاءت لتنظيم العلاقة بين الإنسان وربه فقط، وأن ما بين الناس من المعاملات الدنيوية وتدبير الشئون العامة فلا شأن للشريعة به، وليس من مقاصدها.

وهل في استطاعة الشيخ أن يَشْطُرَ الدين الإسلامي شطرين، ويلغي منه شطر الأحكام المتعلقة بأمور الدنيا، ويضرب بآيات الكتاب العزيز، وسنة رسول الله ﷺ عرض الحائط؟! (١)

٢- ومن حيث إنه زعم أن الدين لا يمنع من أن جهاد النبي ﷺ كان في سبيل الملك، لا في سبيل الدين، ولا لإبلاغ الدعوة إلى العالمين. فقد قال: «... وظاهر أول وهلة أن الجهاد لا يكون لمجرد الدعوة إلى الدين،

١ - انظر رد هيئة كبار العلماء على كتاب (الإسلام وأصول الحكم) ص ١٥-٢١.

ولا يحمل الناس على الإيمان بالله ورسوله».

ثم قال: «... وإذا كان ﷺ قد لجأ إلى القوة والرغبة، فذلك لا يكون في سبيل الدعوة إلى الدين وإبلاغ رسالته إلى العالمين، وما يكون لنا أن نفهم إلا أنه كان في سبيل الملك».

على أنه لا يقف عند هذا الحد، بل كما جَوَّز أن يكون الجهاد في سبيل الملك، ومن الشئون الملكية - جوز أن تكون الزكاة والجزية والغنائم، ونحو ذلك في سبيل الملك - أيضاً..

وجعل كل ذلك على هذا خارجاً عن حدود رسالة النبي ﷺ لم ينزل به وحي، ولم يأمر به الله - تعالى..

والشيخ علي لا يمنع أن يصادم صريح آيات الكتاب العزيز، فضلاً عن صريح الأحاديث المعروفة، ولا يمنع أنه ينكر معلوماً من الدين بالضرورة. وذكرت الهيئة الآيات الواردة في الجهاد في سبيل الله، والآيات الخاصة بالزكاة، وتنظيم الصدقات، وتقسيم الغنائم، وهي كثيرة^(١).

٣- ومن حيث إنه زعم أن نظام الحكم في عهد النبي ﷺ كان موضع غموض، أو إبهام، أو اضطراب، أو نقص، وموجباً للحيرة.

وقد رضي لنفسه بعد ذلك مذهباً هو قوله: «إنما كانت ولاية محمد ﷺ على المؤمنين ولاية رسالة غير مشوبة بشيء من الحكم».

وهذه هي الطريقة الخطيرة التي خرج إليها، وهي أنه جرد النبي ﷺ من الحكم. وما زعمه الشيخ علي مصادم لصريح القرآن الكريم، فقد قال الله - تعالى:- ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ الَّذِينَ أَرْسَلْنَاكَ اللَّهُ ﴾ النساء: ١٠٥،

ثم أوردت الهيئة آيات كثيرة تتضمن معنى الآية السابقة، وتنحو نحوها^(١).
 ٤- ومن حيث إنه زعم أن مهمة النبي ﷺ كانت بلاغاً للشريعة مجرداً عن الحكم والتنفيذ.

ولو صح هذا لكان رفضاً لجميع آيات الأحكام الكثيرة الواردة في القرآن الكريم، ومخالفاً - أيضاً - لصريح السنة.
 ثم أوردت الهيئة كثيراً من الأحاديث التي تهدم مزاعم المؤلف، وختمت ذلك بقولها: «فهل يجوز أن يقال بعد ذلك في محمد ﷺ إن عمله السماوي لم يتجاوز حدود البلاغ المجرد من كل معاني السلطان وإنه لم يكلف أن يأخذ الناس بما جاءهم به، ولا أن يحملهم عليه؟!»^(٢).

٥- ومن حيث إنه أنكر إجماع الصحابة على وجوب نصب الإمام، وعلى أنه لا بد للأمة ممن يقوم بأمرها في الدين والدنيا.

وقال: إنه يقف في ذلك في صف جماعة غير قليلة من أهل القبلة، يعني بعض الخوارج والأصم؛ وهو دفاع لا يبرئه من أنه خرج على الإجماع المتواتر عند المسلمين، وحسبه في بدعته أنه في صف الخوارج، لا في صف جماهير المسلمين^(٣).

٦- ومن حيث إنه أنكر أن القضاء وظيفة شرعية، وقال: إن الذين ذهبوا إلى أن القضاء وظيفة شرعية جعلوه متفرعاً عن الخلافة، فمن أنكر الخلافة أنكر القضاء.

وكلامه غير صحيح؛ فالقضاء ثابت بالدين على كل تقدير؛ تمسكاً بالأدلة

١ - انظر المرجع السابق ص ٢٧-٣٠.

٢ - انظر المرجع السابق ص ٣٠-٣٥.

٣ - انظر المرجع السابق ص ٣٥-٣٧.

الشرعية التي لا يستطيع نقضها^(١).

٧- ومن حيث إنه زعم أن حكومة أبي بكر، والخلفاء الراشدين من بعده رضوا الله عنهم- كانت لا دينية.

ودفاعُ الشيخ علي بأن الذي يقصده من أن زعامة أبي بكر لا دينية أنها لا تستند على وحي، ولا إلى رسالة - مضحكٌ موقعٌ في الأسف؛ فإن أحداً لا يتوهم أن أبا بكر ﷺ كان نبياً يوحى إليه حتى يُعنى الشيخ علي بدفع هذا التوهم.

لقد بايع أبا بكر ﷺ جماهير الصحابة من أنصار ومهاجرين على أنه القائم بأمر الدين في هذه الأمة بعد نبيها محمد ﷺ.

وإن ما وصم به الشيخ علي أبا بكر ﷺ من أن حكومته لا دينية لم يُقدِّم علي مثله أحد من المسلمين؛ فالله حسبه، ولكن الذي يطعن في مقام النبوة يسهل عليه كثيراً أن يطعن في مقام أبي بكر وإخوانه الخلفاء الراشدين -رضي الله عنهم أجمعين-^(٢).

هذه خلاصة الحثيات التي بنت عليها هيئة كبار العلماء حكمها السالف الذكر^(٣).

وعلى كل حال فإن الكتاب لقي وما زال يلقي السخط والرد من أهل العلم والفضل.

١ - انظر المرجع السابق ص ٣٧-٤٠ .

٢ - انظر المرجع السابق ص ٤١-٤٢ .

٣ - انظر المرجع السابق ص ١٥-٤٦ ، وانظر الإمامة العظمى، ص ٧١-٧٣، والثبات والشمول في الشريعة الإسلامية د. عابد السفيناني، نشر وتوزيع مكتبة المنارة، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ص ٢٩٠-٢٩٣ .

بل إن علي عبدالرازق نفسه عندما عرض عليه قبل وفاته عام ١٩٦٦م إعادة طبع الكتاب مرة أخرى - رفض^(١)، كما أنه لم يحاول الرد على منتقديه وخصومه.

١ - غير أن الكتاب يعاد طبعه بين الفينة والأخرى، ومنها الطبعة التي قدم لها ابن أخيه: السفير ممدوح بن مصطفى عبدالرازق.

المبحث الثاني: إشكالات في نسبة كتاب (الإسلام وأصول الحكم) لمؤلفه، وقناعته به

مرت إشارات إلى التشكيك في نسبة كتاب (الإسلام وأصول الحكم) للشيخ علي عبدالرازق، وفيما يلي مزيد بسط وإيضاح لنسبة الكتاب إليه، ومدى قناعته وتمسكه بالأراء التي أوردها فيه، خصوصاً في مسألة كون الإسلام كالمسيحية من جهة أنه علاقة روحية بين العبد وربّه فحسب.

وسيتبين ذلك من خلال المواقف الثلاثة التالية، والفقرة التي تليهن:

الموقف الأول: هو ما أورده الدكتور مجاهد توفيق الجندي مؤرخ الأزهر، وعضو الجمعية العربية التاريخية العربية الإسلامية من أن كتاب (الإسلام وأصول الحكم) ليس من تأليف علي عبدالرازق، وإنما هو من تأليف طه حسين.

حيث ذكر ذلك الدكتور مجاهد عن الشيخ أحمد إدريس وكيل لجنة القبول بالأزهر، وذلك في المحاضرة التي ألقاها الدكتور مجاهد في (ملتقى الإمام محمد الخضر حسين) في مدينة (بسكرة) بالجزائر في ديسمبر ٢٠٠٧م.

وإليك نصّ كلام الدكتور مجاهد بطوّلِهِ؛ حيث يقول في فقرة من فقرات محاضرتَه المذكورة -وعنوان تلك الفقرة: (معارك الشيخ محمد الخضر حسين الأدبية والفكرية)- ما نصه: «ألغى مصطفى كمال أتاتورك الخلافة الإسلامية سنة ١٣٢٢هـ.

وقد أثار هذا القرار ضجة كبرى في العالم الإسلامي؛ فعقدت المؤتمرات، وكتبت المقالات المعارضة للتشهير بهذا الإلغاء الذي يتعارض مع أهل السنة والجماعة.

وقد كان الملك فؤاد رحمته الله ملك مصر من أكبر المعارضين لهذا القرار؛ لأنه كان يسعى لتوليّ خلافة المسلمين؛ لما في ذلك من مكاسب مادية وأدبية وسياسية.

وقام أنصار الملك فؤاد بترويج هذه الفكرة بوسائل عديدة، وفي خضم هذا

الخلاف الشديد بين المناوئين للملك فؤاد، والموافقين له، والمدافعين عن هذه الفكرة - أصدر الشيخ علي عبد الرازق أحد علماء الأزهر كتابه (الإسلام وأصول الحكم) سنة ١٩٢٥ م.

في الحقيقة: أن الشيخ علي عبد الرازق رحمته الله، وهو من بيت علم قديم في قرية أبو جرج التابعة لمحافظة المنيا في مصر، وهذا الرجل قد وهبه أبوه مع ثلاثة من إخوته للأزهر الشريف، وهو من بيت أثرياء، بيتهم مفتوح لعابري السبيل، ولا يذهب أي قاصد لصدقة أو لطلبة فيرجع خائباً^(١).

ويردف الدكتور توفيق قائلًا: في حديث لي مع المرحوم الشيخ أحمد إدريس وكيل لجنة الفتوى بالأزهر، عندما قلت له: عندنا ندوة غدا، أو بعد غد في المجلس الأعلى للثقافة بمناسبة مرور سبعين سنة على كتاب (في الشعر الجاهلي)^(٢) وتحدثنا بشأن كتاب (الإسلام وأصول الحكم) قال: يا بني! هذا الكتاب ليس للشيخ علي عبد الرازق، ولكنه لطفه حسين، أضافه إليه؛ ليأخذ به شهرة.

وكان بينه وبين طه حسين علاقة ما من النسب أو القرابة؛ فحجل الرجل، كان رجلاً طيباً جداً، لم يشأ أن يُخرج طه حسين، برغم أن هيئة كبار العلماء اجتمعت، ومحت اسمه من سجلات الأزهر، وأخرجته من زمرتها.

قلت للشيخ أحمد إدريس: ما الذي عرفك؟ قال: كنت واعظاً لهذا المركز في محافظة المنيا -مركز يتبع بني مزار- وبني مزار بلدة بها العديد من الصحابة، صحابة رسول الله الذين استشهدوا بالمعارك، الذين صاحبوا عمرو بن العاص في الفتوحات الإسلامية.

١- الإمام محمد الخضر حسين وإصلاح المجتمع الإسلامي ص ٦١-٦٢.

٢- هو كتاب لطفه حسين، وقد أحدث ضجة كبرى لا تقل عن تلك الضجة لكتاب (الإسلام وأصول الحكم).

بلدة أبو جرح هذه بلدة علي عبد الرازق، وآل عبد الرازق بيت كريم، الشيخ أحمد إدريس ذهب إلى هذا البيت، وكان واعظاً للمركز، ذهب ليتغذى هناك، وليبيت.

وعندما انتصف الليل وأراد الرجل أن يذهب إلى الحمام، وجد الشيخ علي عبد الرازق يبكي، والدموع تُبلل لحيته في جوف الليل، يُصلي في جوف الليل والناس نيام، والدموع تبلل لحيته، قال له: يا مولانا! ولماذا كتبت هذا الكتاب؟ قال: يا ابني! هذا الكتاب - والله - ليس لي، ولكنه لطفه حسين، أضافه إليّ؛ لشيء من القرابة، أو شيء من المصاهرة، لآخذ به شهرة، وهذا الكتاب ليس لي.

قال: لماذا لم تتبرأ من هذا الكتاب؟ قال: ما أردت أن أخرج طه حسين، وتحمل الرجل ما حدث له، وأنا اليوم سعيد.

هذا ما أؤكد عليه بخصوص كتاب (الإسلام وأصول الحكم)»^(١).

ويواصل الدكتور مجاهد توفيق كلامه، فيقول: «في ندوة طه حسين في المجلس الأعلى للثقافة قمت بمدخله، وقلت هذا الكلام، فغضب عليّ الدكتور جابر عصفور، وهو من العلمانيين المعروفين في مصر.

ولكن هو لا يعرف الحقائق، وعندما قلت هذا الكلام قام وثار وغضب، وقال: هذا الكلام غير صحيح؛ لأنه لو كان صحيحاً لوقف في وجه هيئة كبار العلماء الذين أخرجوه من زمرتهم.

فقلت: اذهبوا إلى الشيخ أحمد إدريس، والصحفيون تجمعوا حولي؛ لأن هذا الكلام جديد بعد مرور أكثر من سبعين سنة على هذا الكتاب.

وذهبوا إلى الشيخ أحمد إدريس ، وأكد لهم ما قلته ، ونشر ذلك في الصحف . هذا بخصوص (الإسلام وأصول الحكم) وقد عارضه مولانا وشيخنا الجليل الشيخ الخضر حسين ، عارض هذا الكتاب ، فأعجب به الملك فؤاد؛ لأنه كان يريد أن يكون خليفة للمسلمين .

كتاب (الإسلام وأصول الحكم) يقول فيه طه حسين؛ لأنه ليس لعلي عبدالرازق ، يقول: إن الحكومات الحديثة لا تحتاج إلى الخلافة ، والخلافة ليست ضرورية ، وليست من الدين ، هذا كلام طه حسين ، وهو كلام المستشرقين»^(١) .

فهذا خلاصة ما أورده الدكتور مجاهد توفيق .

الموقف الثاني : وهو ما أورده الدكتور محمد رجب البيومي في كتابه (من أعلام العصر) وذلك في ترجمته للشيخ علي عبدالرازق؛ حيث تكلم على شيء من سيرته ، وصفاته ، ولقائه به بعد أن طلب الشيخ علي مقابله ، بعد قراءته لكتاب البيومي (الأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير) .

يقول الدكتور البيومي : « قابلني الرجل الكريم بهدوءٍ باسم ، وفهمتُ من حديثه أنه قرأ كتابي من ألفه إلى يائه ، وقد سأل عن نقاط شتى ، فأجبتُه عنها كما أستطيع ، وكان الحديث يتجه في أكثره وجهة الأدب الخالص ، فرأيتُ أن أعدل به إلى مباحث التشريع ، فقلت : لقد وقع في يدي كتاب (الإجماع) وقرأته باهتمام ، ثم علمت أن الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت قد عَقَّب عليه ، فناقش أموراً جوهرية ، تتعلق بمباحثه ، واختلافُ الأساتذة الكبار متوقع منتظر؛ فهل قرأتَ ما كتب الأستاذ شلتوت؟ .

فقال الأستاذ: إن الشيخ محمود شلتوت من أعز أصدقائي، وترجع معرفتي به إلى أكثر من ثلاثين عاماً وله رأيه الحر، وقد ناقش آرائي بدون أن يشير إلى اسمي، وكأنه رأى أن تكون الموضوعية وحدها منهجاً يُلتزم، وقد قابلته بعد ظهور كتابه عدة مرات في جلسات مجمع اللغة العربية، وتحدثنا في مسائل كثيرة، ولكنه لم يشر إلى شيء مما كتب في حديثه معي؛ فآثرت ألا أفاتحه حتى يبدأ، وقد حمدتُ له سلوكه العلمي؛ لأنه احترم الرأي المعارض، وناقشه في حدود الأدب واللياقة.

ولو سلك المعارضون معي مسلك الأستاذ شلتوت لما صادفتُ كثيراً من العقبات»^(١).

ثم يعلق الدكتور البيومي على هذا الكلام، فيقول: «أدركت من حديث الأستاذ، أنه يشير إلى المعركة الكبرى حول كتابه (الإسلام وأصول الحكم) إذ رأى الأستاذ رأياً لم يُوفَّق في تحقيقه؛ فقابله الجمهور بصخب مائج، واندفع بعض الكتاب إلى مهاجمةٍ تتعلق بشخص الكاتب لا رأيه، فقلتُ في أدب: إن ما ذهب إليه كتابك عن الإسلام وأصول الحكم حين قررت أن الإسلام صلةٌ روحية بين العبد وربّه، وليس دستوراً معاملة وتشريع كان من الخطورة بحيث لا يجوز السكوت عنه!

قلتُ هذا وأنا أخشى أن أغضب الأستاذ؟ وقد قابلني بمقابلة كريمة، ولكنه سأل في هدوء: أتقول: إني قلت إن الإسلام صلة روحية فقط؟ لم أقل هذا، وقد أوضحتُ مقصدي في مقال صريح نشرته بمجلة (رسالة الإسلام) التي كانت تصدرها جماعة التقريب، رداً على الأستاذ الدكتور أحمد أمين حين قال إن هذه

هي فكرتي!»^(١).

ثم يعلق الدكتور البيومي على قول الشيخ علي، قائلاً: «كان ما قاله الأستاذ لي مفاجأة لي!

فأنا أعرف أنه قرر أن الإسلام صلة روحية فقط، وما قامت الفرقة الصاخبة إلا من جراء هذا القول، وأن الذين عارضوه في كتب مستقلة من أمثال الشيخ محمد بحيث المطيعي، ومحمد الخضر حسين، ومحمد الطاهر عاشور - قد وجهوا الهدف إلى إبطال هذا الزعم؛ فهل يكون الأستاذ قد رجع عن موقفه بعد سنوات راجع فيها نفسه، وقرأ ما كتب معارضوه بإمعان؛ فصحح الرأي، وعاد إلى الصواب؟! لقد صَمَّمْتُ أن أراجع مقال الأستاذ، وارتحتُ كثيراً لهذا النبأ الجديد.

وانتقلَ الحديث إلى شجون أخرى أَلَمَمْنَا فيها بمؤلفات شقيقه الأستاذ الأكبر مصطفى عبدالرازق، وصدقاته المختلفة لكبار المفكرين والشعراء في هذا العصر، ثم ذكَّرتُ الأستاذ بمحاضرة جيدة ألقاها عن التجديد في البلاغة العربية، ونشرها بمجلة (الهلal) فراعني أن أجده نسيها كل النسيان، وقد طلبَ مني أن أحضر مجلة (الهلal) التي أشرت إليها؛ ليرى ما قال»^(٢).

ثم يقول البيومي في فقرة من تلك الترجمة عنوانها (تحقيق ودراسة) وأراد منها أن يقف على حقيقة الأمر الذي دار بينه وبين الشيخ علي بخصوص مسألة الحكم في الإسلام، يقول البيومي: «اتجهت من فوري إلى البحث عن أعداد مجلة (رسالة الإسلام) وكانت مهمّة صعبة؛ لأن الأعداد كثيرة، والرجل لم يحدد تاريخ الصدور فيريح الباحث؛ إذ لا يذكره، ثم كان من توفيق الله أن وجدت ما أريد في عددین متلاحقين (هما العدد الثاني والعدد الثالث من السنة الثالثة) أبريل ١٩٥١، ويوليو

١ - المرجع السابق ص ٣٠٧.

٢ - المرجع السابق ص ٣٠٧-٣٠٨.

سنة ١٩٥١؛ لأن المجلة فصلية تصدر كل ثلاثة أشهر، وفي العدد الثاني (ص ١٤٦) وجدتُ مقالاً للدكتور أحمد أمين تحت عنوان (الاجتهاد في نظر الإسلام) يقول في مطلعها: (كنت أتجادل في الشهر الماضي مع معالي الأستاذ علي عبدالرازق باشا، وكنا نتعرضُ حال المسلمين وما وصلوا إليه من جمود، فقال: (إن دواءً ذلك أن نرجعَ إلى ما نشرتهُ قديماً من أن رسالة الإسلام روحانية فقط، ولنا الحق فيما عدا ذلك من مسائل ومشاكل).

فقلت: (إن رأيي أن رسالة الإسلام أوسع من ذلك؛ فهي روحانية ومادية معاً، بدليل ما ورد في القرآن من نظام البيع والشراء، والإجارة، والمعاملات المالية، ومسائل الأحوال الشخصية من زواج وطلاق ونحو ذلك).

ثم صدرَ العدد الثالث يحملُ مقالاً تحت عنوان (الاجتهاد في نظر الإسلام ص ٢٤٦) بقلم الأستاذ علي عبدالرازق باشا، قال فيه بعد أن نقل عبارة الدكتور أحمد أمين: (وقفتُ أمام ناظري كلمةُ رسالة الإسلام روحانية فقط، ولم تشأ أن تمر من غير أن تثير ذكرى قصة قديمة لهذه الكلمة معي؛ فقد زعم الطاعنون الذين جعلوا في قلوبهم الحمية يومئذ أنني في ذلك البحث قد جعلت الشريعة الإسلامية شريعةً روحانيةً محضةً، ورتّبوا على ذلك ما طوّعت لهم أنفسهم أن يفعلوا).

أما أنا فقد رددتُ ذلك عليهم، وقلتُ لهم يومئذ صادقاً ومخلصاً: إنني لم أقل ذلك لا في هذا الكتاب ولا في غيره.

وأسوق هذا الحديث؛ ليزكرَ الأستاذ الكاتب الكبير^(١) أن فكرة روحانية الإسلام لم تكن لي رأياً يوم نشرتُ البحث المشار إليه، وأنني رفضت يومئذ

رفضاً باتاً أن يكون ذلك رأيي؛ فما ينبغي أن أعودَ اليوم فأقول إنني أدعو إلى أن نرجع إلى ما نشرته قديماً من أن رسالة الإسلام روحانية فقط»^(١).

ثم يقول الدكتور البيومي معلقاً على الكلام السابق: «هذا ما قاله الأستاذ رداً على الدكتور أحمد أمين، وهو مما أثار دهشتي؛ لأنني أعرف أنه قال هذا الكلام بمضمونه إن لم يكن بلفظه، ولو كان ينكر كلمة (روحانية) فإن مادتها صريحة في كتابه؛ حيث يقول (ص ٦٩ - الطبعة الأولى): (ولاية الرسول على قومه ولايةٌ روحية منشؤها إيمان القلب، وخضوعه خضوعاً تاماً يتبعه خضوع الجسم، وولاية الحاكم ولايةٌ مادية تعتمد على إخضاع الجسم من غير أن يكون له بالقلوب اتصال، تلك ولاية هداية إلى الله، وإرشادٍ إليه، وهذه ولايةٌ تدير لصالح الحياة وعمار الأرض، تلك للدين، وهذه للدنيا، تلك لله، وهذه للناس، تلك زعامةٌ دينية، وهذه زعامةٌ سياسية، ويا بُعدما بين السياسة والدين).

ثم يقول الأستاذ علي عبدالرازق (ص ٧٨ من الطبعة الأولى): (والدنيا من أولها إلى آخرها، وجميع ما فيها من أغراضٍ وغاياتٍ أهون على الله من أن يقيم على تديرها غير ما ركب فينا من عقول، وحبانا من عواطف وشهوات، وعلمنا من أسماء ومسميات، هي أهونُ على الله من أن يبعث لها رسولاً، وأهونُ عند رسل الله من أن يشتغلوا بها وينصبوا لتديرها)^(٢).

فهذا هو خلاصة ما دار بين الدكتور البيومي والشيخ علي عبدالرازق، ويلحظ فيه مدى اضطراب الشيخ علي في رأيه من أن رسالة الإسلام روحية، أو أنها شاملة.

١ - المرجع السابق ص ٣٠٨-٣٠٩.

٢ - المرجع السابق ص ٣٠٩-٣١٠.

الموقف الثالث: وهو ما ذكره الأستاذ أنور الجندى في كتابه: (إعادة النظر في كتابات العصرين في ضوء الإسلام).

حيث عقد ﷺ في ذلك الكتاب فصلاً قال فيه: (الفصل الخامس: كتاب الإسلام وأصول الحكم ليس من تأليف علي عبدالرازق بل من تأليف مرجليوث)^(١).

يقول الأستاذ الجندى بعد مقدمة قرر فيها أن الإسلام دين ودولة وليس ديناً روحياً فحسب: «ما ذهب إليه علي عبدالرازق عام ١٩٢٥م لم يكن من الإسلام في شيء، ولم يكن علي عبدالرازق نفسه إماماً مجتهداً، وإنما كان قاضياً شرعياً تلقفته قوى التغريب، فاصطنعته تحت اسم (التجديد) ودعي علي عبدالرازق إلى لندن؛ لحضور حلقات الاستشراق التي تروج للأفكار المعارضة لحقيقة الإسلام، وهدم مقوماته.

وأهدي هذا الكتاب الذي وضع عليه اسمه مترجماً إلى اللغة العربية، وطلب إليه أن يضيف إلى مادته بعض النصوص العربية التي يستطيع اقتباسها من كتب الأدب. أما الكتاب نفسه فكان من تأليف قزم من أقزام الاستشراق، وداهية من رجال الصهيونية واليهودية العالمية، هو (مرجليوث) الذي تقضي الصدف أن يكون صاحب الأصل الذي نقل عنه طه حسين بحثه عن (الشعر الجاهلي) والذي أطلق عليه محمود محمد شاكر (حاشية طه حسين على بحث مرجليوث) ويمكن أن نطلق الآن اسم (حاشية علي عبدالرازق على بحث مرجليوث)^(٢).

ويقرر بعد ذلك أن «قوى التغريب لا تزال تعيد نشره وطبعه مع مقدمات

١ - إعادة النظر في كتابات العصرين في ضوء الإسلام ص ٥٥ .

٢ - المرجع السابق ص ٥٥-٥٦ .

ضافية يكتبها كتاب مزللون شعويون يخدعون الناس بألقابهم وأسمائهم، وهم يجدون في هذه الفترة التي يرتفع فيها صوت تطبيق الشريعة الإسلامية، والدعوة إلى الوحدة الإسلامية - مناسبة لنفث هذه السموم مرة أخرى.

ولن يجديهم ذلك نفعاً؛ فإن كلمة الحق سوف تعلو وتنتشر، وتدحض باطل المضللين مهما تجمّعوا له، وقدّموه في صفحات برّاقة مزخرفة، وأساليب خداعة كاذبة»^(١).

ويبين بعد ذلك أن «أول من كشف حقيقة الكتاب هو الشيخ (محمد بنحيت) الذي ردّ على الشيخ علي عبدالرازق في كتابه (حقيقة الإسلام وأصول الحكم) وهو واحد من الكتب التي صدرت في الرد عليه حيث قال: (علمنا من كثيرين ممن يترددون على المؤلف أن الكتاب ليس له منه لا وضع اسمه عليه فقط؛ فهو منسوب إليه فقط؛ ليجعله واضعوه من غير المسلمين ضحية هذا العار، وأبسوه ثوب الخزي إلى يوم القيامة)»^(٢).

ثم يعقب الأستاذ الجندي على كلام الشيخ محمد بنحيت قائلاً: «قد علق الشيخ علي عبدالرازق على هذا المعنى حين قال للماركسيين الذين اتصلوا به سنة ١٩٦٤م لإعادة طبع كتابه أن هذا الكتاب كان شؤماً عليه، وقد ألصق به كثيراً من المتاعب والشبهات.

والحقيقة أنه بعد أن طرده الأزهيون من (هيئة العلماء) ظل منسياً ومهجوراً، وعاش بقية حياته منقطعاً عن الحياة العامة، بالرغم من أن محاولات جرت لإعادته إلى زمرة العلماء، وإلى مجمع اللغة؛ فقد كان أشبه باللعنة على حياته كلها»^(٣).

١ - المرجع السابق ص ٥٦ .

٢ - المرجع السابق ص ٥٦ .

٣ - المرجع السابق ص ٥٧ .

ويضيف الأستاذ الجندي قائلاً: «ومن هذا الخيط الرفيع بدأت محاولة الدكتور ضياء الدين الريس، فاستطاع أن يصل إلى الحقيقة بأن كاتب الكتاب في الحقيقة هو مستشرق إنجليزي يهودي الأصل شن الهجوم على الخلافة؛ لأن بلاده (بريطانيا) كانت في حرب مع تركيا، وقد أعلن الخليفة العثماني الجهاد الديني ضدها؛ فإنه يذكر بالاسم (السلطان محمد الخامس) الخليفة في ذلك الوقت الذي كان يسكن (قصر يلدز).

وهناك نص آخر عن (جماعة الاتحاد والترقي) وهي التي كانت تحكم تركيا -أي دولة الخلافة- طوال أعوام الحرب العالمية الأولى.

ونقول: إن الاتحاديين تلاميذ الماسونيين، وقد تربوا في محافلهم، واعتنقوا شعارهم ومفاهيمهم، وقاموا بدور مسموم وهو فتح باب فلسطين أمام اليهود المهاجرين، وكان السلطان عبد الحميد قد رفض ذلك، وكانوا هم -أي الاتحاديون- أداة الصهيونية العالمية في إسقاط هذا السلطان الشهيد»^(١).

ويذكر الأستاذ الجندي بعد ذلك ترجيح الدكتور الريس في نسبة الكتاب إلى مرجليوث، فيقول: «ورجَّح الدكتور ضياء الدين الريس أن مرجليوث اليهودي الذي كان أستاذاً للغة العربية في أكسفورد ببريطانيا هو كاتب الكتاب؛ لأن آراء الكتاب هي آراؤه التي كتبها من قبل عن الدولة الإسلامية، وفنَّدها الدكتور ضياء الدين الريس في كتابه (النظريات السياسية في الإسلام) وأثبت خطأها وبطلانها بالأدلة العلمية.

وهو يكتب عن الإسلام بنزعة حقد شديد، ويتسم أسلوبه بالمغالطات والمعلومات المضللة، والقدرة على التمويه، كما يتصف بالالتواء.

وهذه الصفات كلها تظهر في هذا الكتاب المنسوب إلى الشيخ عبدالرازق، ومعروف أن الشيخ علي عبدالرازق ذهب إلى بريطانيا، وأقام فيها عامين؛ فلا بد أنه كان متصلاً بالمستر مرجليوث، أو تتلمذ عليه.

وكذلك توماس أرنولد الذي يشير إليه الشيخ، ويصفه بالعلامة قد ألف كتاباً عن الخلافة هاجم فيه الخلافة بوجه عام، والعثمانية بوجه خاص، وقد نقدناه (القول للدكتور الريس) في كتابنا (النظريات السياسية الإسلامية)»^(١).

إلى أن يقول الأستاذ الجندي موضحاً تلك القصة: «والقصة تتلخص في أنه إبان الحرب العالمية الأولى والحروب دائرة بين الخليفة العثماني وبريطانيا أعلن الخليفة الجهاد الديني ضد بريطانيا، ودعا المسلمين أن يهتّبوا ليحاربوها، أو يقاوموها.

وكانت بريطانيا تخشى غضب المسلمين الهنود بالذات، أو ثورتهم عليها. في هذه الفترة كلفت المخابرات البريطانية أحد المستشرقين الإنجليز أن يضع كتاباً يهاجم فيه الخلافة، وعلاقتها بالإسلام، ويشوّه تاريخها؛ ليهدم وجودها، ومقامها، ونفوذها بين المسلمين، وقد استخدمت السلطات البريطانية هذا الكتاب في الهند وفي غيرها»^(٢).

إلى أن يقول: «وبعد أن انتهت الحرب كان الشيخ عبدالرازق قد اطلع على هذا الكتاب أو عثر عليه، هذا إن لم يفرض أن هذا كان باتفاق بينه وبين هذا المستشرق الذي اتصل به حينما كان في إنجلترا، أو في بعض الجهات البريطانية التي كانت تعمل في الخفاء؛ للقضاء على فكرة الخلافة، أو التي تحارب الإسلام، فأخذ الكتاب إلى اللغة العربية، أو أصلح لغته إن كان بالعربية،

١ - المرجع السابق ص ٥٨ .

٢ - المرجع السابق ص ٥٨-٥٧ .

وأضاف إليه بعض الأشعار أو الآيات القرآنية التي تبدو أنها لم تكن في أصل الكتاب ، وبعض الهوامش والفقرات ، وأخرجه للناس على أنه كتاب من تأليفه؛ ظناً منه أنه يكسبه شهرة ، ويظهره باحثاً علمياً ، ومتفلسفاً ذا نظريات جديدة ، غير مدرك ما في آرائه أو في ثنياه من خطورة.

ولا يستغرب هذا؛ لأنه لم يدرك أن إنكار القضاء الشرعي هو إنكار لوظيفته نفسه وعمله ، وإلغاء وجوده.

وكانت هذه هي البدعة السائدة في ذلك الوقت بين كتاب (السياسة) جريدة من أسموا أنفسهم (حزب الأحرار الدستوريين)»^(١).

ويسوق الأستاذ الجندي قرائن على أن كتاب (الإسلام وأصول الحكم) ليس من تأليف علي عبدالرازق ، ومن تلك القرائن ما يلي :

١. أن المؤلف يتحدث عن المسلمين كأنه أجنبي عنهم ، وهم منفصلون عنه؛ فيذكرهم بضمير الغائب ، ولا يقول: عندنا ، أو العرب ، أو نحو ذلك ، كما يقول المسلم عادة.

٢. يكرر الشيخ علي عبارة: عيسى وقيصر مرتين ، ويكرر الجملة التي يسميها الكلمة البالغة (دع ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله) مع أن أي مسلم صحيح الإسلام لا يمكن أن يؤمن بهذا التعبير ، وأن قيصر ، وما لقيصر لله رب العالمين.

٣. يتعاطف مع المرتدين الذين خرجوا على الإسلام ، وشنوا الحرب على المسلمين؛ فيدافع عنهم في الوقت الذي يحمل فيه على رأي أبي بكر الصديق رضي الله عنه المسلم الأول بعد رسول الله ﷺ فينكر خلافته ، ويقول: إن محاربتة لهؤلاء المرتدين لم تكن حرباً من أجل الدين ، ولكن نزاعاً في ملوكية ملك ،

ولأنهم رفضوا أن ينضموا لوَحدة أبي بكر.

وما هي وحدة أبي بكر؟ أليست وحدة المسلمين؟!.

ويقول: (حكومة أبي بكر) أليست حكومة الإسلام والمسلمين؟!.

ويتكلم على أبي بكر هكذا دون تبجيل أو احترام وكأنه رجل عادي، أو كما

يتكلم عدو.

فهل هذا أسلوب المسلم فضلاً عن الشيخ في الكلام عن الصحابة، وعن

أفضل الناس، وأحبهم إلى رسول الله ﷺ، وخير من دافعوا عن الإسلام،

وجاهدوا في سبيل الله -عز وجل-.

٤. أن الأسلوب الذي كتب به الكتاب أسلوب غريب، ليس مألوفاً في الكتب

العربية؛ فهو أسلوب مناورات ومراوغة، ويتصف بالالتواء، واللف،

والدوران؛ فهو يوجه الطعنة، أو يلقي بالشبهة، ثم يعود، فيتظاهر بأنه ينكرها،

ولا يوافق عليها ويفلت منها، ثم ينتقل؛ ليقذف بشبهة أو طعنة أخرى على

طريقة (اضرب واهرب) وحين يهاجم يصوغ عبارته في غموض.

وهذا يدل على أسلوب رجل سياسي متمرس في المحاوراة والمخادعة، وهو

أشبه بالأسلوب الأفرنجي، وأسلوب الدعايات السياسية، أو الدينية التبشيرية،

وليس هو أبداً الأسلوب العربي الصريح، فضلاً عن أسلوب أحد الشيوخ

المتعلمين في الأزهر، وهذا مما يغلب الرأي بأنه كتاب مترجم.

٥. لم يُعرف عن الشيخ علي عبدالرازق -من قبل- أنه كان كاتباً متمرس في

الكتابة، ومَرَن على التأليف، فيكتب بهذا الأسلوب، ويتعمد الطعن في الإسلام

وتاريخه وعظماء رجاله.

ولم يُعرف للشيخ كتاب أو مقالات من قبل هذا الكتاب (أي في السياسة

والتاريخ) بل كل ما كتب من قبل كان (كتيباً) في اللغة أو في علم البيان.

وهذا كل إنتاجه في أربعة عشر عاماً بعد تخرجه من الأزهر. ثم بعد أن كتب هذا الكتاب ظل أربعين عاماً لم يكتب كتاباً آخر في نفس موضوعه أو مثله، ولم يحاول أو لم يستطع حتى أن يدافع عن نفسه، ويرد على خصومه بكتاب آخر.

٦. هناك من القرائن والأدلة العديدة ما يدعو العقل إلى أن يرجع صحة الخبر الذي رواه فضيلة المفتي الشيخ محمد بخت نقلاً عن كثيرين من أصحاب الشيخ علي عبدالرازق المترددين عليه من أن مؤلف الكتاب شخص آخر من غير المسلمين، وقد غلبنا نحن أنه أحد المستشرقين، ولكننا نقيدها هذا الخبر بأن الشيخ قد أضاف بعض فقرات وتعليقات، وأنه هو الذي أورد آيات من القرآن، وأبياتاً من الشعر التي استشهد بها، كما كتب المقدمة التي زعم فيها أنه بدأ البحث في تاريخ القضاء منذ سنة ١٩١٥م؛ وذلك ليغطي المفارقة الظاهرة بين وضع الكتاب ووقت صدوره؛ فإنه من غير المعقول أن يستغرق تأليف كتيب لا يزيد عن مائة صفحة عشر سنوات.

ثامناً: كانت هناك أسباب ودوافع مختلفة دفعت الشيخ إلى إصدار هذا الكتاب، ولكن كان أقواها في نهاية الأمر حب الظهور، والرغبة في الشهرة، وأن يوصف بأنه باحث أو محقق أو مجدد، كما فعل غيره من قبل.

ونحن نعرف أن مسألة انتحال الكتب، أو عدم الأمانة في نسبة الأمور والمعلقات مسألة مألوفة في الشرق، ولا سيما في النقل من الكتب الأجنبية.

وفي مثل هذه المسائل بالذات فإن هذه الحال أسهل؛ لأن النقل أو الترجمة من كتيب مجهول، أو كانت المسألة بتصريح، أو اتفاق؛ لخدمة غرضين، فالطرف الأول يريد نشر آرائه؛ لغايات سياسية ودينية، والطرف الثاني له مآرب سياسي

-أيضاً- ولكن الدافع الذاتي أنه يريد الشهرة، أو الظهور، أو الغرور^(١).
فهذه هي خلاصة القرائن التي يرى الأستاذ الجندي من خلالها أن الكتاب ليس من تأليف الشيخ علي عبدالرازق.

ويختتم الأستاذ الجندي الكلام بقوله: «وهكذا تنكشف تلك المؤامرة الخطيرة التي استغلها الاستشراق، وبعض التغريبيين خصوم الشريعة الإسلامية؛ للقول بأن هناك رأيين، بينما لا يوجد غير مفهوم واحد، هو أن الإسلام دين ومنهج حياة ونظام مجتمع، وأن هذا ما قال به علي عبدالرازق هو وجهة نظر الاستشراق الصهيوني التلمودي الهدّام، وأنه ليس رأي أي مجتهد، أو عالم، أو إمام في الإسلام، وأن علي عبدالرازق لم يكن إلا مضللاً أو مخدوعاً^(٢)».

ويقول الأستاذ الجندي في موضع آخر من كتابه المذكور بعد أن تكلم على علي عبدالرازق ودوره في التغريب: «هذه صورة علي عبدالرازق صاحب كتاب الإسلام وأصول الحكم، الذي أحدث في الإسلام حدثاً لم يُقَلْ به أحدٌ من قبله، وهو أن الإسلام دين روحي، والتشكيك في دولة الإسلام التي أقامها النبي ﷺ، وأن دين محمد ﷺ كدين المسيح -عليه السلام- لا رسالة له، ولا حكم، ولا دولة. وقالوا: إن الكتاب إنما أريد به معارضة الملك فؤاد في سعيه نحو إقامة الخلافة في مصر بعد سقوطها في تركيا.

وهي قولة خادعة؛ فإن الكتاب استهدف ضرب مفهوم الإسلام القائم على أنه دين ودولة في الصميم^(٣)».

١ - انظر المرجع السابق ص ٥٨-٦١، والنظريات الإسلامية السياسية د. ضياء الدين الرئيس.

٢ - إعادة النظر في كتابات العصرين في ضوء الإسلام ص ٦٢.

٣ - المرجع السابق ص ١٢٣-١٢٤.

المبحث الثالث: إشكالات منهجية في كتاب (الإسلام وأصول الحكم)

ما مضى من إشكالات في نسبة الكتاب إلى الشيخ علي عبدالرازق، ومدى قناعته بالآراء التي أوردها فيه - إنما هي بعض ما أثير حول ذلك الكتاب؛ إذ هناك إشكالات كثيرة غير ما ذكر، ومنها على سبيل المثال الإشكالات المنهجية التي تُستغرب من باحث يتبوأ مقعد القضاء، ويحمل شهادة الأزهر وما أدراك ما الأزهر في ذلك الوقت؛ من حيث القوة، والمنهجية.

ومع ذلك يقع الشيخ علي في خلط، وخلل كثير في المنهج.

ومن الأمثلة على ذلك - زيادة على ما مضى - ما يلي:

أولاً: عزوه الأحاديث النبوية إلى كتب الأدب ككتاب (الكامل) للمبرد^(١)، و (العقد الفريد) لابن عبدبره الأندلسي^(٢).

ومعلوم أنها كتب أدب لا كتب حديث يُستند، ويرجع إليها في عزو الأحاديث. وهذا ما نعاه عليه الشيخ محمد الخضر حسين في معرض نقضه لكتاب (الإسلام وأصول الحكم) وذلك عندما عَقَّب على كلمة لعلي عبدالرازق يثني فيها على الأنظمة للحكومة الحديثة، وأن فيها من الضبط الشيء الكثير «مما لم يوجد منه شيء في أيام النبوة ولا أشار إليه النبي ﷺ»^(٣).

قال الشيخ الخضر معقَّباً: «إن القارئ ليجتسم لهذه الجملة عجباً، بل يتميزق لها قلبه أسفاً؛ فإن هذه المقالة إن صح أن تخرج من فم عالمٍ فإنما تصدر من حافظ

١ - انظر الإسلام وأصول الحكم ص ١٠٠ .

٢ - المرجع السابق ص ٦٤ .

٣ - الإسلام وأصول الحكم ص ١٠٣ .

حجة خاض في علم السنّة، وعرف الصحيح والضعيف والموضوع، ونقد الأسانيد بقانون علمي مستقيم.

ولكن المؤلف لم يزل في طبقة من ينقلون الأحاديث من (الكامل) للمبرد وأصحاب هذه الطبقة لا يدخلون في حساب علماء الشريعة، وإن وضعوا على رؤوسهم عمام، وجلسوا مجلس الفتوى أو الحكم بين الناس»^(١).

وقال في موضع آخر: «وإن تعجب، فعجب قول المؤلف: إن النبي -عليه السلام- (لم يشر طول حياته إلى شيء يسمّى: دولة إسلامية).

ولقد ذهب هذا القلم في الجرأة إلى مكان سحيق.

يقول حفاظ السنّة: لم نسمع كذا، أو لم يبلغنا كذا، ويقول من ينقل حديث رسول الله ﷺ عن (الكامل) للمبرد: (لم يشر - عليه السلام - طول حياته إلى شيء يسمّى: دولة إسلامية!).

من مثل هذه العبارة يدرك قراء كتابه الأذكياء وأشبه الأذكياء: أنه يرمي بالكلام جزافاً، ويحاول أخذ قلوبهم ولو على طريق غير معقول، ومنطق ليس له فروع ولا أصول.

يرمي المؤلف هذه المقالة الخاطئة، وفي السنّة الصحيحة من أحاديث الإمامة ما فيه عبرة لقوم يفقهون، وقد قصصنا منها ما لا يمكن للمؤلف أن ينازع في صحته، أو يحرفه بالتأول عن مواضعه»^(٢).

وقال الشيخ الخضر معقباً على علي عبدالرازق حين عزا حديثاً إلى كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي.

قال - أي الشيخ الخضر -: «نتحدث مع المؤلف فيما عراه إلى أبي هريرة،

١ - نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم ص ٢٠٤-٢٠٥.

٢ - المرجع السابق ص ٢٥٦-٢٥٧.

فنذكره بأن (العقد الفريد) كتاب أدب لا يليق برجل يبحث في موضوع ديني أن يستند إلى شيء مما ينقله ذلك الكتاب عن صحابي أو غيره.

وإذا أباح لنفسه الاستشهاد بما بين دفتي (العقد الفريد) فلا يحق له بعد هذا أن يعتمد إلى أحاديث في (صحيح البخاري ومسلم) يراها واقفة في سبيل بعض آرائه، فيقول: لنا أن ننازع في صحتها»^(١).

ثانياً: رجوعه إلى غير المتخصصين في المسائل الشرعية في هذه المسألة الخطيرة، وهذا مما أخذه عليه الشيخ الخضر في نقضه لكتابه، وذلك كما في قول علي عبدالرازق في شأن الخلافة: «وإذا أردت مزيداً في هذا البحث فارجع إلى كتاب (الخلافة) للعلامة السير تومس أرندل؛ ففي الباب الثاني والثالث منه بيان ممتع مقنع»^(٢).

عقب عليه الشيخ الخضر بقوله: «ولو أحالنا المؤلف على كتاب السير أرنولد في بحث تاريخي، أو اجتماعي له مساس بالخلافة - لأخذ منا الأسف على أن فاتنا الاطلاع عليه مأخذاً بليغاً.

ولكنه أحالنا على كتاب السير أرنولد في تحقيق حكم شرعي، فقلنا: لعله أراد الجد بشيء من الهزل، أو إخراج أحكام الشريعة من دائرة الراسخين في علومها. يجب أن تكون قيمة الأحكام الشرعية في نظر المؤلف فوق هذا التقدير، وما ينبغي له أن يخيل إلينا أننا في حاجة إلى الاقتداء بعقول الغربيين حتى في أمور الدين من واجب وحرام.

وإذا كان المؤلف يدري أن للشريعة أصولاً ومقاصد لم يدرسهما السير أرنولد حق دراستهما - فإن إحالتنا على كتابه ليست سوى عثرة في سبيل البحث

١ - نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم ص ١٧.

٢ - الإسلام وأصول الحكم ص ٥٠.

تعترض السدّج من الأحداث ، فتكبو بهم في تردد وارتياب»^(١).

ثالثاً: كثرة الخلط والمغالطات: يقول الشيخ الخضر في مقدمة كتابه (نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم) بعد أن بيّن وقوفه على الكتاب المردود عليه ، وإحسانه الظن بمؤلفه في بداية الأمر إلى أن اتضح له يقيناً ما يرمي إليه^(٢) - قال مبيناً بإيجاز ما تضمنه ذلك الكتاب من باطل: «فوق المؤلف سهامه في هذا الكتاب إلى أغراض شتى ، والتوى به البحث من غرض إلى آخر ، حتى جحد الخلافة ، وأنكر حقيقتها ، وتحطى هذا الحد إلى الخوض في صلة الحكومة بالإسلام. وبعد أن ألقى حبالاً وعصياً من التشكيك والمغالطات زعم أن النبي -عليه السلام- ما كان يدعو إلى دولة سياسية ، وأن القضاء وغيره من وظائف الحكم ومراكز الدولة ليست من الدين في شيء ، وإنما هي خطط سياسية صِرْفة لا شأن للدين بها.

ومسّ في غضون البحث أصولاً لو صدق عليها ظنّه لأصبحت النفوس

١ - نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم ص ٤٥.

٢ - لتأليف الشيخ الخضر كتابه المذكور قصة طريفة تبين إخلاصه ، وغيرته ، ونزاهته ، وطهارة ساحته؛ حيث كانت له علاقة حميمة بأسرة آل عبدالرازق ، وكان غريباً في مصر ليس له أشياخ ولا قرابة؛ فلم يمنعه ذلك من الرد على علي عبدالرازق ، وتضحيته بتلك العلاقة في سبيل ما يراه حقاً.

يروى الشيخ محب الدين الخطيب -صديق الشيخ الخضر- هذه القصة الطريفة ، فيقول: «كان السيد محمد الخضر صديقاً حميماً لآل عبدالرازق ، ويزورهم ، ويسر بلقائهم.

فلما كاد الكتاب - يعني كتاب (الإسلام وأصول الحكم) لعلي عبدالرازق - ينتهي طبعه ، وكان لا يعرف مذهب مؤلفه فيه طلبوا منه أن يمدّهم بعنوانين كبار العالم العربي والإسلامي؛ ليهدوا الكتاب إليهم ، فطلب الشيخ هذه العنوانين مني ، وكتب له بها قائمة طويلة ، ثم صدر الكتاب ، وأهدوا نسخة منه إلى الشيخ ، ونسخة أخرى لمجلة (الزهراء) التي كنت أصدرها؛ فراعنا من الكتاب أنه ينكر كون الإسلام دينَ حكم ، فانتقدته أنا في (مجلة الزهراء) وكتب الشيخ علي مقالة افتتاحية في جريدة (السياسة) يجيب بها على نقدي ، وتفرض قبيدناً -يعني الشيخ الخضر- لنقد الكتاب فقرة فقرة ، وفي أقرب وقت صدر كتاب (نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم) وفي شهر واحد نفذت طبعته؛ لشدة الإقبال عليها». محمد الخضر حسين بأقلام نخبة من أهل الفكر ، إعداد علي الرضا الحسيني ، ص ٥٧ .

المطمئنة بحكمة الإسلام وآدابه مزلزلة العقيدة، مضطربة العنان»^(١).

ثم انتقل بعد ذلك إلى بيان أن خطورة ذلك الكتاب تكمن في كونه قد صدر من ذي علم، وانتساب للقضاء الشرعي، فقال: «كنا نسمع بعض مزاعم هذا الكتاب من طائفة لم يتفقهوا في الدين، ولم يحكموا مذاهب السياسة خبرة، فلا نقيم لها وزناً، ولا نحرك لمناقشتها قلماً؛ إذ يكفي في ردها على عقبيها صدورُها من نفرٍ يرون الحطّ في الأهواء حرية، والركض وراء كل جديد كياسة. كنا نسمع هذه المزاعم، فلا نزيد أن نعرض عمّن يلغظون بها حتى يخوضوا في حديث غيرها.

أما اليوم، وقد سرت عدواها إلى قلم رجلٍ ينتمي للأزهر الشريف، ويتبوأ في المحاكم الشرعية مقعداً - فلا جرم أن نسوقها إلى مشهد الأنظار المستقلة، ونضعها بين يدي الحجة، وللحجة قضاء لا يستأخر، وسلطان لا يحابي ولا يستكين»^(٢). ثم بين -بعد ذلك- مراده من ذلك الرد، فقال: «لا أقصد في هذه الصحف إلى أن أعجم الكتاب جملة، وأغمز كل ما ألقيه فيه من عوج؛ فإن كثيراً من آرائه تحدثك عن نفسها اليقين، ثم تضع عنقها في يدك، دون أن تعتصم بسند، أو تستتر بشبهة.

وإنما أقصد إلى مناقشته في بعض آراء يتبرأ منها الدين الحنيف، وأخرى يتذمر عليه من أجلها التاريخ الصحيح، ومتى أميط اللثام عن وجه الصواب في هذه المباحث الدينية التاريخية بقي الكتاب أفاظاً لا تعبر عن معنى، ومقدمات لا تتصل بنتيجة»^(٣).

١- المرجع السابق ص ٨-٩.

٢- المرجع السابق ص ٩.

٣- المرجع السابق ص ٩-١٠.

ثم بين بإيجاز شديد خطته في الرد، فقال: «والكتاب مرتب على ثلاثة كتب، وكل كتاب يحتوي على ثلاثة أبواب، وموضوع الكتاب الأول: الخلافة والإسلام، وموضوع الكتاب الثاني: الحكومة والإسلام، وموضوع الكتاب الثالث: الخلافة والحكومة في التاريخ»^(١).

ثم بين بإيجاز وبلاغة طريقته في النقد، فقال: «وطريقتنا في النقد أن نضع في صدر كل باب ملخصاً ما تناوله المؤلف من أمهات المباحث، ثم نعود إلى ما نراه مستحقاً للمناقشة من دعوى أو شبهة، فنحكي ألفاظه بعينها، ونتبعها بما يزيح لبسها، أو يجل لغزها، أو يجتثها من منبتها»^(٢).

وهكذا أفصح الشيخ الخضر من خلال هذه المقدمة البليغة المحكمة ما وقع فيه علي عبدالرازق من خلل، وخطل، وخط، وأفصح عما يريده من تأليف ذلك الرد. ثم مضى بعد ذلك في نقض كتاب: (الإسلام وأصول الحكم) في سطوع حجة، وروعة بيان، واستجماع ثقافة.

ثم ختم كتابه بقوله مقارناً بين صنيع أتاتورك الذي طبق العلمانية عملياً، وقام بهدم الخلافة، وبين صنيع علي عبدالرازق الذي نظّر لها علمياً: «قام في زمن قريب بعض من تخبطه الجهل والغرور، وصاح في وجه حكومة شعب مسلم صيحة المعرّب، منكرّاً عليها ما قرّرت في قانونها الأساسي؛ من جعل الإسلام ديناً رسمياً للدولة.

وقد ردّد المؤلف في نتيجة أبوابه التسعة هذه الصيحة؛ إذ حاول أن يقطع الصلة بين الدين والسياسة، ويحارب آداب الإسلام القاعدة للإباحية الفاسقة في كل مرصد.

١- المرجع السابق ص ١٠.

٢- المرجع السابق ص ١٠.

ولكن الفرق بين ذلك الصائح وهذا الصدى: أن الأول وثب على المسألة وثوب أهبل لا يعرف يمينه من شماله.

أما المؤلف، فقد أدرك أن الأمة مسلمة، وأن الإسلام دين وشريعة وسياسة، وأن هاتين الحقيقتين يقضيان على الدولة أن تضع سياستها في صبغة إسلامية؛ فبداله أن يعالج المسألة بيد الكيد والمخاتلة، ويأتيها باسم العلم والدين؛ فكان من حذقه أن التقط تلك الآراء الساقطة خلطها بتلك الشبه التي يخزي بعضها بعضاً، وأخرجها كتاباً يحمل سموماً لو تجرّعها المسلمون لتبدلوا الكفر بالإيمان، والشقاء بالسعادة، والذلة بالعزة، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُتَنَفِّقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ المنافقون: ٨ «^(١).

وفي غضون نقض الشيخ الخضر بيان لكثير من ذلك الخلط والمغالطة واللبس الذي وقع فيه الشيخ علي عبدالرازق في كتابه (الإسلام وأصول الحكم). ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في كتابه المذكور؛ حيث التبس على علي عبدالرازق حاتم الأصم بحاتم الصوفي، فقال بعد أن نقل كلام ابن خلدون: «وقد شذ بعض الناس فقال بعدم وجوب هذا المنصب رأساً لا بالعقل ولا بالشرع، منهم: الأصم من المعتزلة»^(٢).

ثم ذكر علي عبدالرازق أسفل الصحيفة معرفاً بالأصم، فقال: «حاتم الأصم الزاهد المشهور البلخي»^(٣).

قال الشيخ الخضر معلقاً: «التبس على المؤلف حال الأصم المعتزلي، وهو أبو بكر عبد الرحمن بن كيسان بحاتم الأصم الصوفي، وقد ذكره السيد في (شرح

١- نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم ص ٣٠١.

٢- الإسلام وأصول الحكم ص ٤٧.

٣- المرجع السابق ص ١٥٠.

المواقف) والسعد في (شرح المقاصد) بلقب أبي بكر، وذكره إمام الحرمين في كتاب (غياث الأمم) باسمه عبد الرحمن بن كيسان، وجمع أحمد بن يحيى المرتضى في (طبقات المعتزلة) بين اسمه ولقبه، فقال: أبو بكر عبد الرحمن بن كيسان الأصم»^(١).

ومن الأمثلة -أيضاً- على ذلك الخلط ما جاء في كتاب (الإسلام وأصول الحكم) لعلي عبدالرازق؛ حيث تكلم في أحد مباحث كتابه على تولية عمر وعلي ومعاذ -رضي الله عنهم- القضاء في كلام يطول، وفيه ما فيه من الشبه التي تولى الشيخ الخضر كشفها، ونقضها.

والذي يعني في هذا المقام إظهار الخضر خلط الشيخ علي؛ بين الزكاة والخمس. يقول الشيخ الخضر في معرض نقضه: «يقول الإمام البخاري: بعث علياً بعد ذلك ليقبض الخمس.

ومن الجليّ لدى المبتدئين من طلاب العلم أن المراد: خمس الغنيمة. ولكن المؤلف الذي لم يقنع برتبة مجتهد، وحاول أن يكون مشرعاً، يقول: (ويروي الآخر: أنه كان لقبض الخمس من الزكاة).

وليس في الزكاة شيء يقال له: الخمس، ولكن الله ضرب هذا المثل؛ لنشهد به حظ المؤلف من فهم كتب الشريعة، وليعلم الذين يريدون أن يتبعوا خطواته أنهم ركبوا غارب عشواء، وفتحوا أعينهم في ليلة ظلماء»^(٢).

رابعاً: كثرة المجازفات: ففي ذلك الكتاب مجازفات كثيرة أطلقها الشيخ علي دون مبالاة مع أن الأمر يخالفها تماماً.

والدعاوى التي أطلقها جزافاً ليس من قبيل التحليل الذي تتفاوت فيه الأنظار.

١ - نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم ص ٤٠.

٢ - نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم ص ١٤٠.

وإنما هي من قبيل الوقائع التي تحتاج إلى أمانة في النقل ، وتصوير للأمر كما هو.

والذي يقرأ ذلك الكتاب وهو عاطل من الاطلاع على الإسلام : شريعته ، وعقائده ، وتاريخه ، ورجالاته - قد ينطلي عليه ذلك الأمر.

أما مَنْ عنده أدنى نظر من ذلك فإنه يدرك أن أغلب تلك المجازفات يكذبها الواقع.

وإلا كيف يسوعُ للشيخ علي أن يزعم أن الإسلام كالنصرانية من جهة كونها صلة روحية بين العبد وربّه فحسب ، وهو الأزهرى الذي قرأ القرآن الكريم ، ونظر في السنة النبوية؟ كيف غابت عنه الآيات الكثيرة التي تأمر بالحكم بين الناس بما أنزل الله ، وتحذر أشد التحذير من ضد ذلك ، وأنه فسوق ، وظلم ، وكفر؟!.

وكيف غاب عنه نصوص المواريث ، والعقود ، والمواثيق ، والبيوع ، والمعاملات ، ونحو ذلك؟

وكيف غابت عنه السيرة النبوية وهي المليئة بما كان يحكم ويقضي به النبي ﷺ بين الناس؟

وكيف يجازف ويقول : « إنه لعجب عجيب أن تأخذ بيدك كتاب الله الكريم ، وتراجع النظر فيما بين فاتحته وسورة الناس ، فترى فيه تصريف كل مثل ، وتفصيل كل شيء من أمر هذا الدين ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ، ثم لا تجد فيه ذكراً لتلك الإمامة العامة ، أو الخلافة؛ إن في ذلك لمجالاً للمقال.

ليس القرآن وحده هو الذي أهمل تلك الخلافة ، ولم يتصدّ لها ، بل السنة كالقرآن - أيضاً - قد تركتها ، ولم تتعرض لها.

يدلك على هذا أن العلماء لم يستطيعوا أن يستدلوا في هذا الباب بشيء من

الحديث»^(١).

كيف يدّعي هذه الدعوى العريضة مع أن الأمر - في الواقع - بخلافها. قال الشيخ الخضر في معرض نقضه لتلك الدعوى: «في القرآن بيان كل شيء من أمور الدين، وأحكام الوقائع، وليس معنى هذا التبيان أنه يذكر أحكام الأشياء على وجه التفصيل، حتى إذا رجعنا إليه في قضية، ولم نجد لها حكماً مفصلاً، خالطت قلوبنا الريبة من حكمها الذي دلت عليه السنّة، أو انعقد عليه إجماع أهل العلم، أو شهدت به القواعد المسلّمة.

وإنما معنى تبيانه لكل شيء: أنه أتى بكليات عامة، وهي معظم ما نزل به، وفصل بعض أحكام، وأحال كثيراً من آياته على بيان السنّة النبوية، ثم إن الكتاب والسنّة أرشداً إلى أصول أخرى؛ كالإجماع، والقياس، وغيرهما من القواعد المستفادة من استقراء جزئيات كثيرة؛ كقاعدة: (المصالح المرسلّة) وقاعدة: (سد الذرائع).

قال أبو إسحاق الشاطبي في كتاب (الموافقات): تعريف القرآن بالأحكام الشرعية أكثره كلي لا جزئي... فإذا نظرنا إلى رجوع الشريعة إلى كلياتها المعنوية، وجدناها قد تضمنها القرآن على الكمال، وهي الضروريات، والحاجيات، والتحسينات، ومكمل كل واحد منها، وهذا كله ظاهر أيضاً، فالخارج من الأدلة عن الكتاب هو: السنّة، والإجماع، والقياس، وجميع ذلك إنما نشأ عن القرآن.

فإن لم ينص القرآن على حكم الخلافة، فإن في أيدينا من طرق تبيانه السنّة والإجماع والقياس، والقواعد التي لا يأتيها الريب من بين يديها ولا من

خلفها»^(١).

وبعد أن فند الشيخ الخضر تلك الشبه التي أثارها الشيخ علي حول هذا المعنى ، وأورد عدداً من الأمثلة والأدلة التي تنقض كلام الشيخ علي قال : «ولسنا في حاجة إلى مناقشة هذه الأمثلة بعد أن كشفنا عن وجه دلالة الأمر بإطاعة صاحب الدولة على حكم ولايته ، وذلك الوجه من الدلالة لا يوجد في هذه الأمثلة ، وما كان لها إلا أن تُلَفَّ رؤوسها حياءً ، وتزدحم على باب هذه المبحث متسابقة إلى الخروج منه»^(٢).

ومن المجازفات التي أطلقها الشيخ علي في كتابه قوله : «من الملاحظ البين في تاريخ الحركة العلمية عند المسلمين أن حظ العلوم السياسية فيهم كان بالنسبة لغيرها من العلوم الأخرى أسوأ حظاً ، وأن وجودها بينهم كان أضعف وجوداً؛ فلسنا نعرف لهم مؤلفاً في السياسة ، ولا مترجماً ، ولا نعرف لهم بحثاً في شيء من أنظمة الحكم ولا أصول السياسة ، اللهم إلا قليلاً لا يقام له وزن إزاء حركتهم العلمية في غير السياسة من الفنون؛ ذلك وقد توافرت عندهم الدواعي التي تدفعهم إلى البحث الدقيق في علوم السياسة ، وتظاهرت لديهم الأسباب التي تعدهم للتعلم الدقيق فيها»^(٣).

إلى أن يقول : «وأقل تلك الأسباب أنهم -مع ذكائهم الفطري ، ونشاطهم العلمي- كانوا مولعين بما عند اليونان من فلسفة وعلم.

وقد كانت كتب اليونان التي انكبوا على ترجمتها ، ودرسها كافية في أن تغريهم بعلم السياسة ، وتحييه إليهم؛ فإن ذلك العلم قديم ، وقد شغل كثيراً من

١ - نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم ص ٤٦ .

٢ - المرجع السابق ص ٥٣-٥٤ .

٣ - الإسلام وأصول الحكم ص ٥٧-٥٨ .

قدماء الفلاسفة اليونانيين ، وكان له من فلسفة اليونان ، بل في حياتهم شأن خطير»^(١) .

يقول هذا الكلام في كتاب قال في مقدمته : « شرعت في بحث ذلك كله منذ بضع سنين »^(٢) .

فكيف غاب عن باله ، ونسي أو تناسى - والتناسى شر من النسيان- ما قام به علماء المسلمين منذ مطلع الإسلام إلى عصورنا المتأخرة من جهد جبار ، وبحث متواصل في السياسة ، والحكم نتج عنه مؤلفات كثيرة لا تكاد تحصى ؟ .

هل يجهلها الشيخ علي ؟ وهل يليق بمثله - وقد تصدى لتلك المهمة الخطيرة ، وادعى أنه بحث ذلك منذ بضع سنين- أن تفوته تلك المؤلفات ؟!

فهذا - في الحقيقة- موطن غرابة ، وهذا مما فتح عليه ثغرات من قبل خصومه الذين ردوا عليه .

يقول الشيخ محمد الخضر حسين رداً على كلام الشيخ علي الآنف الذكر : « ظل المؤلف مستهتراً^(٣) بشهوة فصل الإسلام عن وظيفة إصلاح السياسة ، فرأى أن من المقدمات المساعدة له على هذا الغرض محتالة نفس القارئ ، وأخذها إلى الاعتقاد بأن زعماء الإسلام أو علماءه أهملوا النظر في أنظمة الحكم وأصول السياسة .

لم يكن حظ المسلمين من علم السياسة سيئاً ، ولا وجودها بينهم كان أضعف وجود ، وعرفنا لهم في السياسة مؤلفات شتى »^(٤) .

١ - المرجع السابق ص ٥٨ .

٢ - المرجع السابق ص ٣٢ .

٣ - يعني ههنا بقوله (مستهتراً) : مولعاً .

٤ - نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم ص ٦١ .

ثم ذكر الشيخ الخضر جملة من تلك المؤلفات التي تثبت عناية علماء الإسلام بالسياسة فقال: «اطلعوا على كتاب (السياسة) لأفلاطون، الذي عربه حنين بن إسحاق، وترجم بعض فصوله أيضاً أحمد بن يوسف الكاتب المتوفى سنة ٣٤٠هـ، وكتاب (السياسة) تأليف قسطا بن لوقا البعلبكي، وكتاب (المتوَج في العدل والسياسة) للصايي، وأشار ابن خلدون في (مقدمته) إلى أن كتاب أرسطو في السياسة كان متداولاً بين الناس، وألف الكندي في السياسة اثني عشر تأليفاً، منها: (رسالته الكبرى في السياسة)، (ورسالة في سياسة العامة).

وألف أحمد بن الطيب، أحد المنتمين إلى الكندي كتاب: (السياسة الكبير)، وكتاب: (السياسة الصغير).

وألف أبو نصر الفارابي ثمانية مؤلفات في السياسة، منها: السياسة المدنية، (وهو الاقتصاد السياسي الذي يدعي أهل التمدن الحديث أنه من مخترعاتهم)، ومن مؤلفاتهم: كتاب (سياسة الملك) للماوردي، و(سياسة المالك في تدبير الممالك) لابن أبي الربيع، وهو جليل جداً، لم يغادر بحثاً من أبحاث العمران والسياسة والأخلاق إلا طرقة، وكتاب (سراج الملوك) لأبي بكر الطرطوشي، وكتاب (نهج السلوك في سياسة الملوك) للشيخ عبد الرحمن بن عبد الله، و(قوانين الدواوين في نظام حكومة مصر وقوانينها) لأبي المكارم أسعد بن الخطير، إلى غير ذلك من فصول ممتعة احتوى عليها كتاب (المسالك) لابن خرداذبة، و(مقدمة) ابن خلدون، و(عيون الأخبار) لابن قتيبة، و(العقد الفريد) لابن عبد ربّه»^(١).

ويواصل الشيخ الخضر بيانه عناية المسلمين بالسياسة فيقول: «ويتصل بهذا كتب

في أخلاق الملوك؛ ككتاب: (أخلاق الملوك) للفتح ابن خاقان، وكتاب: (التاج في أخلاق الملوك) للجاحظ، وكتاب: (أخلاق الملوك) لمحمد بن حارث التغلبي، و(التاج في سيرة كسرى أنوشروان) لابن المقفع، وكتاب: (السفارة والسفراء)، وكتاب: (جند الوزارة وحراسة حصن الصدارة) لحسن بن عبد الكريم البرزنجي، وكتاب: (لطائف الأفكار وكاشف الأسرار) في علم السياسة، ألفه القاضي حسين ابن حسن السمرقندي، للوزير إبراهيم باشا سنة ٩٣٦هـ في خمسة أبواب، الأول: في السياسات، فهو من قبيل الموسوعات، لكنه يشتمل على ضروب من السياسة، منه نسخة في فيينا).

هذا ما اطلعنا عليه، أو على التعريف به في بعض كتب التاريخ، وقد منيت المكاتب الإسلامية من بلايا الإحراق والإغراق والإتلاف، التي سامها بها أعداء العلم على ما هو معروف في التاريخ من هجمات التتار على بغداد، ونائبة خروج المسلمين من الأندلس، ونكبات الحروب الصليبية في الشام ومصر وغيرهما؛ علاوة على ما غشي الأمة من ظلمات الجهل في عصورها الأخيرة، حتى ضاع من بين أيديها كثير مما أبقته تلك النكبات»^(١).

ثم يقول بعد ذلك: «هذا وقد شهد أولو العلم أن الإسلام قد رسم للسياسة خطة واسعة، وسن لها نظاماً عامة، حسبما نوافيك ببيانه في الموضوع اللائق به؛ فصرفوا أنظارهم في دراسة تلك الخطة، والتفقه في هاتيك النظم؛ حيث كانت سياستهم العملية موصولة بها، وقائمة على أسسها، ومن المؤلفات على هذا النمط كتاب: (غياث الأمم) لإمام الحرمين، وكتاب: (الطرق الحكمية في السياسة الشرعية) لابن القيم، وكتاب: (السياسة الشرعية لإصلاح الراعي والرعية) لابن تيمية، وكتاب: (الأحكام السلطانية) للماوردي، وكتاب: (الأحكام السلطانية) للقاضي أبي يعلى،

وكتاب: (إكليل الكرامة) لصديق حسن خان، ورسالة (السياسة الشرعية) لإبراهيم يخشى زادة، توجد في برلين.

أثر المسلمون أن ينظروا إلى السياسة بمرآة الشريعة، فترى كثيراً من رجال الدولة إذا حركوا أعلامهم في تحرير سياسي، نفخوا فيه روحاً من حكمة الشريعة، وكسوه حلة من حلال آدابها الوضّاءة»^(١).

ويختتم الشيخ الخضر كلامه في هذا السياق قائلاً: «فالحق أن حظ المسلمين في السياسة لم يكن منقوصاً، وأن منزلتهم فيها كانت فوق المنزلة التي قعد بها المؤلف عندها، وبالغ في استصغار شأنها»^(٢).

فهذه أمثلة يسيرة من بعض ما جاء في ذلك الكتاب من الإشكالات المنهجية، والخلط، والمجازفة، ونحو ذلك، وليس المقام ههنا مقام التنفيذ لما جاء في ذلك الكتاب^(٣).

وعلى كل حال فسواء كان الكتاب لعلي عبدالرازق أو لغيره، أو أنه شارك في تأليفه، أو أضاف عليه ما أضاف؛ فأشربه صبغة شرعية، ونفخ فيه روحاً إسلامية، وسواء كان متمسكاً بتلك الآراء التي ضمنها كتابه، أو كان راجعاً عنها - فإن الكتاب منسوب إليه، ولم يُظهر البراءة منه صراحة؛ ولا يُدرى - على وجه الدقة - دافعه إلى تأليف ذلك الكتاب، وإيراده تلك الآراء، أهو يريد شهرة في بداية حياته؟ أم أنها خطوة لم يحسب حسابها، وينظر في تبعاتها؟ أم أنه جامل في بداية الأمر ثم صعب عليه العودة في منتصف الطريق؟ أم أنها شُبّه تخطفها دون أن يتبين جليّة أمرها؟ ثم هل هو نادم على إخراج الكتاب؟ وإذا كان كذلك فلماذا لم

١ - المرجع السابق ص ٦٥-٦٦.

٢ - المرجع السابق ص ٦٧.

٣ - انظر تفصيل ذلك في كتاب (منهج الشيخ محمد الخضر حسين في مواجهة الانحرافات العقدية والفكرية) للكاتب.

يظهر ندمه علانية؟ أهو خوف سقوط المكانة؟ أم أنهم الأكابر يخطؤون في العلانية ويتوبون في السر؟ ولماذا لم يتراجع صراحة عما جاء في الكتاب؟ خصوصاً وأنه رأى آثاره الوخيمة؛ حيث عاش بعد تأليف ما يزيد على اثنتين وأربعين سنة. أسئلة تحتاج إلى مزيد بحث وتحريٍّ وعدل؛ للوقوف على حقيقتها. ولا يسع في هذا المقام إلا أن يقال: لعله رجع من ذلك، ولعل الله قبل منه، وتجاوز عنه، والله غفور رحيم، ورحمته وسعت كل شيء، ولا تحجير لرحمة الله - عز وجل -.

المبحث الرابع: مواجهة العلماء للعلمانية - الشيخ محمد الخضر حسين نموذجاً -

تمهيد

مر في المباحث الماضية إشارات إلى ما قام العلماء من مواجهة للعلمانية إبان ظهورها في بلاد الإسلام على يد الشيخ علي عبدالرازق، وكيف كانت ردّة فعل العلماء على ذلك.

ومرت الإشارة إلى أن الشيخ علي عبدالرازق قد فتح الباب لكل من أراد أن يدعو للعلمانية، ويُنظرَ لها سواء كان ذلك جزئياً أو كلياً.

والحديث ههنا سيتعرض لبعض ما قام به العلماء في ذلك الشأن، وذلك من خلال مثال واحد، وهو ما قام به الشيخ محمد الخضر حسين^(١)، فقد قدّر للشيخ منذ بواكير حياته العلمية أن يرقب إرهابات تنحية الشريعة، والمحاولات الخيثة التي تنال منها، وتسعى جاهدة لإبعادها عن الحكم؛ فكان من أعظم وأهم ما عُني به من القضايا قضية الحكم بما أنزل الله؛ حيث رفع منذ مرحلته الأولى في تونس شعاراً ناضل عنه طيلة حياته ألا وهو شعار (الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان).

يقول ﷺ الله: «وأما قيام أحكام الشريعة على أساس العدل، ورسمها للسياسة خطأً محكمة الوضع، فسيحة ما بين الجوانب - فذلك ما لا أستطيع تفصيل الحديث عنه في هذا المقال، وفيما كتبناه ونكتبه - إن شاء الله - تحت عنوان: (الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان) ما يساعد على الإمام بأصول الشريعة، ومعرفة اتساعها لكل ما يحدث من الوقائع»^(٢).

١ - مرت الإشارة إلى ذلك في المبحث السابق، والحديث ههنا سيكون حول مواجهة الشيخ للعلمانية عموماً بشيء من البسط.

٢ - رسائل الإصلاح ص ١٩٢.

والشيخ الخضر يقرر ذلك؛ لأن من أعظم ما وُجّه للشريعة من الطعون شُبّهة أنها لا تلائم العصر، وأنها قد استنفذت أغراضها، وأن الأمة لن تتطور إلا إذا نُحِتَت الشريعة جانباً، واستبدلت بها القوانين الوضعية مقارنة بأوروبا التي تركت دين الكنيسة؛ فارتقت في المدنية درجاتٍ.

وتلك الشبهة راجت، وذلك قياس فاسد أخذ بألباب كثيرين؛ فصرفهم عن سواء السبيل.

والشيخ الخضر لم يكن بمعزل عن تلك المعامع، بل كان يرقب الوضع بعين العالم البصير؛ ولا غرو في ذلك فهو الضليع بعلوم الشريعة، المتشبع بأسرارها ومقاصدها، الغيور على هداية الإسلام، وتاريخه، ورجالاته.

وهو أستاذ السياسة الشرعية، والمصلح الاجتماعي، والمفكر السياسي الذي لم يؤسس حزباً، ولم يدخل في انتخابات.

وإنما كان يطرح أفكاراً سياسية، ويسعى لإصلاح ما فسد من سياسة الأمة. وذلك من خلال المحاضرات، أو المقالات التي كان يكتبها، أو الدروس التي كان يلقيها خصوصاً أيام تدريسه للسياسة الشرعية في جامعة الأزهر^(١). وفيما يلي بيان لأهم ما تعرّض له في ذلك الشأن، وذلك من خلال المطالب التالية.

المطلب الأول: إثباته صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان

ويتضح ذلك من خلال أمور عدة، ومن أهمها ما يلي:

أولاً: دراساته المستقلة في إثبات صلاحية الشريعة: فلقد تناول الشيخ الخضر إثبات صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان بالدراسة والتحليل، وذلك من خلال أبحاث مستقلة، وأشهر ما في ذلك بحثان، وفيما يلي عرض لما جاء في ذينك البحثين:

١. (الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان): وقد مر التعريف الموجز بذلك البحث في الباب الأول عند العرض لمؤلفات الشيخ.

وهذا البحث واضح من عنوانه، وقد احتوى على مسائل عدة، تثبت ما جاء في ذلك العنوان، وتدحض المزاعم التي تقول بخلافه.

وهو بحث أصيل مُشربٌ بروح العصر، وفيما يلي عرض لأهم ما ورد فيه:

أ- افتتح الشيخ البحث بتمهيد موجز بين من خلاله مقصده من تأليفه؛ حيث قال: «يقع في وهم من لا يدري ما الإسلام: أن شريعته لا توافق حال العصر الحاضر، ويبني توهمه هذا على أن القوانين إنما تقوم على رعاية المصالح، ومصالح العصور تختلف اختلافاً كثيراً؛ فالدعوة إلى بقاء أحكامها نافذة هي في نظره دعوة إلى خطة غير صالحة.

ذلك ما نقصد في هذا المقال إلى تفنيده، وتفصيل القول في دفع شبهته؛ حتى يثبت بالدليل المرئي رأي العين أن الشريعة الغراء تسائر كل عصر، وتحفظ مصالح كل جيل»^(١).

ثم بين بعد ذلك أنه «لما كان التشريع الإسلامي يعتمد في معظم أحكامه على الاجتهاد استدعى البحث أن نُصدِّره بكلمة في الاجتهاد، وفي هذه الكلمة ترى

شيئاً من عظمة علماء الشريعة، ولا إخالك أن تقرأ البحث بدقة، فلا تأتي على آخره حتى تشهد بأنهم كانوا هداةً مصلحين»^(١).

إلى أن قال: «ونأخذ بعد بحث الاجتهاد في تقرير الأصول التي جعلت الشريعة تسع مقتضيات العصور على اختلافها، وتقوم بحاجات الشعوب على تباعد ما بينها، ونسوق لك الشواهد على هذا من عمل القضاة ورجال الفتوى؛ حتى لا يبقى في صدرك حرج من مزاعم أولئك الذين يكتبون، أو يخطبون فيما لا يعلمون»^(٢).

ب- انتقل إلى الحديث عن الاجتهاد؛ فقرر في مستهله أن شريعة الإسلام عامة؛ فلا يختص بها قبيل من البشر دون قبيل، ودائمة؛ فلا يختص بها جيل دون جيل، وأن أفعال البشر على اختلاف أجناسهم وتعاقب عصورهم - لا تنتهي إلى حد، ولا تدخل تحت حصر.

لأجل ذلك - كما يقول - لم تنزل أحكام الشريعة في نسق واحد، بل أرشدت الشريعة إلى بعضها بدلائل خاصة، وقررت بقيتها في أصول كلية؛ ليستنبطها الذين أوتوا العلم عند الحاجة إليها^(٣).

ثم أوضح أن العالمَ يتمكن من استنباط الأحكام بمعرفة أمرين: أحدهما: الأدلة السمعية التي تُنتزع منها القواعد والأحكام.

ثانيهما: وجود دلالة اللفظِ المعتدِّ بها في لسان العرب، واستعمال البلغاء.

ثم شرع في بسط مرجع النظر في الأدلة السمعية وأنها الكتاب والسنة الإجماع، وما يتصل بهذه الأدلة.

ومرجع النظر في وجوه الدلالات، وأنه يرجع إلى دلالة المنطوق، ودلالة

١ - المرجع السابق ص ٥ .

٢ - المرجع السابق ص ٥-٩ .

٣ - انظر المرجع السابق ص ٧ .

المفهوم، ودلالة المعقول.

ثم انتقل إلى بسط شرائط الاجتهاد من العلم بالشرعية، واللغة، وما يندرج تحت ذلك^(١).

ج- بحث في بناء الشريعة على حفظ المصالح ودرء المفسد، وبسط الحديث من خلال ذلك في التفقه في الأدلة السمعية.

ثم انتقل إلى الأصول النظرية الشرعية؛ فبين أن المسلمين لم يختلفوا في أن الشريعة الإسلامية نزلت لتقرير أحكام الوقائع؛ فلا واقعة إلا لها مدلول عليه بالنص، أو بأصل من الأصول المستمدة من النصوص.

ثم شرع في تفصيل ذلك، وانتقل بعده إلى بسط الحديث عن القياس، والاستصحاب، ومراعاة العرف، وسد الذرائع، والمصالح المرسلة، والاستحسان. وهكذا يمضي في تفصيل ذلك، وتأييده بالأدلة الشرعية، والعقلية، والواقعية، والتاريخية؛ بما لا يدع حجة لمن أراد الطعن في الشريعة، أو ادعاء أنها لا تلائم العصر^(٢).

فهذا أهم ما جاء في ذلك البحث.

٢. (مدارك الشريعة الإسلامية): وأصل هذا البحث محاضرة ألقاها الشيخ بنادي جمعية قدماء تلامذة مدرسة الصادقة بتونس يوم السبت ١٨/جمادى الثانية سنة ١٣٣١هـ، وطبعت مفردة، وضمن موسوعة الأعمال الكاملة، وقد مر الحديث عنها في الباب الأول عند العرض لمؤلفات الشيخ.

وهذه الرسالة - كما هو واضح من عنوانها - تبحث في السياسة الشرعية، وتؤكد صلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان.

١ - انظر المرجع السابق ص ١٦٧.

٢ - انظر المرجع السابق ص ١٦-٧٢.

وفيما يلي بيان لأهم ما اشتملت عليه :

أ. استهلها بيان حكمة التشريع : فبين من خلال ذلك أن القصد من وضع قوانين المعاملات والجنايات تمكين الناس من حقوقهم التي تهوي إليها أفئدتهم ، ووقايتهم مما يدخل على قلوبهم بالآثار المؤلمة.

وأن الاعتبار لو اضع الشريعة إنما هو اللذة التي لا يقارنها ألم راجح ، وتسمى بالمنفعة أو المصلحة ، والألم الذي لا تصاحبه لذة راجحة ، ويعبر عنه بالمضرة أو المفسدة.

وأن الشريعة العادلة هي التي تزن المنافع والمفاسد ، وتلاحظ ما يتفرع منها من النتائج ، ثم تفصل لها من الأحكام ما يطابقها؛ فهذا يتحقق أن الشرع الذي يسنه العالم بشعور الأمة المطلع على أحوال ضمائرهما - يكون أحكم نظاماً ، وأحفظ للمصالح مما يضعه الذي لا يعرف سوى ظواهرها.

وبين - كذلك - أن من خصائص الشريعة المحكمة أن تكون أحكامها قائمة على أسباب حقيقية ، وأنه قد اختل نسيج بعض القوانين الوضعية؛ حيث ذهب مقررهما إلى إقامتها على علل غير حقيقية.

وهكذا يقرر هذه الحقائق ، ويضرب عليها الأمثلة^(١).

ب. قرر أن الشرائع سماوية ووضعية؛ فذكر معنى كل منهما ، وذكر مميزات السماوية بأنها تعزز قوانينها بسلطة غيبية ، وأنها توجب على الفرد إصلاح عمله ، وتنهاه عما يضر بشخصه ، وتكلف الإنسان برفع الضرر عن غيره وحمايته منه^(٢).

١ - انظر الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ص ٧٢-٧٥ .

٢ - انظر المرجع السابق ص ٧٦-٧٧ .

ثم تطرق لمنابع الشريعة الإسلامية، وأنها على نوعين: أحدهما: ما يدل بنفسه وهو القرآن والحديث والقياس.

وثانيهما: ما يتضمنه الدليل، ويستلزمه، وهو الإجماع.

ثم فصل الحديث في ذلك، وبيّن من خلاله أن شريعة الإسلام ضمت تحت جوانحها حقائق حفظت مصالح كل العصور، ومكنت المجتهد في كل عصر أن يتزعم لأي حادثة تُعرض له حكماً يلائم مصلحتها، وأنها أقامت دعائم كلية، وينبني على كل دعامة منها أصول وأحكام يستخرجها العارف بطبيعة النوازل، القائم بمقصد الشارع في أمثالها.

وهكذا يمضى في تفصيل ذلك، وضرب الأمثلة عليه، ثم ينقل إلى اختلاف المذاهب، وانتشارها، وطبقات الفقهاء، وعلاقتهم بالأمر، وأحوالهم معهم^(١). وبالجملة فالرسالة حافلة بالمباحث التي تقرر صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان.

ثانياً: إجابته عن الأسئلة الواردة في مراعاة التشريع الإسلامي لظروف الزمان والمكان: ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في إجابة له عن سؤال ورد إليه في مجلة (الهداية الإسلامية) الجزء التاسع من المجلد السابع عشر.

ونص السؤال يقول: «هل التشريع الإسلامي تراعى فيه ظروف الزمان والمكان؟ أم يجب الوقوف فيه حتماً عند النصوص، وكل ما جاوزها يؤثم عليه، ولا يُعتد به شرعاً؟ نرجو الجواب الآن؛ لشدة الحاجة إليه»^(٢).

فأجاب ﷺ عن ذلك السؤال إجابة موجزة جمعت أطراف الموضوع بما يعز نظيره في غير هذا الموضوع، فقال: «معروف في علم القضاء: أن القوانين إنما تقوم على

١ - انظر المرجع السابق ص ٨٣-١٠٢.

٢ - المرجع السابق ص ٢٧٦-٢٧٧.

رعاية المصالح، ومصالحُ العصور تختلف اختلافاً كثيراً.

وعلى هذا الأصل تقوم الشريعة الإسلامية، وبهذا يمكنها أن تساير كل عصر، وتحفظ مصالح كل جيل؛ ذلك أن الإسلام دلّ على بعض الأحكام في أصول كلية؛ ليستنبط منها المجتهدون أحكام الوقائع على حسب مقتضيات أحوال الأزمنة والمواطن»^(١).

وأضاف قائلاً: «وقد أجمع علماء الإسلام على أن أحكام الشريعة قائمة على رعاية مصالح العباد، وأنه يرجع في تعرف المصالح إلى أنظار المجتهدين. ومن هنا قرروا أن أصول الشريعة ترجع إلى أربع قواعد: (الضرر يزال)، و (المشقة تجلب التيسير)، و (العادة محكمة)، و (الأعمال بمقاصدها)»^(٢).

ثم بيّن ما يرجع إلى هذه القواعد، فقال: «وترجع إلى هذه القواعد العليا قواعد تجعل أحكام القضاة المجتهدين أحفظ للمصالح، وأشدّ مطابقة لمقتضيات العصر، ومن هذه القواعد: قاعدة: رعاية المصالح المرسلّة. والمصلحة المرسلّة مصلحة يدركها العقل في حادثة، ولم يقم عليها دليل خاص من الكتاب والسنة.

ومنها: قاعدة: (مراعاة العرف) وقاعدة: (سد الذرائع) وهي المنع من أشياء شأنها أن تؤدي إلى أمور تشتمل على فساد.

ويدلّكم على أن الشريعة الإسلامية قائمة على رعاية المصالح: أن المجتهدين من أئمتها قد يحملون بعض النصوص المطلقة على أحوال خاصة إذا اقتضت قاعدة رعاية المصالح المرسلّة فهم النص على أن المراد: العمل به في هذه الأحوال الخاصة»^(٣).

ثم ختم ذلك الجواب -كعاداته- بذكر ملخصه، فقال: «وصفوة هذه الكلمة

١ - المرجع السابق ص ٢٧٧ .

٢ - المرجع السابق ص ٢٧٧ .

٣ - المرجع السابق ص ٢٧٧ .

الموجزة: أن التشريع الإسلامي يوافق حال كل عصر، ولو نظر إليه غير المسلمين بالعين التي ينظرون بها إلى القوانين الوضعية، وقارنوا بينه وبين تلك القوانين مقارنةً رائدُها البحث عن الحقيقة - لرأوه رأي العين كيف يأخذ بالعدل من أطرافه، ويعطي كل ذي حق حقه»^(١).

ثالثاً: إثباته أن الإسلام جاء بنظام شامل كامل للحكم، وذلك في مواطن كثيرة من كتبه، وعلى وجه الخصوص ما جاء في كتابه (نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم) وقد مرت إشارات عدة إلى ذلك في هذا البحث؛ حيث كان يبدئ ويعيد في تقرير ذلك، ويسوق عليه الأدلة، والبراهين.

ومن الشواهد على ذلك ما جاء في بحثه (ضلالة فصل الدين عن السياسة) حيث قرر ذلك أحسن تقرير، وأوضح أن الإسلام قد جاء بأحكام وأصول قضائية، ووضع في فم السياسة لجاماً من الحكمة؛ وإنما ينكر ذلك من تجاهل القرآن والسنة، ولم يحفل بسيرة الخلفاء الراشدين؛ إذ كانوا يزنون الحوادث بقسطاس الشريعة، ويرجعون عند الاختلاف إلى كتاب الله، أو سنة رسول الله^(٢).

ثم شرع في إيراد الشواهد من القرآن التي تدل على أن دعوته تدخل في المعاملات المدنية، وتتولى إرشاد السلطة السياسية، وأن كل حكم يخالف شرع الله فهو من فصيلة أحكام الجاهلية، وأن من لم يدخل الإيمان في قلوبهم يتغنون من الحاكم أن يخلق أحكامه من طينة ما يوافق أهواءهم^(٣).

وأثبت أن في القرآن أحكاماً كثيرة ليست من التوحيد، ولا من العبادات؛ كأحكام البيع والربا، والرهن والدين والإشهاد، وأحكام النكاح والطلاق واللعان والولاء

١ - المرجع السابق ص ٢٧٧-٢٧٨ .

٢ - انظر رسائل الإصلاح ص ١٨٩ .

٣ - انظر المرجع السابق ص ١٨٩-١٩٠ .

والظهار، والحجر على الأيتام، والوصايا والمواثيق، وأحكام القصاص والدية، وقطع يد السارق، وجلد الزاني وقاذف المحصنات، وجزاء الساعي في الأرض فساداً^(١). بل أثبت أن في القرآن آيات حربية فيها ما يرشد إلى وسائل الانتصار، والقوة المعنوية، وما يتعلق بالصلح، والمعاهدات.

كما أن في السنة الصحيحة أحكاماً مفصلة في أبواب المعاملات والجنايات، إلى نحو ما يدل على أن من يدعو إلى فصل الدين عن السياسة إنما تصور ديناً آخر وسماه الإسلام^(٢).

ثم ساق شواهد كثيرة من سيرة الصحابة، ومن جاء بعدهم من ولاة المسلمين ممن كانوا يسوسون الناس بالدين^(٣).

رابعاً: بحثه في مسائل كثيرة في التشريع الإسلامي وصلاحيته: وذلك كثير جداً في أبحاثه الخاصة في بعض الموضوعات في ذلك الشأن، أو في غضون أبحاثه الأخرى التي يتعرض في خلالها لمسائل في التشريع وصلاحيته.

ومن الأمثلة على ذلك - وهي كثيرة جداً - بحثه في القرآن والخلافة، والسنة والخلافة، والإجماع والخلافة، ووجه الحاجة إلى الخلافة، والآثار الصالحة للخلافة. ومن ذلك بحثه في العرب والسياسة، وسبب اعتناء المسلمين بالسياسة، واستدراكه على ابن خلدون في أن العرب أبعد الناس عن السياسة. وكذلك بحوثه الكثيرة في القضاء وهي تستحق - بحذ ذاتها - الدراسة^(٤).

١ - انظر المرجع السابق ص ١٩٠.

٢ - انظر المرجع السابق ص ١٩٠-١٩١.

٣ - انظر المرجع السابق ص ١٩١-١٩٤، وانظر في الشواهد على ذلك في كتاب: الإدارة الإسلامية عند العرب، تأليف محمد كرد علي، مكتبة ابن عباس، النصورة؛ ففي هذا الكتاب الذي يبلغ ١٨٦ صفحة شواهد وحوادث عبر التاريخ تؤخذ أن الأمة كانت تساس بالدين، وأنها كانت على درجة عالية من الجودة، والنظام، والكفاءة.

٤ - انظر نظرات في الإسلام وأصول الحكم ص ٥٥-٧، وهو كتاب جمع فيه الأستاذ علي الرضا الحسيني كثيراً مما تفرق من مقالات الشيخ وآرائه في ذلك الشأن.

ومما بحثه في باب القضاء: القضاء العادل في الإسلام، ونبذة في مبادئ القضاء في الإسلام وآدابه، وكون القضاء في عهد النبوة موكولاً إلى الأمراء^(١)، كما تطرق لسير كثير من قضاة الإسلام، وقد مر شيء من ذلك في هذا البحث.

ومما بحثه في باب الحكم والتشريع: الشهادة وأثرها في إقامة الحقوق^(٢)، والذرائع فتحها وسدها^(٣)، ومراعاة العرف^(٤)، وعده الإيمان بصحة أحكام الشريعة داخلاً في الإيمان بالله^(٥)، وتطرقه لرجم الزاني المحصن وشرعيته^(٦)، وبحث لفظي في آيتي السرقة والزنا^(٧)، وبحث في النسخ في الشريعة الإسلامية^(٨)، وأن الإسلام خير نظام للحكم^(٩)، وبحث الأحكام العادلة^(١٠).

ومن المسائل التي بحثها في باب الحكم والتشريع: المالية في عهد النبوة، ولماذا لم يكن في عهد النبوة إدارة بوليس، وكون الرسول -عليه السلام- ذا رياسة دينية، والجهاد النبوي، والجزية، والمخالفون وأنواعهم، وسر الجهاد في الإسلام، وأن من مقاصد الإسلام أن تكون لأهله دولة، ووجه قيام التشريع على أصول عامة، وكون الشريعة فصلت في بعض الأحكام، ودلت على سائرها بأصول يراعى في تطبيقها حال الزمان والمكان، وسياسة الشعوب وقضاؤهما في العهد النبوي،

- ١ - انظر رسائل الإصلاح ص ٩٢-١٠٣، ونظرات في الإسلام وأصول الحكم ص ٥٧-٥٩.
- ٢ - انظر دراسات في الشريعة الإسلامية ص ٢٧-٣٢.
- ٣ - انظر المرجع السابق ص ٣٣-٣٨.
- ٤ - انظر المرجع السابق ص ٣٩-٤٦.
- ٥ - المرجع السابق ص ١٧٧.
- ٦ - انظر المرجع السابق ص ٢٢٦-٢٢٧.
- ٧ - انظر المرجع السابق ص ٢٢٨.
- ٨ - الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ص ١٠٣-١١٢.
- ٩ - انظر الهداية الإسلامية ص ١٢٨-١٣٢.
- ١٠ - انظر دراسات في الشريعة الإسلامية ص ١٠-١٣.

والتشريع الإسلامي والأصول السياسية والقوانين ، والسياسة الرشيدة في الإسلام ، والدهاء في السياسة ، والشعور السياسي في الإسلام إلى غير ذلك من الأبحاث الكثيرة التي أفرد بعضها ، أو التي أودعها بطون كتبه الأخرى ، وخاصة ردوده على المخالفين في ذلك الشأن كعلي عبدالرازق وطه حسين وغيرهما .

والتي يقرر من خلالها اشتمال الشريعة الإسلامية بنصوصها وأصولها على أحكام ما لا يتناهى من الوقائع ، وكونها أحكم ما تساس به الأمم ، وأصلح ما يقضى به عند التباس المصالح ، أو التنازع في الحقوق^(١) .

فهذه معالم عنايته بإثبات صلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان ، وسيأتي مزيد بيان لذلك في المطلب التالي .

١ - انظر نظرات في الإسلام وأصول الحكم ص ٦٠-١٨٣ ، ونقض كتاب الإسلام وأصول الحكم ص ٦٠ و ١٠٣-١٢٢ و ١٢٥-١٦٩ و ١٧٥-٢٢٥ و ٢٤٢-٢٦٠ ، ورسائل الإصلاح ص ١٨٥ .

المطلب الثاني: مواجهته للعلمانية

لقد خاض الشيخ الخضر معارك فكرية كثيرة؛ حيث قُدِّر له أن يشب عن الطوق في مطالع القرن الرابع عشر الهجري تلك المرحلة المفصلية من تاريخ الأمة الإسلامية.

ولا ريب أن معركة العلمانية هي من أشرس المعارك الفكرية التي خاضها إن لم تكن أشرسها على الإطلاق.

وكان يسمي العلمانية: فصل الدين عن السياسة، ويصفها بالضلالة كما في بحثه (ضلالة فصل الدين عن السياسة)^(١).

ويصفها -أيضاً- بالبدعة كما في مقالته: (بدعة فصل الدين عن السياسة)^(٢).

ويجعلها في قائمة أسوأ البدع كما في بحثه (السنة والبدعة)^(٣).

وهذه المواجهات مع العلمانية كثيرة جداً، وتأخذ أبعاداً شتى، ومن خلال ما يلي بيان لأهم المعالم التي أسفرت عنها تلك المواجهات:

أولاً: مواجهته لأكابر المنظرين للعلمانية، أو بعض مسائلها

حيث كان له معهم منازلات كثيرة، وردود عدة.

ولم تقتصر هذه المواجهات على المتمحذين للعلمانية المنادين بها صراحة دون موارد -كما في صنيعة مع علي عبدالرازق- بل تجاوزت ذلك إلى المنظرين لبعض قضايا العلمانية من المتأولين، أو المجتهدين، أو المخطئين، أو الخاطئين؛ إذ كانت تلك الفترة التي مرت الإشارة إليها هي أوج العلمانية، التي أخذ بريقها بألباب كثيرين؛ فأساغها نفر غير قليل سواء من أهل العلم أو غيرهم؛ فما كان من الشيخ

١ - انظر رسائل الإصلاح ص ١٨٥ .

٢ - انظر الهداية الإسلامية ص ٢٦٤ .

٣ - انظر الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ص ١٣٧ .

الخضّر إلا أن تصدى - بكل ما أوتي من قوة - لكل من سوغ العلمانية، ونظر لها، أو لبعض جزئياتها.

وأشهر أولئك الذين تصدى لهم الشيخ في هذا الشأن ما يلي:

١- الشيخ علي عبدالرازق: خصوصاً في كتابه (الإسلام وأصول الحكم) فقد تصدى الشيخ الخضّر لذلك الكتاب، وذلك في كتابه: (نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم) الذي يعد من أهم الوثائق العلمية في نقض شبه العلمانية، حتى إن الدكتور محمد عمارة يرى «أن أجود دراسة فكرية كتبت ضد كتاب (الإسلام وأصول الحكم) هي التي كتبها الشيخ محمد الخضّر حسين، وأخرجها في كتاب (نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم)»^(١).

ويقول الأستاذ محمد الشامام في كلامه عن كتاب الشيخ الخضّر المذكور: «وإني أحقق أنّ الشيخ الخضّر كان في مؤلفه هذا مثلاً للعالم المحقق ذي الخلق الرفيع، يقرع الحجّة بالحجّة، ويرد الدليل بالدليل، ولا يُسِفُّ في تعبيره، ولا يخرج عن حدود النقد النزيه المدعم».

إلى أن يقول: «وكأنه - برّد الله ثراه - أراد أن يترك مؤلفاً علمياً لا لغو ولا غث، به يخدم العلم والفكر، فكان له ما أراد»^(٢).

وبالجملة فإن كتاب (نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم) من أعظم الكتب في باب، بل من أعظم كتب الشيخ على الإطلاق، وأخلدها أثراً. ولم يقف الشيخ الخضّر عند هذا الحد حيال كتاب (الإسلام وأصول الحكم) بل لقد كان له مواقف أخرى.

ومنها ما ذكره الأستاذ الشامام حيث قال: «ولم يقف الأمر بالشيخ الخضّر عند هذا

١ - الإرث الفكري للإمام محمد الخضّر حسين ص ٢٧٨.

٢ - المرجع السابق ص ٢٧٨.

الحدّ، فقد شجع شيخاً آخر من تونس أحد أصدقائه الخالص على أن يخوض هذه المعمعة والمعركة الفكرية، وهو فقيه عالم جليل، شيخنا محمد البشير النيفر، المدرس، والإمام الخطيب الفوه، الذي صدر له أخيراً كتاب قيم به تراجم لأعلام أسرته، وقد حققه ونشره صديقنا القاضي الأستاذ محمد المختار النيفر.

شارك شيخنا محمد البشير النيفر بدراسة قيمة جامعة ألقاها بجامعة أبي محمد في رمضان سنة (١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م) تحت عنوان: (عبادات ونظم اجتماعية) نقل فيها فقرات طويلة من كلام الشيخ علي عبد الرازق في كتابه (الإسلام وأصول الحكم) ولم يذكر اسمه، وبقى ذلك بتنفيذ ما جاء بها.

وهي دراسة طويلة نشرها صديقه وصفيّه شيخنا الخضر في مجلته مجلة (الهداية الإسلامية) عدد ١٠٤، سنة (١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م)، وأثنى على صاحبها ثناء جميلاً^(١).

وكذلك ما جاء في رده (العظمة) الذي رده على الشيخ علي عبد الرازق؛ فموضوع هذا الرد وإن كان في السيرة النبوية- لم يخلُ من الإشارة إلى الخصومة التي نشبت بين الرجلين حول موضوع الخلافة الإسلامية، وأن الإسلام دين ودولة، وأن خليفة المسلمين هو المسؤول الأول عن رعاية شؤونهم الدينية والدينية^(٢).

فهذه خلاصة مواقفه مع الشيخ علي عبد الرازق.

٢- الدكتور طه حسين: خصوصاً في كتابه: (في الشعر الجاهلي) الذي رد عليه الشيخ الخضر في كتابه (نقض كتاب في الشعر الجاهلي).

فكتاب طه حسين هذا- وإن كان في موضوعه الأساس يدور حول الأدب وقضاياها- مشتمل على إشارات إلى موضوع الخلافة، وإيراد لبعض الشبهات حولها^(٣).

١- المرجع السابق ص ٢٨١-٢٨٢.

٢- انظر محمد الخضر حسين حياته وأثاره ص ١٤٤-١٤٦.

٣- انظر نقض كتاب في الشعر الجاهلي ص ١٧٩-١٨٣ و١٨٨-١٩٠.

٣- محمد أبو زيد الدمنهوري: وذلك في كتابه (الهداية والفرقان في تفسير القرآن بالقرآن) الذي رد عليه الشيخ الخضر برده المعنون ب: (كتاب يهذي في تأويل القرآن المجيد).

وفي ضمن ذلك الرد فقرة بعنوان: (دعوته إلى الفسوق عن أحكام الشريعة). قال الشيخ الخضر تحت هذا العنوان: «يريد المؤول أن يفتح لذوي الأهواء باب الخروج عن الدين، وتعطيل أحكام الشريعة، فزعم أن المصلحة قد تكون في غير ما أمر الله به، فحرّف قوله -تعالى-: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ النور: ٦٣ .

وقال: (يفيدك أن المخالفة المحذورة هي التي تكون للإعراض عن أمره، وأما التي تكون للرأي والمصلحة فلا مانع فيها بل هي من حكمة الشورى)»^(١). ثم قال الشيخ معقباً: «المؤول يميز تقرير رأي مخالف لأمر رسول الله ﷺ الذي هو أمر الله -تعالى- ويرى في هذا الرأي المخالف مصلحة تجعله أهلاً لأن يعمل عليه بدلاً من أمر الله، يقول الله -تعالى-: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ المائدة: ٤٤ .

ومصداق هذه الآية: من يحكم بغير ما أنزل الله معتقداً أن المصلحة فيما حكم به، ويتناول من يفتي برأي معتقداً أنه أحفظ للمصلحة مما أنزل الله؛ فمن يأذن للناس في تقرير رأي مخالف لأمر الله فإنما يقودهم إلى حفرة من النار هي إنكار أن يكون الله -تعالى- أحكم الحاكمين»^(٢).

إلى أن قال: «فإن زعم المؤول أنه قصد ما كان يراجع فيه بعض أصحابه من

١ - بلاغة القرآن ص ١٥٦ .

٢ - المرجع السابق ص ١٥٦-١٥٧ .

نحو بعض الآراء الحربية قلنا له: إنك أطلقت في تأويلك، ولم تقصره على هذا النوع من أوامره -عليه الصلاة والسلام-.

ثم إن مخالفة الأمر عدمُ العمل به، وإيداءُ بعض الصحابة لآرائهم في شيء من تدابير الحروب لا يسمى مخالفةً للأمر، بل كانوا يعرضون عليه الرأي؛ فتارة لا يراه صالحاً، فيرده، ولو عملوا على مقتضى رأيهم لَحَقَّ عليهم وعيدُ الآية، وتارة يرى فيه المصلحة، فيأمر بالعمل به، والعملُ على هذا النحو من قبيل اتباع أمره، فأين المخالفة؟!»^(١).

٤- الشيخ عبدالمتعال الصعيدي: وذلك في مقاله (التشريع المصري وصلته بالفقه الإسلامي) الذي أبدى فيه رأياً هو أن الأمر في آية حد السرقة، وآية حد الزنا يحمل على الإباحة لا على الوجوب، وأن الأمر الذي سيثيره قد يصل فيه إلى إعادة النظر في النصوص التي وردت فيها؛ لبحثها من جديد، وأنه يجوز العدول عن هذه الحدود في بعض الحالات إلى عقوبة أخرى رادعة، ويكون شأنه في ذلك شأنَ كُلِّ المباحات التي تخضع لتصرفات ولي الأمر، وتقبل التأثير بكل زمان ومكان^(٢).

فرد عليه الشيخ الحُضْر برد سماه (تحريف آيات الحدود عن مواضعها) وفند من خلاله ما أورده الصعيدي من آراء.

٥- الأستاذ فريد وجدي: في مقالات له نشرها في جريدة الأهرام بتاريخ ١٨ و٢٠ و٢٢/رمضان سنة ١٣٤٨هـ تحت عنوان (الدعوة إلى التجديد).

وقبل ذلك ما نشره في شهر كانون ١٩٣٩م تحت عنوان: (روح العصر الحاضر

١- المرجع السابق ص ١٥٧.

٢- انظر بلاغة القرآن ص ١٣٥-١٤١.

نعمة إلهية).

وقد تطرق في هذه المقالات إلى قضايا في الحكم، والسياسة، والاجتماع، ففضّل من خلالها حكم العصر الحاضر على كل ما سبقه من العصور الماضية، وأورد جملة من الآراء في هذا الشأن مما هو مشتمل على مغالطات، ومخالفات. فرد عليه الشيخ الخضر بمحاضرتين سماهما: (نقد آراء الأستاذ فريد وجدي من الناحية الدينية والاجتماعية).

وهي منشورة في كتابه (محاضرات إسلامية)^(١).

٦- الشيخ محمود شلتوت: وذلك في مقاله: (الهجرة وشخصيات الرسول) الذي أبدى فيه رأياً مفاده أن الذي يعد شرعاً دائماً هو ما يرجع إلى شخصيات الرسول ﷺ من العقائد، وأصول الأخلاق، والعبادات.

وما عدا ذلك مما يرجع إلى شخصية الإمام، أو المفتي، أو القاضي - فليس بشرع دائم، وإنما هو شرع مؤقت يمكن أن يتأثر بالاجتهاد، وأن يترك العمل به لسبب من الأسباب^(٢).

فرد عليه الشيخ الخضر في كتاب سماه (الهجرة وشخصيات الرسول)^(٣).

٧- صاحب مقالة (داء الشرق ودواؤه): وهو مقال دعا صاحبه فيه إلى فصل الدين عن السياسة، وزعم أن سبب تأخر المسلمين عدم فصلهم الدين عن السياسة.

فرد عليه الشيخ الخضر بمقالة مطولة عنوانها: (ضلالة فصل الدين عن السياسة). ولم يذكر اسم صاحب المقال، وإنما ذكر اسم المقالة، وأن إحدى المجلات

١ - انظر المرجع السابق ص ٢٠٠-٢٣٢.

٢ - انظر محمد رسول الله وخاتم النبيين ص ٢٢٨.

٣ - انظر المرجع السابق ص ٢٢٧-٣٠٢.

نشرتها، ورمز للكاتب خلال رده عليه بـ: صاحب المقال أو الكاتب. وقد ضمنَّ الشيخ هذا الرد خلاصة آرائه في العلمانية^(١).

٨- صاحب مقالة: (من محام عاقل): الذي رد عليه الشيخ الخضر في مقالة عنوانها (بدعة فصل الدين عن السياسة)، وقال في مقدمة رده: «اطلعنا في عدد ١١ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٧ من جريدة (المصري) على مقال تحت عنوان: (من محام عاقل) تعرض فيه صاحبه لمسألة إسلامية عظيمة الشأن، هي منزلة السياسة من الدين الحنيف، وزعم أن الدين لا صلة له بالسياسة، فقال: (هذا فضلاً عما في هذا من خلط الدين بالسياسة)»^(٢).

ثم تناول الشيخ المقال بالنقد، والتحليل، والإبطال بشيء من الإيجاز^(٣). فهذه نماذج مما قاوم به الشيخ الخضر منظري العلمانية والداعين إليها، أو إلى بعض جزئياتها.

ثانياً: تقسيمه لدعاة العلمانية، وبيانه آثارها

١- تقسيمه لدعاة العلمانية: فهو يرى أن هؤلاء ليسوا على طبقة واحدة؛ فبيّن في بحثه (ضلالة فصل الدين عن السياسة) أن الذين يدعون إلى فصل السياسة فريقان؛ فقال مبيناً حال الفريق الأول: «فريق يعترفون بأن للدين أحكاماً وأصولاً تتصل بالقضاء والسياسة، ولكنهم ينكرون^(٤) أن تكون هذه الأحكام والأصول كافلة بالمصالح، آخذة بالسياسة إلى أحسن العواقب، ولم يبال هؤلاء أن يجهروا بالطعن في أحكام الدين وأصوله، وقبلوا أن يسميهم المسلمون: ملاحدة؛ لأنهم مقرّون بأنهم لا

١ - انظر رسائل الإصلاح ص ١٨٥-٢٠٢.

٢ - الهداية الإسلامية ص ٢٦٤.

٣ - انظر المرجع السابق ص ٢٦٤-٢٦٦.

٤ - هكذا في رسائل الإصلاح طبعة دار الإصلاح ص ١٠٥، وهو الصواب، وفي رسائل الإصلاح من

طبعة موسوعة الأعمال الكاملة - رسائل الإصلاح - ص ١٨٨: (يفكرون) وهو خطأ بين.

يؤمنون بالقرآن، ولا بمن نزل عليه القرآن»^(١).

ثم ذكر الفريق الآخر فقال: «ورأى فريق: أن الاعتراف بأن في الدين أصولاً قضائية وأخرى سياسية، ثم الطعن في صلاحها - إيداناً بالانفصال عن الدين، وإذا دعا المنفصل عن الدين إلى فصل الدين عن السياسة كان قصده مفضوحاً، وسعيه خائباً؛ فاخترع هؤلاء طريقاً حسبوه أقرب إلى نجاحهم، وهو أن يدّعوا أن الإسلام توحيد وعبادات، ويجحدوا أن يكون في حقائقه ما له مدخل في القضاء والسياسة، وجمعوا على هذا ما استطاعوا من الشبه؛ لعلهم يجدون في الناس جهالة أو غباوة؛ فيتم لهم ما بيّنوا»^(٢).

ثم بيّن أن هذين هما مسلكا من ينادي بفصل الدين عن السياسة، وأن كليهما «يبغي من أصحاب السلطان أن يضعوا للأمة الإسلامية قوانين تناقض شريعتها، ويسلكوا بها مذاهب لا توافق ما ارتضاه الله في إصلاحها، وكلا المسلكين وليد الافتتان بسياسة الشهوات، وقصور النظر عما لشرعية الإسلام من حكم بالغات»^(٣).

٢- دَحْضُهُ الْمَزَاعِمِ الَّتِي تَدْعِي فَوَائِدَ الْعِلْمَانِيَةِ: قال ﷺ في معرض رده على أحد الكتاب الداعين إلى العلمانية: «يضرب الكاتب المثل بالأمم الأخرى، ويزعم أن فصلها الدين عن السياسة كان مصدر فائدة الأمة، وحمايتها من التلاشي والانهيار، ومن أجل فصلها الدين عن السياسة، ووجود الرياسة الدينية قائمة في حدود سلطتها - لم يضرها اختلاف الدول فيها»^(٤).

ثم قال الشيخ مفنداً ذلك الرأي: «وَضَرَبُ الْمَثَلِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ أَثْرُ نَظَرَةٍ مُتَسْرِعَةٍ؛ إِذْ لَيْسَ لِلرِّيَاسَةِ الدِّينِيَةِ فِي الْإِسْلَامِ حُدٌّ تَنْتَهِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَكُونُ لِلْأَفْرَادِ أَوْ

١ - رسائل الإصلاح ص ١٨٨ .

٢ - المرجع السابق ص ١٨٨-١٨٩، ونقض كتاب الإسلام وأصول الحكم ص ١١٦-١١٨ .

٣ - رسائل الإصلاح ص ١٨٩ .

٤ - المرجع السابق ص ١٩٧ .

الجماعات أن تفعل بعده ما تشاء.

ولو كان في دين تلك الدول قوانين مدنية، ونظم سياسية، وقامت كل دولة على تنفيذ تلك القوانين والنظم داخل حدودها - أفيكون مجرد رعايتها لما جاء به دينها سبباً لانتشار مرض التقاطع بينها؟!»^(١).

إلى أن قال: «ليس في طبيعة ربط السياسة بالدين التقهقر والتنازع إلا أن يكون في تعاليم الدين ما يسير بالناس إلى وراء، أو ما يغري بينهم العداوة والبغضاء. وليس في دين الإسلام إلا ما يصعد بالأمم متى شاءت الصعود إلى السماء، وليس فيه إلا ما يدعو إلى الائتلاف والتعاون على أن تكون كلمة الحق هي العليا»^(٢).

٣- بيانه الآثار المترتبة على العلمانية: وهذا ظاهر في كثير من ردوده على دعاة العلمانية، حيث بين أضرار العلمانية، وخطرها، وإفشاءها إلى إسقاط قسم عظيم من حقائق الدين^(٣).

يقول ﷺ في معرض رده على أحد دعاة العلمانية عندما قال: «ولو رزق المسلمون رجالاً ينظرون بعين الناقد البصير - من قبل قرنين - وفصلوا الدين عن السياسة لكان للإسلام اليوم من الشأن والسيادة في الممالك التي اغتصبتها الدول الأوربية ما لا يقل عما للفاتيكان، وما كان خطر الاستيلاء الأجنبي عليهم عظيماً»^(٤).

قال الشيخ الخضر معقّباً عليه: «كلام يروج، ولكن في غير هذا الوادي، ويُنقَبَل ولكن بعقول لم تستر بهداية، يأسف صاحب المقال على الشأن والسيادة اللذين فاتا للمسلمين لعدم فصلهم الدين عن السياسة من قبل قرنين، ويرى أن إبقاءهم الدين

١ - المرجع السابق ص ١٩٧ .

٢ - المرجع السابق ص ١٩٧ .

٣ - انظر الهداية الإسلامية ص ٢٦٦ .

٤ - رسائل الإصلاح ص ١٩٨ .

في جانب السياسة كان سبباً في أن صار خطر الأجنبي عليهم عظيماً»^(١).

ثم يقول مبيناً الآثار المترتبة على العلمانية: «فصل الدين عن السياسة هدم لمعظم حقائق الدين، ولا يقدم عليه المسلمون إلا بعد أن يكونوا غير مسلمين. وليست هذه الجناية بأقل مما يعتدي به الأجنبي على الدين إذا جاس خلال الديار، وقد رأينا الذين فصلوا الدين عن السياسة علناً كيف صاروا أشد الناس عداوة لهداية القرآن، ورأينا كيف كان بعض المبشرين بالاستعمار الأجنبي أقرب إلى الحرية في الدين ممن أصيبوا بسلطانهم»^(٢).

إلى أن يقول: «ونحن على ثقة من أن الفئة التي تتراح لمثل مقال الكاتب لو ملكت القوة لألغت محاكم يقضى فيها بأصول الإسلام، وقلبت معاهد تُدرس فيها علوم شريعته الغراء إلى معاهد لهو ومجون.

بل لم يجدوا في أنفسهم ما يتباطأ بهم عن التصرف في مساجد يذكر فيها اسم الله تصرف من لا يرجو لله وقاراً»^(٣).

ثم يواصل تفنيده لتلك المزاعم مبيناً الآثار المترتبة على العلمانية، فيقول: «يقول الكاتب لو فصلوا الدين عن السياسة ما كان خطر الاستيلاء الأجنبي عليهم عظيماً، يقول هذا كأنه لا يدري أن السياسة الطاغية لا تهاب إلا حديداً أشد بأساً من حديدها، وناراً أشد حراً من نارها؛ فليس من المعقول أن تردّها عن قصد لها سلطة دينية ليس في كنانتها سهم، ولا في كفّها حسام»^(٤).

ثم يبيّن الشيخ الخضر خطأ قياس الإسلام بالمسيحية المحرفة، فيقول: «أما قياسه حال السلطة الدينية الإسلامية - على فرض صحة إقامتها - بحال السلطة الكاثوليكية في احترام مؤسساتها، وإطلاق يدها في عمل يرفع أهل ملتها -

١ - المرجع السابق ص ١٩٨-١٩٩ .

٢ - المرجع السابق ص ١٩٩ .

٣ - المرجع السابق ص ١٩٩ .

٤ - المرجع السابق ص ١٩٩ .

فمغالطة أو غفلة عن الفرق بين سلطة دينية يجد فيها الاستعمار مؤازرة أو موافقة على أي حال ، وسلطة دينية قد يكون في بعض أصولها ما لا يلائم طبيعة الاستعمار»^(١).

ثم يتابع حججه ، وبراهينه على أن العلمانية ليست هي الحل ، وأن الحكم بما أنزل الله ليس هو سبب البلاء ، ويرد على الكاتب الذي ادعى ذلك وقال : « فإن أعظم ما أصاب المسلمين من المصائب : إنما هو فقد الرياسة الدينية بعد أن فقد منهم الاستقلال وحرمانهم من بقائهم درعاً حامياً وسداً منيعاً من تسرب المستعمرين باسم السياسة إلى السيطرة على شعور وضمائر الأمم الإسلامية ، حتى كاد يختل بناء الدين ، ويتنكر المسلمون تعاليمه الحقّة »^(٢).

فيعقب عليه الشيخ الخضر قائلاً : « حقيقة فقد الرياسة الدينية من أعظم ما أصاب المسلمين ، وهي الرياسة التي في إحدى يديها هداية ، وفي أخراها قوة . أما الرياسة التي لا يتعدى صاحبها أن يكون واعظاً عاماً ، يدعو الناس إلى الصلاة والصيام والحج إن استطاعوا إليه سبيلاً - فلم تفقد بعد ، ولم يحرم المسلمون منها ، ولا تزال باقية ، ولكن في أشخاص متفرقين في البلاد ، لا في شخص واحد كما يرغب صاحب المقال ، ولم نذكر الزكاة من قبيل ما يدخل في الوعظ ؛ مخافة أن يكون الكاتب قد انتزعها من أحضان الدين ، وجعلها في قسمة السياسة »^(٣).

ثم يؤكد الشيخ ذلك فيقول : « يربط الكاتب الوقائع ، ولكن بغير أسبابها ، ويصل النتائج ، ولكن بغير مقدماتها ، لنفرض أن المسلمين اتفقوا على ضلالة فصل الدين عن السياسة ، وأقاموا رياسة دينية لا جند لها ولا سلاح - أمِنَ المعقول أن تكون هذه الرياسة درعاً حامياً ، وسداً يمنع تسرب المستعمرين إلى

١ - المرجع السابق ص ١٩٩ ، وانظر نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم ص ١١٩-١٢١ .

٢ - رسائل الإصلاح ص ٢٠٠ .

٣ - المرجع السابق ص ٢٠٠ .

السيطرة على شعور الأمم الإسلامية وضماؤها؟!»^(١).

وبالجملة فهذا شيء من مواجهة الشيخ الخضر للعلمانية.

من خلال ذلك يتبين لنا ما قام به من جهد جبار حيال قضية العلمانية إبان ظهورها؛ فيكون ممن نال قصب السبق في ذلك المضمار، بل لا يكاد يجاريه أحد فيه؛ وذلك من جهة كثرة ردوده، وتنوعها، وقوة حججه، وإحكام نقضه. وبهذا النموذج القائم المتمثل بما قام به الشيخ الخضر - يتبين لنا عظم الجهد الذي قام به العلماء لمواجهة تلك النازلة في بلاد الإسلام وقت ظهورها.



الرسالة الثانية الشيوعية

المقدّمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله الأولين والآخين، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله الذي جاء بالحق المبين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن الباطل ما يرح يحارب الحق بسيفه المفلولة، وشبهاته الضئيلة، وإن العصور ما برحت تلد من الضالين المعاندين والمضلين المخادعين من يحاولون رد الناس عن أديانهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

ولئن كانت الضلالات كثيرة متنوّعة - فإن أشرّها وأحطّها مذهب الشيوعية الماركسية، ذلك المذهب الذي أنشأه اليهود، فترى في أحضانهم، وأخرج نباته النكد.

فالشيوعية الماركسية مذهب إحدادي يؤمن بالمادة وحدها، ويكفر بالغيب وما جاء عن الله وعن رسله - عليهم السلام - ويقوم في سبيل الدعوة إليه على الحديد والنار، وما أوتي من قوة.

ولقد ظهر ذلك المذهب في القرن التاسع عشر الميلادي، فمدّ رواقه في بلاد عديدة؛ حيث اعتنقه أفراد، وتبنته حكومات.

ولقد تهيأ لهؤلاء المضلين من وسائل الإغواء والدعاية والفساد والإفساد - ما

لم يتهياً لغيرهم من الغابرين.

ولهذا راجت دعايتهم، وانتشر مذهبهم، حتى لقد اعتنق الشيوعية فثام غير قليلة من المسلمين.

وبما أن الشيوعية مذهب هدام، وأنه قد انتشر بصورة مذهلة - فإن الغيرة قد دبت في قلوب كثير من أهل العلم والفضل من المسلمين؛ فقاوموا الشيوعية بما أوتوا من علم وبيان، فأوضحوا عوار ذلك المذهب وزيفه، وأخبروا بأن الشيوعية إلى زوال واضمحلال، وأن نهايتها لن تكون إلا على أيدي أتباعها؛ لأنها باطل، والباطل لا دوام له، والله لا يصلح عمل المفسدين.

وبسبب هذه الجهود المباركة أنقذ الله أمماً كثيرة من وباء الشيوعية المدمر. وإن مما يدعو للعجب أن يعتنق هذا المذهب نفر من أبناء جلدتنا، الذي أكرمهم الله بالإسلام.

وما اعتناقهم لذلك المذهب إلا ضرب من التقليد الأعمى، واستبدالاً للذي هو أدنى بالذي هو خير؛ حتى إن المذاهب لتموت في الغرب ويزهد بها أربابها ولها من يهتف لها ويدعو إليها من أبناء جلدتنا.

ولقد يسر الله أن كتبت بعض الصفحات حول الشيوعية قبل سنوات؛ إذ كنت أستعين بها في إعداد بعض الدروس حول الشيوعية.

وبعد ذلك أعدت النظر فيما كتبت، ثم رغبت في نشره؛ عسى أن يكون فيه شيء من الفائدة.

هذا وقد جاءت خطة البحث في هذا الكتاب بعد المقدمة مشتملة على تمهيد،

وأربعة فصول ، وخلاصة وخاتمة للبحث وذلك على النحو التالي :

تمهيد

وتحتة :

أولاً : تعريف الشيوعية.

ثانياً : نبذة عن تاريخ الشيوعية عموماً.

الفصل الأول : نشأة الشيوعية الماركسية وأشهر شخصياتها :

وتحتة ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : نشأة الشيوعية الماركسية.

المبحث الثاني : مؤسس الشيوعية الماركسية ، وأشهر شخصياتها.

المبحث الثالث : أسباب قيام الشيوعية ، ومواطن انتشارها.

الفصل الثاني : معتقدات الشيوعية الماركسية ، وأخلاقيها ، وأهدافها :

وتحتة ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : معتقدات الشيوعية وآراؤها.

المبحث الثاني : أخلاق الشيوعية.

المبحث الثالث : أهداف الشيوعية ووسائلها.

الفصل الثالث : موقف الشيوعية من الإسلام :

وتحتة تمهيد ، وثلاثة مباحث :

المبحث الأول : طرق الشيوعيين في محاربة الإسلام.

المبحث الثاني : أعمال الشيوعيين ضد المسلمين.

المبحث الثالث : أسباب انتشار الشيوعية في العالم الإسلامي.

الفصل الرابع : بطلان الشيوعية والرد على مزاعمها :

وتحته مبحثان :

المبحث الأول : آثار الشيوعية.

المبحث الثاني : الرد على مزاعم الشيوعية ، وحكمُ الانتماء إليها.

خلاصة البحث

الخاتمة

هذا ما يسر الله تقييده، وأعان على إتمامه، فعسى أن يكون فيه فائدة،
وإيضاح لذلك المذهب.

والله المستعان وعليه التكلان، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

تمهيد

وتحتة:

أولاً: تعريف الشيوعية.

ثانياً: نبذة عن تاريخ الشيوعية عموماً.

أولاً: تعريف الشيوعية

١- تعريف الشيوعية في اللغة: الشيوعية في اللغة مأخوذة من مادة شيع. وهذه المادة تدور حول عدة معانٍ، فتطلق على الظهور، والافتراق، والانتشار، والذيعوع.

قال ابن منظور رحمته الله: «شاع الشيب شيعاً، وشياعاً، وشيعاناً، وشيوعاً، وشيعوعة، وتشيعاً: ظهر وتفرق، وشاع فيه الشيب، والمصدر ما تقدم، وتشيعه كلاهما: استطار.

وشاع الخبر في الناس يشيع شيعاً، وشيعاناً، ومشاعاً، وشيعوعة، فهو شائع: انتشر، وافترق، وذاع، وظهر»^(١).

ومن إطلاقات هذه المادة: التفريق.

قال ابن منظور رحمته الله: «أشعت المال بين القوم، والقدر في الحي: إذا فرقته فيهم»^(٢).

وتُطلق مادة شيع -أيضاً- على العموم.

قال ابن منظور: «أشاعكم السلام: أي عمكم»^(٣).

وتطلق على الشراكة يقال: «هما متشايعان، ومشتاعان في وادٍ وأرض إذا كانا

شريكين فيها، وهم شيعاء فيها، وكل واحد منهم شيع لصاحبه، وهذه الدار شيعّة بينهم أي مشاعة»^(١).

وتطلق على التفرق وورد من ذلك قولهم: «شاعت القطرة من اللبن في الماء وتشيعت: تفرقت»^(٢).

ومن خلال ما مضى يتبين لنا أن هذه المادة - شيع - تدور حول الظهور، والانتشار والافتراق، والذيوخ، والعموم، والشراكة، والتفرق.

وكلمة شيوعية نسبة إلى الشيوع، فيقال شيوعي للمذكر، وشيوعية للمؤنث، فتطلق على فكرة الشيوعية، وتطلق على من اتصف بها، أو انتسب إليها.

٢- تعريف الشيوعية في الاصطلاح العام: هي نظام يقوم على إلغاء الملكية الفردية، وعلى حق الناس في الاشتراك في المال والنساء؛ فالناس في الشيوعية شركاء في المال، والنساء، وسائر الثروات والمكتسبات.

٣- تعريف الشيوعية الماركسية الحديثة: عُرِّفت الشيوعية الماركسية الحديثة بعدة تعريفات، تكاد تكون متقاربة، ومما عرفت به ما يلي:

أ- قيل: هي حركة فكرية، واقتصادية، يهودية، إباحية، وضعها كارل ماركس تقوم على الإلحاد، وإلغاء الملكية الفردية، وإلغاء التوراث، وإشراك الناس كلهم في الإنتاج على حد سواء^(٣).

١ - لسان العرب لابن منظور ١٩١/٨

٢ - لسان العرب ١٩٢/٨

٣ - الأديان والذاهب المعاصرة د. ناصر العقل ود. ناصر القفاري ص ٩٢

ب - وقيل: هي تصور شامل للكون والحياة والإنسان، ولقضية الألوهية كذلك، وهي تفسير لذلك كله على أساس مادي، وعن هذا التصور الشامل ينبثق المذهب الاقتصادي.

ثم إنها من جهة أخرى مذهب اقتصادي، واجتماعي، وسياسي، وفكري مترابط متشابك لا يمكن فصل بعضه عن بعض^(١).

ج - وقيل: الشيوعية تنظيم بقيادة يهودية، ذو هيمنة عقائدية، ووسائل تستدرج مغرية بالشهوة الإباحية، والنفعية الميكافيلية^(٢)، وتسيطر بالاستبداد المطلق المقرون بالعنف الدموي، والإرهاب المعطل لطاقت الحرية العملية والفكرية.

والهدف الغائي من هذا التنظيم تحقيق جانب من المخطط اليهودي العالمي الرامي إلى تدمير الأمم والشعوب والأديان وكل قيم المجتمع البشري، تمهيداً لإقامة الدولة اليهودية العالمية، التي يحلم قادة اليهود بأنهم سيصلون إليها عن طريق مخططاتهم التي يعملون على تنفيذها بكل ما أوتوه من مكر وقوة.

د - ويمكن أن تعرف الشيوعية بأنها: حركة يهودية، أسسها كارل ماركس وطبقها من جاء بعده، تقوم على الإلحاد، وتنظر إلى الكون والحياة من منظور مادي، وتسعى إلى تحقيق أهدافها بالحديد والنار، ويكل ما تملكه من وسائل.

١ - مذاهب فكرية معاصرة للأستاذ محمد قطب ص ٤٠٩ - ٤١٠.

٢ - الميكافيلية: هي أسلوب في المعاملات، يتسم بالخداع والمخاتلة، مبني على مبدأ «الغاية تسوغ الوسيلة» أو «الغاية تسوغ الوسيلة»، وهذا المبدأ يأخذ به أكثر السياسيين.

وينسب إلى المفكر الإيطالي «ماكيافلي» ١٤٦٩-١٥٢٧م رائد هذا المبدأ، والذي سجله في كتابه «الأمير»

وقدمه لأحد ملوك أوروبا الوسطى، انظر القاموس السياسي لأحمد عطية ص ١١٠٥-١١٠٦.

ثانياً: نبذة عن تاريخ الشيوعية - عموماً - (١)

الشيوعية فكرة قديمة، ظهرت في التاريخ أكثر من مرة؛ فقد جاء في كتاب (الجمهورية) لأفلاطون الأثيني الإغريقي (٤٢٧-٣٤٧) ق.م. ما يدل على نشأة هذا المذهب، حيث أقام في كتابه نظاماً يقوم - بالنسبة للحكام - على شيوعية المال، والنساء، وشرع لهذا منهجاً مفصلاً؛ فهناك أمثلة خيالية، ولمحات عن الاشتراكية أثبتها أفلاطون في كتابه، تصور حقيقة أن القرن الخامس قبل الميلاد - وهو الذي وجد فيه أفلاطون - كان فيه مبادئ اشتراكية لم تنزل في مهدها.

يقول أفلاطون في كتابه الأنف الذكر ما فحواه: «يجب أن يشتمل النظام على اشتراكية النساء والأولاد، فليس لأحد حق بإنشاء أسرة مستقلة، كما ليس له الحق بتربية الأولاد؛ لأن الجميع ملك الدولة، وهي وحدها تشرف على تنشئة العضو الصالح كما تشرف على إنجاب النسل المختار» (٢).

هذا وقد قسم أفلاطون المجتمع إلى ثلاثة أقسام:

١- الحكام.

٢- رجال الحرب.

٣- الخدم والعمال.

١ - انظر الشيوعية في موازين الإسلام ، ل: لبيب السعيد ص ١١ - ١٢ ، ونقد أصول الشيوعية للشيخ

صالح بن سعد اللحيان ص ١٨ .

٢ - نقد أصول الشيوعية ص ١٨ .

وقال: إنه يجب أن تكون الزوجات والأموال، والمآكل مشاعة بين أفراد الفئة الأولى والثانية، أما الثالثة فإنها تعيش على النظام الأسري المعهود. وكذلك قال بالشيوعية أكرينوف (٤٢٥ - ٣٥٢ ق.م) من فلاسفة الإغريق^(١). وقال بها - أيضاً - مزدك عام (٤٨٧م)، حيث دعا إلى الشيوعية واشترك الناس في الأموال، والأعراض، وتسمى حركته بالمزدكية، وظهرت هذه الحركة في بلاد فارس^(٢).

كما دعا إلى الشيوعية كثير من أرباب النزعات الإباحية، كالباطنية المتأثرين بالمزدكية، ومنهم حمدان قرمط وقومه، ومنهم علي بن الفضل الذي صور مذهبهم بقوله:

خذني الدفأ يا هذه واضربي	وغني هزاريك ثم اطربي
تولى نبي بني هاشم ^(٣)	وهذا نبي بني يعرب
لكل نبي مضي شرعة	وهذي شرعة هذا النبي
فقد حط عنا فروض الصلاة	وفرض الصيام فلم نتعب
أباح البنات مع الأمهات	كذاك أباح نكاح الصبي
إذا الناس صلوا فلا تنهضي	وان صوموا فكلني واشربي
ولا تطلبي الحج عند الصفا	ولا زورة القبر في يثرب

١ - انظر الشيوعية في موازين الإسلام ص ١٢.

٢ - انظر الملل والنحل للشهرستاني ١/٢٤٩-٢٥٠.

٣ - يقصد بالذي تولى: نبينا محمد ﷺ.

ولا تمنعي نفسك المعرسين
 بماذا حللت لهذا الغريب
 من الأقرين أو الأجنبي
 ليس الفراس لمن ربه
 وصرت محرمة للأب
 وما الخمر إلا كماء السماء
 وغذاه في الزمن المجذب
 أبيحت فقدست من مذهب^(١)

ثم توالى بعد ذلك الدعوات إلى الشيوعية على يد عدد من الأشخاص،
 منهم توماس مور -١٤٧٨ - ١٥٣٥م- حيث وضع نظاماً لمدينته الفاضلة الخيالية
 ضمن شيوعية مالية.

ثم جاء بعده كامبانيا الإيطالي -١٥٦٨ - ١٦٣٩م- في كتابه مدينة الشمس،
 حيث ضمنه نظاماً اشتراكياً لمدينته هذه أغفل فيه الملكية الفردية والزواج.

ومن الذين دعوا إليها فرنسيس بيكون -١٦٢٦م- وهاريخ تون -١٦٧٧م-
 وجان جاك روسو -١٧٨٧م- والكاتب الفرنسي مورلي -١٨١٧م- وبايف
 الذي أعدم أمام الناس عام -١٧٩٧م-.

هذه نبذة عن تاريخ الشيوعية عموماً.

وبعد هذه الدعوات ظهرت الشيوعية الماركسية الحديثة على يد كارل ماركس،
 وزميله فريدريك إنجلز، وهي مدار الحديث في هذا الكتاب، وسيأتي الحديث عن
 تفصيلها -إن شاء الله تعالى-.

١- انظر كشف أسرار الباطنية للشيخ محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي اليمني ص ٥٥، والحركات

الباطنية د. محمد بن أحمد الخطيب ص ٦٦.

الفصل الأول

نشأة الشيوعية الماركسية، وأشهر شخصياتها

وتحتته ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : نشأة الشيوعية الماركسية.

المبحث الثاني : مؤسس الشيوعية الماركسية، وأشهر

شخصياتها.

المبحث الثالث : أسباب قيام الشيوعية، ومواطن

انتشارها.

المبحث الأول: نشأة الشيوعية الماركسية

ظهرت الشيوعية الماركسية الحديثة في القرن التاسع عشر الميلادي ، فقد خرج كارل ماركس (١٨١٨-١٨٨٣م) بأرائه التي تعد حجر الزاوية في المبادئ الشيوعية ، وقد بسطها في كتابه (رأس المال).

وقد شاركه في صياغة أفكاره ونظرياته وتابع ذلك من بعده - صديقه الألماني فريدريك إنجلز.

وقد اندفع الرجلان بقوة ومن ورائهما ثقل الكيد اليهودي يعملان في نشر الشيوعية.

ثم جاء من بعد ماركس أتباع له يدعون بدعوته ، وأهم هؤلاء وأوضحهم أثراً لينين ، فعلى يده قامت الشيوعية عملاً واقعياً ماثلاً للعيان بعد أن كانت أشبه بنظرية على ورق؛ ففي عهد لينين زادت الشيوعية ، وامتدت ، واشتهرت.

وفي مطلع القرن العشرين أضاف لينين إلى آراء ماركس تعاليم جديدة ، وجمع حوله شباب الروس والعمال الفقراء مكوناً منهم الحزب الشيوعي الروسي.

ومن بعد ذلك ثارت روسيا سنة ١٩١٧م على الحكم القيصري ، واستولى البلاشفة - الأكثرية - بزعامة لينين على الحكم ، وأعدموا القيصر وآله وأعوانه ، وأزالوا جميع النظم القائمة وأحلوا محلها النظام الشيوعي الذي أصبحت روسيا بعد ذلك مصدره ومورده^(١).

وبعد ما مات لينين خلفه ستالين ، وبعده جاء خروتشوف ، ومن بعده بريجنيف ،
ومن بعده أندريوف ، ومن بعده جورباتشوف ، وعلى يده انهارت الشيوعية ،
حيث انقرط عقدها ، وسُلَّ نظامها .

هذه باختصار هي قصة نشأة الشيوعية الماركسية الحديثة .

وإذا أمعنت النظر في نشأة الشيوعية وجدت أنها لم تنشأ من فراغ؛ فهناك
إرهاصات مهدت لقيامها .

وإذا أردت معرفة الخيوط التي كانت نواة لقيام الشيوعية وجدت أنها نشأت في
حِجْرِ الماسونية اليهودية .

فالذين كتبوا عن الماسونية في مرحلتها الثالثة حددوا أنها بدأت عام ١٧٧٠م
وأن بدأها كان إرهاباً قوياً لقيام الشيوعية الماركسية .

يقول وليم كار صاحب كتاب (الدنيا لعبة إسرائيل) : « كان آدم وايزهاويت أحد
رجال الدين المسيحي أستاذاً لعلم اللاهوت في جامعة (انغولت شتات) الألمانية بيد
أنه ارتد عن المسيحية ليعتنق الإلحاد ، وتقمصت فيه روح الشر الإلحادي بشكل
خيي .

وفي عام ١٧٧٠م اتصل به رجال الماسونية في ألمانيا ، وقد وجدوا فيه بغيتهم ،
فكلفوه بمراجعة (بروتوكولات حكماء صهيون) القديمة وإعادة تنظيمها على
أسس حديثة « ^(١) .

١ - الدنيا لعبة إسرائيل وليم كار ص ١١ ، وانظر المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها د. عبدالرحمن

«والهدف من وراء ذلك في هذه المرة ليس محاربة الديانة المسيحية، ووضع أيديهم على اقتصاديات ومقدرات العالم كما حدث سابقاً. إن الأمر في هذه المرة أكبر من ذلك، وهو وضع خطة للتمهيد للسيطرة على العالم، وعن طريق فرض عقيدة الإلحاد والشر على البشر جميعاً»^(١). يقول وليم كار: «وقد أنهى وايزهاويت مهمته خلال عام ١٧٧٦م، ويقوم المخطط الذي رسمه على ما يلي:

- ١- الهدف الأول: تدمير جميع الحكومات الشرعية، وتدمير وتقويض جميع الأديان السماوية.
- ٢- تقسيم (الجويم)^(٢) إلى معسكرات متنازعة تتصارع فيما بينها بشكل دائم حول عدد من المشاكل تتولى المؤامرة توليدها وإثارها باستمرار ملبسة إياها ثوباً اقتصادياً، أو اجتماعياً، أو سياسياً، أو عنصرياً.
- ٣- تسليح هذه المعسكرات بعد خلقها، ثم تدمير حادث في كل مرة يكون من نتيجته أن ينقض كل معسكر على الآخر.
- ٤- بث سموم الشقاق والنزاع داخل البلد الواحد وتمزيقه إلى فئات متناحرة، وإشاعة عقلية الحقد والبغضاء فيه، حتى تقوض كل دعائمه الأخلاقية،

١ - المذاهب المعاصرة ص ٤٦.

٢ - الجويم: كلمة عبرية، معناها الأصلي «شعب» أو (قوم) لكن دلالتها عند اليهود أصبحت تعني الشعوب من غير اليهود. انظر المغني الوجيز، وموسوعة المصطلحات الأجنبية الشائعة لمنذر الأسعد ١٣٠/١-١٣١.

والدينية، والمادية.

٥- الوصول شيئاً فشيئاً إلى النتيجة بعد ذلك، وهي تحطيم الحكومات الشرعية، والأنظمة الاجتماعية السليمة، وتهديم المبادئ الدينية الأخلاقية، والفكرية والكيانات القائمة عليها؛ تمهيداً لنشر الفوضى والإرهاب، والإلحاد^(١).

هذا هو المخطط الذي وصفه وايزهاويت، والذي يهدف الماسونيون من خلاله إلى تحقيق ما يريدون.

والمتابع لأحوال العالم يشاهد آثار ذلك التخطيط.

ولما انتهى وايزهاويت من وضع مخططه السابق كُلف - أيضاً - بتنظيم المحفل (النوراني) نسبة إلى الشيطان الذي كان مخلوقاً نورانياً - كما يقولون - وسمي ذلك المحفل بهذا الاسم؛ تذكيراً بالرابطة التي تربط جماعة الماسون والشيطان.

وهكذا استمرت المحافل في أداء رسالتها الشيطانية في جميع البلاد التي تحل بها، بل واستطاعت أن تغزو بعض البلاد الإسلامية عن طريق شعاراتها البراقة: الحرية، والإخاء، والمساواة، فخدعت الكثير من الناس بهذه الشعارات.

وفي عام ١٨٣٠م فوجئت المحافل الماسونية بوفاة آدم وايزهاويت الرأس المفكر عندهم، والمخطط لأعمالهم بعد حياة طويلة سخر خلالها عبقريته الشريرة لخدمة أتباع الشيطان.

حينئذٍ فترت أعمال المحافل، وخدمت أنشطتها، وأوشكت أن تشل حركتها بالكامل بعد أن علمت بعض الحكومات بما تدبره وتعمل له، وبعد أن أحاطت

١ - الدنيا لعبة إسرائيل ص ١١، وانظر المذاهب المعاصرة ص ٤٦.

بآراء تلك المحافل وأهدافها البعيدة، لكن الاجتماع المفاجئ الذي دعت له المحافل عام ١٨٣٤م والذي تقرر فيه اختيار الزعيم الإيطالي (مازيني) خلفاً لآدم وايزهاويت - مكن هذه المحافل من تنفيذ برامجها في إثارة الفوضى والتخريب في ربوع العالم.

وفي عام ١٨٤٠م استطاع المحفل الماسوني العالمي النوراني أن يضم إلى عضويته شخصية جديدة هو الجنرال الأمريكي (ألبرت بايك) الذي سُرح من الجيش الأمريكي ومعه قواته من الجنود الحمر؛ لارتكابهم فظائع وحشية تحت ستار الأعمال الحربية.

ونجحت الماسونية في استغلال حقه، وغضبه لما حل به من جراء تسريحه لخدمتها ولم تمض إلا فترة وجيزة على انضمام هذا الرجل للمحفل حتى أصبح المشرف الأول، والمخطط لهم في تنفيذ برامجهم.

لقد عمد النورانيون إلى بايك بالناحية التخطيطية، واختاروا له مقراً للعمل في بلدة صغيرة هادئة في الولايات المتحدة الأمريكية في (ليتل روك).

وفي هذه البلدة استقر (بايك) في قصر هادئ واعتكف فيه من عام ١٨٥٩- ١٨٧١م وفي خلال هذه الأعوام قام بدراسة مستفيضة لمخططات (وايزهاويت) ثم وضع مخططاته الجديدة على ضوءها^(١).

والذي يعيننا في هذا الصدد أن بايك أقرّ ونظم تبني النورانيين لحركات التخريب العالمية الثلاث المبنية على الإلحاد وهي:

١- الشيوعية.

٢- الفاشستية^(١).

٣- الصهيونية^(٢).

فالأولى: وهي الشيوعية للإطاحة بالحكم الملكي في روسيا، وبعد الإطاحة بالحكم تجعل هذه المنطقة من العالم هي العقل المركزي للحركة الشيوعية الإلحادية، ثم تأتي بعد ذلك مرحلة الانطلاق بالشيوعية إلى كل أرجاء العالم، بغية تدمير المعتقدات الدينية والأخلاقية.

والثانية: وهي الفاشستية تُؤمن الحرب العالمية الثانية واجتياح الحركة الشيوعية العالمية لنصف العالم مما يمهد للمرحلة القادمة هي إقامة دولة إسرائيل على أرض فلسطين.

والثالثة: وهي الصهيونية تتصدى للزعماء الإسلاميين، وتشن حرباً على الإسلام الذي يعد القوة الأخيرة التي تجابه القوة الخفية - الماسونية - حتى تتوصل إلى تدمير العالم وعقيدته^(٣).

١ - الفاشستية ويقال: الفاشية: هي نظام، أو حركة أو فلسفة سياسية تمجد الدولة، والعرق، وتدعو إلى إقامة حكم أوتوقراطي مركزي على رأسه زعيم دكتاتوري، وإلى السيطرة على كل شكل من أشكال النشاط القومي. ومن أبرز زعماء هذه الحركة الزعيم الإيطالي موسوليني.

٢ - الصهيونية: هي منظمة يهودية سياسية أسسها اليهودي تيودور هرتزل، وتهدف إلى تجميع اليهود في فلسطين وإلى تنفيذ المخططات المرسومة لإعادة مجد بني إسرائيل وبناء هيكل سليمان، ثم إقامة مملكة إسرائيل ثم السيطرة على العالم من خلالها تحت ملك اليهود المنتظر الزعوم.

٣ - انظر الدنيا لعبة إسرائيل ص ٢٦، والمذاهب المعاصرة ص ٥٣-٥٤.

والذي يعنينا من هذه الحركات الشيوعية، فلقد اختارت المؤامرة العالمية روسيا لتكون مقراً لقيام الشيوعية؛ لكثرة أقطاب اليهود القاطنين فيها.

ففي القرن التاسع عشر وفي الوقت الذي كانت فيه روسيا تحكم بالقيصرية - بلغ يهود روسيا ذروة السيطرة المالية والمهنية، وكان اتجاه القياصرة الروس أن يصهروا اليهود في المجتمع الروسي؛ حتى لا يكون لهم انفصال متميز.

إلا أن اليهود كانوا يرفضون ذلك بدافع عرقي وديني.

ثم كانت محاولة اغتيال اسكندر الثاني، فبدل هذا سياسته تجاه اليهود بعد أن كانت سياسة انفتاح وتسامح شديد.

عندئذٍ نقم اليهود على القيصر، وأسسوا جمعية سرية إرهابية هي جمعية (نارود نايفوليا) أي إرادة الشعب، وظلوا يأترون بالقيصر؛ ليقتلوه، حتى نجحت مؤامرة اغتياله في آذار سنة ١٨٨١م، وكان رؤوس المؤامرة جميعهم من اليهود، وفي مقدمتهم اليهودية (هيسيا هيلفمان).

وكان لاغتيال اسكندر الثاني رد فعل روسي معادٍ لليهود، وعندئذٍ نشطت الحركتان الشيوعية والصهيونية نشاطاً كبيراً في صفوف اليهود.

واتجهت الخطة اليهودية لتقويض القيصرية، وإقامة النظام الشيوعي في أوروبا الشرقية، فأخذ اليهود يدبرون المكائد، ويحكون الدسائس، وينظمون الجمعيات السرية اليهودية لذلك الشأن، فكان من تلك المنظمات فرقة أطلق عليها (فرقة تحرير العمل).

وكانت مهمتها نشر أفكار كارل ماركس وآرائه وذلك عام ١٨٨٣م.

وقد حققت تلك الفرقة - بما توفر لديها من عونِ التنظيمات اليهودية في داخل روسيا - بعضَ مهمتها، واعتبر لينين وستالين أن ما حققته هذه الفرقة الماركسية كان النواة الأولى، وأنها أدت مهمة خطيرة جداً.

كما قامت المنظمات الأخرى كمنظمة (اتحاد العمال اليهود) بنشاطات واسعة في تأجيج الثورة ضد القيصرية، وبيث النظرية الشيوعية الماركسية، وبالارتباط بكبار أصحاب الأموال الضخمة في العالم من الرأسماليين لتمويل حركتهم الشيوعية اليهودية.

وفي عام ١٨٩٣م ذهب لينين إلى (بطرسبرغ) فأقام فيها، وأنشأ حلقة ماركسية انضم إليها عدد واسع من اليهود، ثم قام بمهمة توحيد الحلقات الماركسية في المدينة، وكان يزيد عددها على العشرين، فجمعها في (اتحاد النضال لتحرير الطبقة العاملة). وظل الاتحاد يعمل بقيادة لينين في اتجاه آرائه حتى اعتقل عام ١٨٩٥م.

ثم تابع اليهود في الولايات الغربية من روسيا مسيرة لينين، فأنشأوا حزب (البوند) أي الاتحاد العام للحزب الاشتراكي اليهودي، ولم يحضر لينين هذا المؤتمر بسبب نفيه إلى سيبيريا.

وفي عام ١٩٠٣م انعقد في بروكسل عاصمة بلجيكا مؤتمر التوحيد بهدف جمع الحركات الماركسية كلها تحت حزب العمال الاشتراكي، وكان برنامج الحزب الذي وضعه لينين هو الثورة الاشتراكية وقلب سلطة الرأسمالية وإقامة ديكتاتورية البروليتاريا^(١).

ثم عاشت روسيا فترة طويلة من الاضطرابات التي كان لها أكبر الأثر على الإنتاج العام الذي منيت به البلاد، والذي ظهر أثره عندما دخلت روسيا الحرب ضد ألمانيا؛ فمع بداية القرن العشرين الميلادي كانت روسيا مسرحاً لنشاط ثوري أسسه اليهود، واستطاعت تنظيماتهم السرية اغتيال عدد من الزعماء الروس.

وفي عام ١٩٠٥م قامت في روسيا أول ثورة شيوعية نظمها اليهود غير أنها أخفقت، ولم يتمكن اليهود من فرض الماركسية في روسيا.

وفي كانون الثاني من عام ١٩١٧م بدأت الاضطرابات في موسكو ضد نظام الحكم القيصري؛ نتيجة ضعفه، وكثرة المؤامرات ضده، والحرب التي يخوضها على الجبهة الألمانية.

وظلت هذه الاضطرابات تستفحل وتنتشر حتى بلغت حد الثورة التي استطاعت أن تسقط نظام الحكم القيصري في شباط سنة ١٩١٧م.

وكانت الثورة في بدايتها ديمقراطية ذات اتجاه إصلاحي ولم تكن شيوعية، ولم يظهر الشيوعيون على الساحة، وقامت الحكومة المؤقتة برئاسة الأمير لفوف، واتخذت هذه الحكومة المؤقتة بعض التدابير الأولية للتهدئة؛ ظناً منها أن ذلك لمصلحة روسيا، فأصدرت قراراً بإعادة جميع المنفيين في سيبيريا والسماح لمن كان يقيم في الخارج أن يعود إلى البلاد.

وفي نيسان عام ١٩١٧م عاد إلى موسكو قادة المنظمات اليهودية الماركسية؛ فعاد لينين من سويسرا، وعاد ستالين من سيبيريا، وعاد تروتسكي من نيويورك مع مئات الشيوعيين اليهود الحمر.

وفي شهر نيسان نفسه من عام ١٩١٧م اجتمع البلشفيك برئاسة لينين، ووضعوا مخططاً لتحويل الثورة لمصلحتهم، ومضادتها بأية وسيلة. وفي تشرين من عام ١٩١٧م استطاع البلشفيك الاستيلاء على السلطة المؤقتة، فصارت بأيدي الشيوعيين: لينين وأتباعه. وبعد ذلك اتحدت المنظمات الماركسية، وخضعت لجهاز مركزي واحد، وفرض على روسيا حكم شديد العنف والصرامة مستخدماً كل وسائل القمع بالحديد والنار. وبهذا يتبين لنا كيف قامت الشيوعية، ومدى العلاقة بينها وبين اليهودية العالمية^(١).

بل لقد كشفت اليهودية عن عملها ومخططاتها في نجاح الثورة، حيث صرح جاكوب شيف المليونير اليهودي بأن الثورة الروسية نجحت بفضل دعمه المالي. وقال: «إنه عمل على التحضير لها مع رفيقه تروتسكي»^(٢). وفي استكهولم كان اليهودي (ماكس واربورج) ينفق بسخاء على هدم النظام القيصري، ثم انضم إلى هذه المجموعة من أصحاب الملايين اليهود - (والف اشبورغ) (وجيفولوفسكي) الذي تزوج ابنة (تروتسكي)^(٣). وتقول إحدى الصحف الفرنسية القديمة الصادرة في عددها ١١٥ عام ١٩١٩م: «المعروف أن الحركة البلشفية ليست سوى حركة يهودية سرية يربطها

١ - انظر في تفاصيل ذلك إلى المذاهب المعاصرة ص ١١١-١١٣، والكيد الأحمر ص ٨٤-٩٤.

٢ - المذاهب المعاصرة ص ١١٢.

٣ - انظر المذاهب المعاصرة ص ١١١-١١٢.

ويوجهها التمويل اليهودي ، فضلاً عن القيادات اليهودية فكراً وتنظيماً»^(١).
 ونساءل كيف يتفق أصحاب رؤوس الأموال في العالم مع دعوة (البروليتاريا)
 أصحاب الطبقة الفقيرة أيكون هذا دعاية من الدعايات التي تطلقها الدول
 الرأسمالية ضد النظام الشيوعي وأتباعه؟
 إن الصحيفة الفرنسية تحسم هذه التكهينات والتناقضات عندما تكشف شيئاً
 من مخطط اليهود بقولها: «إن الهدف من تمويل الثورة الشيوعية من قبل
 الرأسمالية اليهودية هو إقامة دولة إسرائيل في فلسطين»^(٢).
 ويؤيد ما قالته الصحيفة الفرنسية أن من أول القرارات التي أصدرها لينين
 عقب توليه السلطة: هو قراره المعروف بتأييد إقامة وطن قومي لليهود في
 فلسطين.
 والعجيب في الأمر أن قرار لينين هذا تزامن مع وعد بلفور الإنجليزي لهذا
 الغرض.
 وهكذا التقت الشيوعية مع الرأسمالية عام ١٩١٧م^(٣).

١ - المذاهب المعاصرة ص ١١٢.

٢ - المرجع السابق ص ١١٢.

٣ - انظر المذاهب المعاصرة ص ١١٢-١١٣.

المبحث الثاني: مؤسس الشيوعية الماركسية، وأشهر شخصياتها

أولاً: مؤسس الشيوعية الحديثة - كارل ماركس^(١) ١٨١٨ - ١٨٨٣م - :
 مؤسس الشيوعية الحديثة، والرجل الأول فيها هو كارل هنريك ماركس،
 فالعالم يعرفه بأنه أبو الشيوعية، وأنها إليه تنسب، فيقال: الشيوعية الماركسية.
 وتلامذة ماركس يغالون في حبه، ويعدون له رجل الثورة والحرية؛ فهو
 - بزعمهم - ذلك الرجل الرقيق الذي يحمل قلباً مليئاً بالعطف والحنان، وأنه
 ذلك الرجل الذي يكره الاستبداد، ويتدسس في مخازن الأغنياء، فيفتح
 صناديقهم المليئة بحثاً عن لقمة عيش يسد بها جوعة فقير أو مسكين، أو يتيم أو
 شيخ كبير، أو عامل كادح.

هذه هي الصورة الخادعة، والدعاية البراقة عن كارل ماركس.
 أما الحقيقة والوثائق فتقول غير ذلك، فتقول: إنه حبر يهودي، إنه ذلك
 الألماني المولود عام ١٨١٨م، فهو يهودي ابن يهودي، وجده هو الحاخام
 اليهودي الكبير (مردخاي)، بل إن أجداده من جهة أمه يهود، كما أنه ولد في
 حي اليهود المسمى (غيثو).

ولقب أسرته الحقيقي (لاوي) أو (ليفي) واللاويون من بني إسرائيل ينتسبون إلى

١ - انظر: الشيوعية والإنسانية في شريعة الإسلام للعقاد ص ٢٤-٢٥، ٢٨-٢٧، والمذاهب المعاصرة ص ١٨٥-١٩١، والكيد الأحمر ٧٤-٧٥، والموسوعة الميسرة ص ٣٠٩-٣١٠، والشيوعية وموقف القرآن الكريم منها د. عبد الباقي أحمد عطا الله ص ٤١-٤٩، وأيها الشيوعيون هؤلاء قواد ثورتكم محمد الصوياني.

لاوي بن يعقوب - عليه السلام - ؛ فماركس - إذاً - يهودي الوجه واليد واللسان.
 أما عن تعليمه فقد وجهه والده إلى الفكر الفلسفي ، كما درس له شيئاً من
 الأدب الكلاسيكي ، ثم دخل ماركس جامعة بون ، ثم جامعة برلين.
 وكان أبوه يريد أن يدرس ابنه القانون ، ولكنه بعد فصلين دراسيين تحول إلى
 دراسة الفلسفة ، ثم تركها ليدرس الاقتصاد.

وكانت حالة أبيه متدهورة ، ولكن كارل ماركس لم يقدر ذلك ، فساءت
 العلاقات بينهما ، فلم يكن باراً بأبيه حتى بعد موته ؛ فحين نعي إليه أبوه وهو في
 السنة النهائية من دراسته الجامعية - لم يذهب إلى بلدته ؛ ليواسي أمه وإخوته ،
 وما كان منه إلا أن بعث إلى أمه يطلب نصيبه من ميراث أبيه ، ثم ظل بعد استيفاء
 ميراث أبيه يرهق أمه بمطالب مالية ، غير مبال بحاجة إخوانه وضعفهم.
 ومما يذكر عنه أنه لم يكن حميد السيرة لما كان في الجامعة ، فكان على درجة
 عالية من الفساد الخلقى ، وشرب المسكرات ، واستعمال المخدرات ، وكان
 يسترسل في سهراته مع غواة العريضة واللهو ، وكان يترك بلدة بون لما كان في
 جامعته ، ويذهب إلى بلدة كولون بيتغي ما فيها من ملاهي السهر مما لم يكن
 ميسوراً له تحت الرقابة الجامعية.

ولما كان في برلين ضبط أكثر من مرة وهو سكران.
 وكان جباناً رعديداً يخاف من الشرطة خوفاً شديداً؛ فكان يذهب إلى قرية
 قريبة من برلين؛ ليشرب فيها كما يريد ، ولقد كان ذا طبيعة ميالة إلى الهدم
 والتدمير ، كما وصفه بذلك والده.

ومما يذكر في سيرة ماركس أنه كان مُنْفَرّاً لمن حوله، مفرطاً في أنانيته وسوء خلقه، وبذاءة لسانه.

وكان معجباً بنفسه متعالياً على غيره، ولا يتحرج من قذف المخالفين له بالشتائم القذرة، وألفاظ الازدراء والسخرية ولو كان المخالف ممن يقول بفكرته، وينادي بما ينادي به.

ومما يذكر عنه أنه كان قذراً يهمل نظافة جسمه، وترجيل شعره، والعناية بملابسه ومظهره.

وكان منظر القروح التي تملأ وجهه وما ظهر من جلده يزيده قذارة إلى قذارته. ومما ذكر عنه أنه كان كثير الاستدانة من معارفه، حتى لقد ملأوا من كثرة طلباته، وعدم وفائه.

ثم إن هذا الرجل الذي يحارب الملكية الفردية ويعدها سرقة أخبث من سرقة اللصوص وقطاع الطريق - رد خطيب ابنته (لورا) ريثما يتحقق من صحة ميراثه، ومن كفاية ذلك الميراث؛ للتعويل عليه في طلباته.

كما أنه كان معروفاً باستخدام الغش، والمكر والخداع، وسرقة الكتب والمقالات وغيرها.

ومما مرَّ بماركس في حياته من أحداث - موت ابنتيه متحرتين، فالأولى (النيورا) انتحرت بعد أن عاشت في الحرام مع عشيق لها ثم اكتشفت سبق زواجه، والثانية (لورا) وقد انتحرت؛ خوفاً من أن تدركها الشيخوخة، مما كان له أثر في نفسه.

هذه لَمَعٌ من سيرة هذا الرجل، وإذا كان هناك من شيء يدعو للعجب فهو

حال أتباعه ومريديه ، ومحبيه ، فكيف يكون له أتباع ومريدون ومحبون وهو بهذه الحال الغربية المنفرة؟!

ولكن إذا عرف السبب بطل العجب؛ فالأرواح جنود مجنّدة ، والطيور على أشكالها تقع ، و:

إذا لم يكن للمرء عين صحيحة فلا غرو أن يرتاب والصبح مسفر

ثم إن أصابع اليهود من وراء ذلك - كما مر - فاليهودية هي حاضنة الشذاذ ، وفاتحة المجال أمام المجرمين المفسدين.

على أن في حياة ماركس زاوية لم يلق عليها الضوء إلا مؤخراً؛ ذلك أن ماركس قد اتصل عام ١٨٦٢م بفيلسوف الصهيونية الأول، وواضع أساسها النظري (موشيه هيس) وعن هذا أخذ هرتزل^(١).

وقد بلغ من إعجاب ماركس وتأثره بـ (هيس) أن كتب فيما بعد يقول: «لقد اتخذت هذا العبقرى لي مثلاً وقدوة؛ لما يتحلى به من دقة التفكير، واتفاق آرائه مع عقيدتي وما أوّمن به ، إنه رجل نضالي الفكر والسلوك»^(٢).

و(موشيه هيس) هذا هو صاحب كتاب (الدولة اليهودية) ولم يزد هرتزل على أفكار هيس سوى أن بسطها، وأقام لها تنظيمها السياسي، فيما يعرف بالحركة الصهيونية تماماً كما كان لينين من ماركس، فماركس صاحب النظرية، ولينين

١ - هرتزل: هو مؤسس الصهيونية الحديثة.

٢ - المذاهب المعاصرة ص ١٢٠.

منفذها، وموضح عويصها، ومطورها بما زاد عليها^(١).

ثانياً: أشهر شخصيات الشيوعية الماركسية:

هناك شخصيات مهمة، وذات أثر في نشأة الشيوعية والتمكين لها، وأشهر هذه الشخصيات لينين، وتروتسكي، وستالين.

وفيما يلي نبذة عن هذه الشخصيات^(٢):

١- لينين: اسمه الحقيقي فلاديمير ألتيش بوليانوف، وهو قائد الثورة البلشفية الدامية، ودكتاتورها المرهوب، فهو الذي قاد الثورة على القيصرية الروسية عام ١٩١٧م وتولى زمام الحكم الشيوعي إلى أن مات عام ١٩٢٤م.

وهناك دراسات تقول بأنه يهودي الأصل وأنه كان يحمل اسماً يهودياً ثم تسمى باسمه الذي عرف به، وربما كان من سلالة التتار الوافدين على روسيا.

وأما أمه (ماريا الكسندر) فيقال: إنها ألمانية الأصل من سلالة يهودية، ولم يطلع لينين على الأفكار الشيوعية إلا في العشرين من عمره، وقد اتصل بالثوريين فقبض عليه عام ١٨٩٧م وظل في السجن مدة عام، ثم نفي إلى سيبيريا، وفي منفاه عكف على التأليف.

وفي سنة ١٩٠٠م سُمح له بالعودة فهاجر إلى سويسرا وهناك أسس أهم صحيفة ثورية (القبس) ثم انتقل إلى لندن؛ ليتصل بالاشتراكيين هناك، ومكث

١ - انظر المذاهب المعاصرة ص ١٢٠.

٢ - انظر المذاهب المعاصرة ص ١٨٥-١٩١ والموسوعة الميسرة ص ٣٠٩-٣١٠، والشيوعية

ومواقف القرآن الكريم منها ص ٤١-٤٩ وأيها الشيوعيون هؤلاء قواد ثورتكم.

فترة ثم استطاع بعدها أن يدخل روسيا سرّاً سنة ١٩٠٥م.

وفي عام ١٩١٧م تولى قيادة الثورة ضد القيصرية، واستطاع القبض على زمامها لصالح الحزب البلشفي كما مر عند الحديث عن نشأة الشيوعية.

وهكذا تبوأ لينين مقعد الرئاسة منفذاً ما كان يريد لا ما كانت الثورة تريد. ولئن كان ماركس هو المؤسس الأول للشيوعية بأفكاره النظرية - فإن لينين هو المنفذ لهذه الأفكار؛ فهو الذي وضع الشيوعية موضع التنفيذ.

ومما ذكر عن لينين أنه كان مُعَقِّداً عنيفاً قاسي القلب مستبدّاً بالرأي، حاقداً على البشرية.

ومن صفاته أنه كان كالح الوجه، دائم العبوس، سييء الظن بكل من حوله، يَفْتَرِضُ أن العداوة كامنة في كل نفس؛ فمن كلامه للأديب الروسي مكسيم جورجكي: «ينبغي أن يحذر الإنسان من التريت بيده على رؤوس الناس؛ لأنها قد تصادف هناك عضة تستأصلها»^(١).

وكان ذا شخصية شاذة؛ فله شذوذات كثيرة، منها أنه لا يقبل أن يكون في مكتبه مقعد مريح للجلوس عليه.

وكان خطيباً بارعاً، وقد اتخذه الروس صنماً معبوداً وأضافوا عليه ألقاباً كثيرة، فيصفونه بأنه سلس منقاد، بسيط كالحق، رقيق كالنسيم.

وهي - في الحقيقة - صفات أملاها الرعب، ولم تملها الحقائق والواقع؛ ذلك أن الشعب يبغضه بشدة، والدليل على ذلك كثرة المؤامرات التي دبرت لقتله، غير أنه

لم يميت إلا في يناير عام ١٩٢٤م.

أما الريبة التي أحاطت بموته فهي حقيقة تناولها الناس بعد مدة من وفاته؛ فقد ألزمه المرض فراشه في أواخر أيامه، وكان الفالج يعاوده بالإلحاح بين الفينة والأخرى.

وفي تلك الأثناء تغير رأيه في ستالين وكان إذ ذاك سكرتير الحزب، وكان قد أفضى إلى بعض رفاقه أنه لا يطمئن إليه، وأن في عزمه أن يخلعه من سكرتارية الحزب.

ويقال إن ذلك نما إلى علم ستالين، فدرس له سماً قضى عليه^(١).

٢- تروتسكي^(٢) : وهو من الشخصيات البارزة في الحزب الشيوعي بروسيا، وكانت مكانته تلي مكانة لينين، فلقد كان تروتسكي من المصطفين والموثوق بهم لدى لينين.

وقد ولد سنة ١٨٧٩م واغتيل سنة ١٩٤٠م في المكسيك.

وليس هذا هو اسمه الحقيقي، بل اسمه بروتالين، وهو ابن لرجل يهودي من الطبقة المتوسطة.

وفي عام ١٨٩٨م كان له نشاط ثوري فقبض عليه وحكم عليه بالسجن أربعة أعوام ونصف، ثم رحل منفياً إلى شرق سيبيريا، ولكنه في عام ١٩٠٢م تمكن من الهرب إلى إنجلترا باستعمال جواز سفر مزيف، وكان صاحب الجواز يدعى

١ - انظر: المذاهب المعاصرة ١٩١.

٢ - انظر: المذاهب المعاصرة ١٩٢-١٩٤.

تروتسكي، فاستولى على الجواز والاسم جميعاً، وظل ينادى بذلك الاسم طيلة حياته.

وأقام عقب هربه في لندن، وهناك اتصل بالحزب الديمقراطي الاشتراكي؛ وكان حينئذ في الثالثة والعشرين من عمره.

ورغم حداثة سنه أصبح عضواً بارزاً، وكان من رفاقه في هذا المجتمع لينين، وليمنانوف.

وقد شارك في تحرير جريدة لينين (القبس) التي تعد أشهر صحيفة اشتراكية، وعاد إلى روسيا سنة ١٩٠٥م وأجري انتخاباً لاختيار مندوبين عن العمال في مدينة (بترسبرج) عقب عودته، فاختير عضواً، ثم اختير رئيساً.

وفي إحدى الجلسات هجم عليهم رجال الشرطة فاعتقلوا جميعاً، ونفي تروتسكي مرة ثانية إلى سيبيريا.

ومرة ثانية تمكن من الهرب عقب وصوله مباشرة، فاتخذ طريقه هذه المرة إلى النمسا، ثم ظل يرسل ويكتب للصحف الروسية.

وفي سنة ١٩١٣م عمل مراسلاً حربياً، وتنقل في العواصم بين باريس وزيورخ، وبذل نشاطاً مع الثوار الاشتراكيين، وأخرج في هذا الوقت كتاباً عن أسباب الحرب العالمية الأولى، ثم حكم عليه بالسجن ثمانية شهور وكان ذلك -أيضاً- بسبب نشاطه الثوري وخطورته أيام الحرب.

وفي سنة ١٩١٦م والحرب قريبة من نهايتها طردته الحكومة الفرنسية من بلادها، فسمح له بالذهاب إلى بلاده، ووصل إلى بترس جراد بعد وصول لينين

إليها بيومين، واستفاد من معرفته السابقة بلينين، ولهذا اختير في يوليو سنة ١٩١٧م عضواً في الحزب، ولأسباب غامضة قبض عليه واعتقل.

وفي معاهدة الصلح التي أجريت بين روسيا وألمانيا وهي معاهدة (بريست ليتوفسك) كان تروتسكي أبرز مندوبي روسيا فيها.

وفي عام ١٩٢٠م نظم فرقة من جماعات العمال، وهو صاحب فكرة التجنيد الإجباري في المصانع، وفي الحرب الروسية البولندية كان تروتسكي يعارض بشدة دخول الجيش الروسي وارسو، وكان دخوله يتصف بالقوة والعنف وتحطيم كل ما يقابله، ولكن لينين أصر على رأيه، ولم يكن أحد يجرؤ على معارضته.

وفي سنة ١٩٢٣م تعرض لهجوم عنيف من حملة الشيوعية القدامى وتزعم الحركة ضده ستالين، وعندما مات لينين كان تروتسكي مريضاً فأرسل إلى القوقاز، للاستشفاء وليخلو الجو لستالين.

وظلت الحملة ضده مدة، وانتهت بتجريده من منصبه كرئيس للقوى الحربية، وعندما عاد من القوقاز أسند إليه عمل أقل أهمية، إذ عين رئيساً لفرقة تعمل لتنمية القوى الكهربائية.

وفي سنة ١٩٢٥م استقال أو أقيـل من هذا المنصب، وعين رئيساً لإحدى اللجان المركزية ولم يظل في المنصب طويلاً.

وفي نوفمبر سنة ١٩٢٧م فصل من الحزب الشيوعي متهماً بنشاط وأعمال ضد الحزب وفي سنة ١٩٢٨م نفي إلى تركستان، وفي سنة ١٩٢٩م ذهب إلى القسطنطينية، فأمضى بها مدة أطول.

وفي سنة ١٩٣٦م اتخذ الترويج مقاماً له ، وفي سنة ١٩٣٧ رأى أن يذهب إلى المكسيك ، ليقيم هناك ، فاتخذ له بيتاً في العاصمة.

وفي سنة ١٩٤٠م وبينما هو آمن في بيته بالمكسيك فوجئ بشخص يهجم عليه؛ ليغتاله ، فضربه ضربة مميتة وهرب القاتل ، ومات تروتسكي في اليوم التالي ، وكان القاتل أحد أصدقائه.

وأصرَّ المتممون إليه في منفاه أن القاتل مندوب من ستالين ، ولا يوجد من يعارض هذا القول.

الجدير بالذكر أن هناك حدثاً مهماً ، وانقلاباً كبيراً في حياة تروتسكي قلما يذكره من يتحدث عنه ألا وهو خبر اعتناقه للإسلام ، فقد جاء في جريدة الأهرام في عددها ، ١٩ الصادر في إبريل سنة ١٩٢٩م ، ونقلته عنها مجلة الهداية الإسلامية في الجزء السابع من المجلد الأول - ما يلي :

« تروتسكي يعتقد الإسلام في بيئة تجهل على الإسلام »

وتحت هذا العنوان قالت مجلة الهداية الإسلامية نقلاً عن الأهرام ما يلي :

« نقلت الصحف خبر اعتناق تروتسكي الزعيم البلشفي للإسلام وهو

منفي في تركيا ، وجاء في حديث إسلامه « أنه على إثر شفائه من مرضه في

الأستانة دعا مفتي الأستانة ، فأجاب دعوته ، وشهد اجتماعهما مندوب

جريدة وقت التركية ، فقال تروتسكي : كنت يهودياً غير أن مبادئ لم ترق

لبعض الحاخامين ، فحرموني من ديانتي ، ولكنني لم أعر حرمانني هذا اهتماماً

كثيراً؛ لأن مبادئ الدين الإسرائيلي لم تكن لتروقني ، فلم أحتج ولم أعارض.

وأما الآن وأنا أتقدم في السن فإنني أشعر كغيري من الناس بأني في حاجة إلى إيمان ودين سماوي، ففكرت في وقت ما أن أصبح مسيحياً غير أنني عدلت عن ذلك؛ لكرهي اعتناق دين القياصرة، والمستبدين، وراسبوتين^(١) الراهب الشرير، فلم يبق أمامي غير الدين الإسلامي الذي دقت النظر في البحث في شرائعه فوجدت فيه مزايا حسنة، منها أنه يحض على المناقشة، والمباحثة في أصوله، ولذا سأعتنق الإسلام.

وسيتناول فضيلة المفتي العشاء معي، ثم يبدأ بتلقيني الشرائع الإسلامية^(٢).

١ - راسبوتين: هو جريجوري يفيمتش راسبوتين، راهب روسي فاجر «١٨٧٢-١٩١٦م» كان أمياً، وبرغم ذلك سيطر على القيصر وزوجته عن طريق شعورته، وقد استغل نفوذه الطاغوي بصورة شريرة، وتلاعب بالسياسة، واتسم سلوكه الشخصي بالتهتك، إلى أن اغتاله فريق من طبقة النبلاء بزعامة الأمير يوسوبوف. انظر المغني الوجيز ١/١٧٩.

٢ - وبعد أن نقلت مجلة الهداية الإسلامية هذا الخبر علق مصدر المجلة الشيخ محمد الخضر حسين رحمته الله قائلاً: «يحدثنا تروتسكي أنه اعتنق الإسلام بعد أن دقق البحث في حقائق شريعته الغراء، ومن نظر إلى أن تروتسكي نشأ في منبت غير إسلامي، وأشرب مذهباً ذا مبادئ لا تلائم طبيعة الدين الخنيف، ثم وقع في بيئة أخذ مترفوها يفسقون على الإسلام علانية - وثق بأن تروتسكي إنما يسلم على سلطان من الحججة مبین. ولا عجب أن يهتدي تروتسكي إلى الإسلام، ويزيغ عنه نفر ترددوا على معاهد شريعته بضع سنين؛ فإن هؤلاء نفر لم ينظروا في حقائقه نظر الباحث النبيه، وما كان تعاليمه إلا كالصور تقع على ظاهر قلوبهم دون أن تخالط سرائرها؛ فما هم من أولئك الذين يتجافون عنه بجهاله مطلقة بعيد.

ولنا الأمل في أن تصلح طرق التأليف والتعليم؛ فيسهل على كل ناشئ يدرس حقائق الشريعة أن يصل إلى لبابها، وينفذ إلى بالغ حكمتها.

ولو عني القائمون على شؤون الدين بترجمة محفوفة بالاستدلال وبيان الحكمة - لأصبح عدد المعتنقين للإسلام من أمثال تروتسكي غير قليل» الهداية الإسلامية لمحمد الخضر حسين ص ١٦٣.

٣- ستالين (١٨٧٩ - ١٩٥٤م): هو أحد أساطين الشيوعية ، وأكابر مجرميها ، واسمه الحقيقي جوزيف فاديونوفش زوجاشفلي ، وهو سكرتير الحزب الشيوعي ورئيسه بعد لينين.

اشتهر بالقسوة ، والجبروت ، والطغيان والاستبداد ، وشدة الإصرار على رأيه ، وكان يعتمد في تصفية خصومه على القتل والنفي ، وكان بمناوراته والأعبيه شيطاناً مريداً.

فمن أجل أن يحقق أهدافه في التصفية كان يبدأ بالخلاف مع بعض العناصر ، ثم يوجه أنصاره للقيام بأشرس الحملات الدعائية ضده مع تظاهره هو بمظهر الاعتدال والحياد.

وبعد ذلك يدفع خصمه حتى يتورط بعمل ما ، ثم يقوم بتصفيته بأي وسيلة ، وكان أشدها المحاكمات الصورية التي كان يجريها.

ولقد كان يجمع حوله أنصاراً ثم يرفعهم إلى مراكز عالية في الحزب والقيادة ، لكنه يختار من لا يملك القدرة على أن يبصر إلا ما يمليه عليه الزعيم الأوحده (ستالين).

وكان مستعداً لأن يضحى بالشعب كله ، وبأي أحد في سبيل شخصه ، وقد ناقشته زوجته مرة فقتلها^(١).

١ - فقد ذكر في سيرته أن زوجته «ناديوتشكا» سمعت أثناء وجودها بصحبة زوجها «ستالين» في إحدى الحفلات أن أحد زملائها في الدراسة قد أودع السجن ، وأنه قد صدر الحكم ضده بالإعدام رمية بالرصاص فطلبت عقب عودتها للمنزل من زوجها أن يصدر أوامره بالعفو عنه وإطلاق سراحه بعد أن تأكدت من براءته ، ولكن ستالين عد ذلك تدخلاً من الزوجة لا يليق به أن يسمعه ، فانفجر في وجهها غاضباً على جرأتها في مخاطبته في مثل هذه الأمور فصاحت في وجهه قائلة: إنك بهذا تعذب ابنك الذي من لحمك ودمك ، =

وكان بارعاً في تليفق الاتهامات فيمن يريد تصنيفتهم ولو كانوا أقرب الأقربين إليه.

وكانت وسائل التحقيق في وقته مقرونة بالتعذيب الذي لا يحتمل ، بحيث تجعل المعضب يعترف على نفسه بأي شيء؛ ليتخلص من آلام التعذيب ، الذي ينزل به على أيدي المحققين وجلاديههم.

وكان من وسائل انتزاع الاعترافات الإكراهية - التحقيقات المتواصلة ليلاً ونهاراً؛ حيث تكرر الأسئلة دون سأم؛ حتى تتحطم إرادة المتهم.

ومما يمهّد للاستجواب من قبل رجال المباحث - تعريض المنكوب لسلسلة من الإرهاب النفسي والتعذيب مع الإرهاق الجسدي الطويل ، مع ما يصحب ذلك من امتهان الكرامة ، وإثارة الحمية التي تحركها المبادئ والمعتقدات؛ حتى يجد المنكوب نفسه أمام عذاب لا قبل له بتحملة.

= وما أنت تعذب زوجتك ، وإنك اليوم تعذب الشعب الروسي كله ، وتقلّبه على الجمر ، ثم تابعت حديثها قائلة : إنني ذاهبة عنك ، رضيت بذلك أو لم ترض . فأجابها ستالين بصوت رصين هادئ - وكانت تلك عادته عندما يواجه مثل تلك الثورات ، وعندما يضمّر الشر لمن أمامه - وقال لها : أنت منهوكة القوى ، مضطربة الأعصاب قال ذلك ، وتوجه إلى حجرته الخاصة؛ كي يحضر شرباً لها ، وعاد وبصوت أكثر هدوءاً وحرصاً ، قائلاً : اشربي من هذا الكأس وستهدئين بعده.

ومرت بعد ذلك دقائق ، فسمع صوت ارتطام جسم على الأرض ، واندفع رجال الحرس الخاص إلى داخل مسكن ستالين على صوت الزجاج الذي تهشم ، فوجدوا الزوجة جثة هامدة.

ورغم من أن الوفاة قد كتمته الأجهزة الرسمية عن الشعب في بداية الأمر إلا أن الإشاعات قد انتشرت فيما بعد ، ويُقال : إن ستالين بعد وفاة زوجته هرع إلى شلة اللعب ، يرقص ويمرح ، وكان شيئاً لم يحدث. انظر المذاهب المعاصرة ص ١٧٥-١٧٦ ، وحرب الأكاذيب لعامر العقاد ص ٣٠-٣١.

ومن الصور التي تتم بها عمليات الإرهاق في سجون ستالين الحجز الطويل في غرفة صغيرة حارة توقد فيها المدافئ في الصيف ، أو في غرفة شديدة البرودة كأنها الثلج في الشتاء البارد ، أو حمام أرضه ماء ولا شيء يمكن الجلوس عليه إلا الماء والأرض الرطبة الباردة.

ومنها الوقوف على رؤوس الأصابع إلى جانب جدار عدة ساعات والمنع من النوم ، والإيقاظ السريع بعد النوم ، كل ذلك من غير ما جريمة أو بيّنة. وبمواصلة هذه الأساليب يعترف المنكوب على نفسه ، ولو كان كاذباً^(١). هذا وسيأتي مزيد بيان لوسائل التعذيب فيما بعد.

١ - انظر تفصيل ذلك في المذاهب المعاصرة ص ١٧٣-١٧٧ والكيد الأحمر ص ٢٧٦-٣٣٢.

المبحث الثالث: أسباب قيام الشيوعية ومواطن انتشارها

أولاً: أسباب قيام الشيوعية: لقد قامت الشيوعية الحديثة، ونشرت مذهبها الإلحادي، فامتد رواقه إلى كثير من بلدان العالم، وذلك يعود لأسباب عديدة، منها ما يتعلق بالمجتمع الذي نشأت فيه، ومنها ما يتعلق بشخصية مؤسسها ومنفذيها، ومنها أسباب خارجة عن ذلك.

وفيما يلي تفصيل لتلك الأسباب التي أدت إلى قيام الشيوعية^(١).

- ١- الطغيان الكنسي: الذي حارب العلم والعقل ومكن للجهل والخرافة، وأعان الحكام الظلمة، وفرض على الناس الضرائب والعشور وما إلى ذلك مما قامت به الكنيسة الأوروبية فكان أن قامت الشيوعية كردة فعل لذلك الطغيان.
- ٢- مظالم النظام الرأسمالي: حيث طغى الرأسماليون وأفسدوا واستبدوا؛ فقام الشيوعيون - بزعمهم - بمحاولة الإصلاح.
- ٣- غياب المنهج الصحيح عن أوروبا: فلما قصر المسلمون في أداء رسالتهم، في تبليغ الدعوة وقوامة البشرية - غاب الإسلام عن ساحة أوروبا، فمكن ذلك لنشأة الشيوعية وغيرها من الاتجاهات والنظريات والمبادئ.
- ٤- الخواء الروحي: إذ الكنيسة لا تقدم منهجاً يزكي النفس، ويجلب السعادة

١ - انظر نقد أصول الشيوعية ص ٤٠، والإسلام والشيوعية د. عبد العزيز كامل ص ٤٠٣، وحكم الاشتراكية في الإسلام للشيخ عبد العزيز البدري ص ٥٨، والشيوعية خلاصة ضروب الكفر والمويقات للأستاذ أحمد عبد الغفور عطار ص ٣١-٣٢، والإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها للشيخ عبد الرحمن بن عبد الخالق ص ١٠-١٨، وبعض أسباب الإلحاد د. عبد الحليم أحمددي، ورسائل في العقيدة للكاتب ص ٤٤-٤٦.

والطمأنينة للأفراد والمجتمعات، مما جعل النفوس تهفو إلى ما ينقذها مما هي فيه من القلق والاضطراب والحيرة.

٥- الاستعمار وما خلفه من دمار: فلذلك أثره الواضح في انحطاط الشعوب المُستعمَرة، وذلك عن طريق الكبت وقفل باب الحرية، مما أفسح المجال لنشر الشيوعية.

٦- المكر اليهودي: فاليهود يتآمرون على العالم ويخططون لإفساده؛ تمهيداً للسيطرة عليه، ومما يقومون به في ذلك السبيل استغلال المذاهب الهدامة والتمكين لها.

٧- الجهل بدين الإسلام: فهذا من أكبر أسباب الإلحاد، وإلا فمن عرف ما جاء به الإسلام - ولو معرفة يسيرة - استحال أن يقع منه الإلحاد؛ فإن الدين بطبيعته وما اشتمل عليه من البراهين يضطر صاحبه إلى الاعتراف بوحدانية الله، وبطلان ما ناقض ذلك؛ فلا تجد ملحداً إلا وهو معرض، أو مكابر، أو معاند^(١).

٨- الهالة الإعلامية والدعاية القوية: فمما ساعد على قيام الشيوعية ما قام به أربابها من دعاية وهالة لتحسين ضلالتهم، وترويج مذهبهم، فإذا سمع الجاهل عن ذلك هاله الأمر، واغتر بالشوعية، وظنَّ صدقها مع أن كل عاقل منصف يعلم بطلاتها وزيفها.

فالشيوعيون زعموا أن ما جاؤوا به هو الرقي والتقدم والتجديد وما أشبه ذلك

١ - انظر الأدلة والقواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين للشيخ عبد الرحمن ابن سعدي ضمن

مجموعة الشيخ ابن سعدي الجزء الخامس المجلد الثاني ص ٣٧٤.

من العبارات الفضفاضة.

ولولا أن باطلهم زُخْرِفَ ورُوجَ له من قبل الدعايات المضللة، والدول المنحرفة - لم يقبله، ولم يصنع إليه أحد؛ لأن حججهم أوهن من جبل القمر ومن بيت العنكبوت.

٩- الانقلاب الصناعي: فما يقوم به الشيوعيون من بحث علمي جاد مستند على أدلة مغرية صار سبباً لاغترار كثير من الخلق بهم؛ حيث ظنوا - بجهلهم - أن الترقى الديني دليل على أن أهله على حق وصواب في كل شيء.

فإذا رأى الجاهل حال المسلمين وما هم عليه من الضعف والهوان، ورأى حال الكفار وما هم عليه من القوة والتفنن في الصناعة، ورأى أمم الأرض تذعن وتسلم لهم - صار ذلك فتنة له، فظن أن الكفار على حق، وأن المسلمين على ضلال.

ولقد جهل هؤلاء، بل لقد ضلوا ضلالاً ميبناً بذلك الزعم؛ لأنه لا تلازم بين التقدم الصناعي وصحة المعتقد والمبدأ؛ فقد يكون الإنسان من أمهر الناس في أمور الطبيعة وهو أجهل من حمار أهله في الدين والأخلاق، والأمور النافعة في العاجل والآجل؛ فمسألة التقدم المادي مسألة همة ودأب، وجد ليس إلا.

ولهذا لما خلت بحوثهم ومخترعاتهم من روح الدين وحكمته صارت نكبة عليهم، وعلى البشرية جمعاء؛ بسبب ما ترتب عليها من الحروب التي لم يشهد لها نظير.

ولقد عجز ساستها ونظَّارها أن ينظموا للبشر حياة مستقرة عادلة طيبة.

١٠- ملذات الحياة ومباهج الحضارة : فلقد فتح العالم المادي أبواباً عظيمة من أبواب الرفاهية والترف؛ فالمرائب الفخمة الفارهة؛ من سيارات، وقطارات، وبواخر، وطائرات .

وكذلك الملابس والمطاعم، ووسائل التسلية والترفيه، كل ذلك مكن للغفلة، وجعلها تستحکم على النفوس، ولا تشعر بالعاقبة، مما فتح المجال لترويج أي مبدأ.

١١- شنود مؤسسها وانحرافهم: فهذا كارل ماركس مؤسس الشيوعية كان حبراً يهودياً، وكان مخففاً في شؤونه الخاصة، وكان ذا طبيعة ميالة للهدم والفساد، كما كان على مستوى عال من الفساد الخلقي والسلوكي. أضف إلى ذلك موت ابنتيه منتحرتين.

كل هذه العوامل وغيرها تحركت في نفس هذا المجرم، فأخرجت أكلها التن النكد.

وقل مثل ذلك في شأن بقية زعماء الشيوعية ومنفذيها كلينين، وستالين، وغيرهم.

وبالجملة فأقل ما يقال عن الشيوعية أنها عقوبة إلهية للبشرية بسبب تماديها في الغواية والضلال.

ثانياً: مواطن انتشارها^(١): تنتشر الشيوعية في أماكن كثيرة من العالم فعلى

١ - انظر الموسوعة الميسرة ص ٢١٢-٢١٣ ، والكيد الأحمر ١١٦-١٢٣ .

مستوى الأفراد لا يكاد صقع من أصقاع العالم يخلو من معتنقين لها، إذ تنتشر عبر الوسائل والقنوات المختلفة.

أما على مستوى الحكومات والأحزاب والتنظيمات فتنتشر في أماكن عديدة، فالشيوعية حكمت عدة دول منها:

- ١- الاتحاد السوفياتي.
- ٢- الصين.
- ٣- تشيكوسلوفاكيا.
- ٤- المجر.
- ٥- بلغاريا.
- ٦- بولندا.
- ٧- ألمانيا الشرقية.
- ٨- رومانيا.
- ٩- يوغسلافيا.
- ١٠- ألبانيا.
- ١١- كوبا.

ومعلوم أن دخول الشيوعية لتلك الدول كان بقوة الحديد والنار والتسلط الاستعماري، ولذلك فإن جل شعوب تلك الدول أصبحت تتململ من قبضة الشيوعية بعد أن استبان لها الحقيقة الواضحة، فلم تكن الشيوعية هي الفردوس المنتظر.

وبالتالي فقد بدأت الثورات تظهر هنا وهناك كما حدث في بولندا والمجر وتشيكوسلوفاكيا، كما أنك لا تكاد تجد دولتين شيوعيتين في وئام تام.

أما على مستوى الأحزاب والتنظيمات فقد دخلت الشيوعية في أماكن شتى، ومنها بعض دول العالم الإسلامي؛ حيث استفاد الشيوعيون من جهل بعض الحكام، وحرصهم على تدعيم كراسيهم ولو على حساب الدين؛ فالشيوعية

اكتسحت أفغانستان، وشردت شعبها المسلم، كما أنها تحكم بعض الدول الإسلامية بواسطة عملائها.

كما أنها أسست أحزاباً لها في مصر، والعراق، وسوريا، ولبنان، وفلسطين والأردن، وسوريا، والجزائر، واليمن، وغيرها.

ومواقف تلك الأحزاب العربية من قضايا العرب والمسلمين لا تخفى؛ فهي تعج بالخيانة، ويصدق ذلك ويشهد له الحقائق الدامغة لدى الباحثين والمتابعين.

الفصل الثاني

معتقدات الشيوعية الماركسية، وأخلاقها، وأهدافها

وتحتة ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : معتقدات الشيوعية وآراؤها.

المبحث الثاني : أخلاق الشيوعية.

المبحث الثالث : أهداف الشيوعية ووسائلها.

المبحث الأول: معتقدات الشيوعية وآراؤها

تقوم الشيوعية الماركسية على معتقدات باطلة، وأصول واهية، وآراء زائفة، لا يقرها عقل صريح، ولا فطرة سليمة، فضلاً عن النقل الصحيح، هذا وقد مر بنا فيما مضى شيء من آرائهم ومعتقداتهم؛ ومما يراه الشيوعيون ويعتقدونه زيادة على ما مضى ما يلي^(١):

١- الإيمان بالمادة وإنكار الغيب: فهم ينكرون الغيب، ولا يؤمنون إلا بالمادة وحدها، فيرون أن المادة هي أساس كل شيء.

ومن شعاراتهم قولهم: نؤمن بثلاثة: ماركس، ولينين، وستالين، ونكفر بثلاثة: الله، الدين، الملكية الفردية.

ومن مقولاتهم: لا إله، والحياة مادة، والدين أفيون الشعوب.

كما أنهم يعدون أمور الغيب خرافة من صنع رجال الدين؛ ليأكلوا أموال الناس بالباطل.

وعلى هذا فهم يكفرون بالله، وبالبعث والحساب والجنة والنار، وما إلى ذلك من أمور الغيب.

يقول لينين: «ليس صحيحاً أن الله هو الذي ينظم الأكوان، وإنما الصحيح هو

١ - انظر حكم الاشتراكية في الإسلام ص ٦٨، الموسوعة الميسرة ص ٣١٠، ومذاهب فكرية

معاصرة ص ٢٨٥-٢٨٦، والمذاهب المعاصرة ص ١٦٦-١٦٧ والشيوعية ومواقف القرآن ص ١٣-١٨.

أن الله فكرة خرافية ، اختلقها الإنسان؛ ليبرر عجز نفسه؛ ولهذا فإن كل شخص يدافع عن فكرة الله إنما هو شخص جاهل وعاجز»^(١).
وقد اتخذوا مما يسمونه بـ: (المادية الجدلية) ذريعة لتسويغ أفكار ما يسمى بالاشتراكية العلمية ، أو الشيوعية.

و (المادية الجدلية) نظرية عقائدية جذرية يؤمن بها الشيوعيون. وسميت (مادية) لأن نظرتها مادية بحتة.

وسميت (جدلية) لأنها تنظر إلى الحوادث الكونية والتاريخ الإنساني وكأنه صراع بين خصمين متجادلين ، متناظرين^(٢).

وسياتي مزيد بيان لهذه الفكرة في الفقرة التالية ، وما بعدها من صفحات.

٢- التفسير المادي للتاريخ: وهذا ناتج عن إنكارهم للغيب ، فهم يرون بأن الصراع بين الطبقات في المجتمع يؤثر على المجتمع وعلى المعتقدات والنظم؛ فإذا تولت طبقة فإنها لا تدوم؛ بل تظهر طبقة أخرى فتصارعها ، ويستمر الصراع بينهما؛ فالذي يؤثر في أحداث التاريخ إنما هو الصراع بين الطبقات -بزعمهم- فهم يفسرون التاريخ من زاوية واحدة دونما نظر إلى بقية المؤثرات ، كالدين وغيره^(٣).

ولذلك فهم يقسمون التاريخ البشري إلى خمسة أطوار رئيسة هي :

١ - الشيوعية ومواقف القرآن ١٧ .

٢ - انظر تفصيل هذه النظرية وسقوطها في الكيد الأحمر ص ٣٥١ - ٣٩٤ .

٣ - انظر الشيوعية والإنسانية في شريعة الإسلام لعباس محمود العقاد ص ١١ .

- ١- المشاعية الابتدائية.
- ٢- عصر الرق .
- ٣- عصر الإقطاع .
- ٤- الرأسمالية .
- ٥- الاشتراكية الممهدة للشيوعية .

ويرون أن الصراع لن ينتهي ، وأن الراحة لن تتحقق إلا عندما يتحقق الحلم الشيوعي بقيام مجتمع خال من الطبقات ، ومن التملك ، والمصالح الخاصة وهو المجتمع الشيوعي.

وهم بذلك أبرزوا القيم المادية الاقتصادية للتاريخ ، وأهملوا ما عداها من القيم الإنسانية والأخلاقية ، والدينية ، لا لأنها غير موجودة ، بل لأن الشيوعية تفتقدها؛ لكونها جاهلية.

ولهذا عجز الشيوعيون عن تفسير الإسلام ، ولماذا ظهر؟ وكيف ظهر في هذه الصورة المخالفة للبيئة في أكثر سماتها ، والمخالفة لكل حتميات التاريخ المزعومة؟

فليفسروا هذه الظاهرة العجيبة ظاهرة الإسلام وبعثة النبي ﷺ والدعوة إلى نبذ الآلهة وغيرها من الظواهر ، كتحرير الناس ، وتربيتهم على الفضائل ، وإبراز قيمة الأفراد والمجتمعات.

أنى للشيوعيين أن يفسروا ذلك؟

٣- محاربة الدين : فالشيوعية تقوم على محاربة الدين ، وتعلن الحرب بلا هوادة على الدين وما يمتُّ إليه بصلة.

يقول ستالين : « لا يستطيع الحزب أن يقف من الدين موقف الحياد؛ إن الحزب

يشن حملة ضد أي انحياز للدين؛ لأن الحزب يؤمن بالعلم؛ بينما العلم يتعارض مع الانحياز للدين؛ لأن الدين كل شيء مناوئ للعلم»^(١).
ولا ريب أن هذا الكلام ناتج عن جهل قائله، وإلا فالدين الحق لا يحارب العلم بل يدعو إليه.

وجاءت التعليمات الرسمية للحزب الشيوعي إلى جميع المعلمين في جميع أنحاء الاتحاد السوفيتي ما نصه: «إن المعلم الذي يؤمن على تعليم النشء لا يمكنه، ولا يجب أن يكون محايداً في موقفه من الدين، إن عليه ألا يتخلص من الإيمان فحسب، بل عليه أن يقوم بدور إيجابي في الدعوة إلى عدم الإيمان بوجود إله، وأن يكون داعية متحمساً للإلحاد»^(٢).

ومن حربهم للدين هدمهم للمساجد، وتحويلها إلى دور ترفيه ومراكز للحرب. ومن ذلك منع المسلم من إظهار شعائر دينه، وهجومهم على القرآن، وطعنهم فيه، وزعمهم أنه وضع خلال حكم عثمان رضي الله عنه وأنه طرأت عليه عدة تغييرات حتى القرن الثامن.

ولهذا فمن وجدوا معه مصحفاً عاقبوه بالسجن سنة كاملة.

أما محاربتهم للمسلمين وإبادتهم لهم فذلك أشهر من أن يذكر؛ فلقد أقاموا لهم المجازر والمذابح، وتفنتوا بتعذيبهم بما لم يسبق له مثيل في التاريخ، وسيأتي - إن شاء الله - بيان لشيء من ذلك.

١ - الشيوعية وموقف القرآن ص ١٥.

٢ - الشيوعية وموقف القرآن ص ١٨.

٤- محاربة الملكية الفردية: فهم لا يرون الملكية الفردية؛ إذ يزعمون أنها استبداد يجب القضاء عليه؛ لكي لا ينشأ بين البشرية تنافس؛ فالشيوعية المحضة، وإلغاء التملك والتوارث كفيل بالقضاء على الملكية.

فلا يجوز لأحد - على حد زعمهم - أن يمتلك متاعاً أكثر من الضروريات، ولا أن يكون له دار يغلقها، وكل ما يتقاضاه الحكام من أجر يجب ألا يزيد عن مبلغ محدود يكفي لسد حاجتهم طوال العام.

ويرون أنه ينبغي أن يشترك الناس جميعاً في موائد عامة للطعام، ويعيشوا عيشة الجند في معسكراتهم.

إن الشيوعية تعد الدولة هي المالك الحقيقي للمال، ولكل مقدرات الحياة، وليس للإنسان أن يمتلك فيها إلا ما يقوم بحياته الضرورية من الأمور الاستهلاكية.

أما ما عدا ذلك من الطاقات والمواهب فإنه ملك للدولة في نظر الشيوعية. وبذلك ندرك أن النظام الشيوعي يقوم على النظرية القائلة: بأن وسائل الإنتاج كلها مشتركة بين أفراد المجتمع، ولا حق للأفراد بصفتهم الفردية أن يمتلكوها ويتصرفوا فيها حسب ما يرون.

وهذا النظام الاقتصادي لا وجود فيه للملكية الشخصية، فضلاً عن أن يكون لأحد متسع أن يجمع المال، ثم يوظفه بنفسه كيفما يشاء في وجوه الإنتاج والاستثمار.

وهي بذلك تحارب الفطرة الإنسانية المجدولة علي حب التملك، كما أنها تقضي على روح الإبداع، وتسلب الناس حريتهم وترتكهم كالألات سواء بسواء.

٥- محاربة نظام الأسرة والقول بشيوعية النساء: فمن منطلق محاربة الملكية الفردية حاربت الشيوعية نظام الأسرة، وقالت بشيوعية النساء؛ فلا مكان للأسرة؛ فالشيوعية لا تستريح كثيراً لنظام الأسرة، بل وتعدده دعامة من دعائم المجتمع (البرجوازي) وترى أن الحب الطليق ينبغي أن يحل محل الزواج، فكل مجموعة من الرجال يخصص لها مجموعة من النساء، يتصل الواحد منهم بمن شاء منهم؛ ولهذا قررت الشيوعية عند قيامها مباشرة بتيسير الطلاق للراغبين فيه من المتزوجين.

ثم إنها تأبى أن يقوم الوالدان بتربية أولادهما؛ لأن الفرد ليس ملكاً لنفسه، ولكنه ملك للجماعة، فالأولاد يوضعون في أماكن خاصة بهم، ويقوم على شؤونهم مختصون في تربيتهم، وتأتي الأمهات فيقمن بالإرضاع دون أن تعلم الواحدة منهن ولدها.

يقول إنجلز: «إن الأسرة هي وضع من أوضاع مجتمع لا نضج فيه ولا جدوى منه.

ولا محل لاستبقاء هذا الوضع وتأييده إلا بالقدر الذي يلائم مصلحة الدولة»^(١).

وتستند الماركسية في موقفها هذا إلى أن الأسرة تدعم النزعة الفردية، والرغبة في التملك والملكية - كما مر -.

وهذا على الأسرة بمنع رباطها وهو الزواج، وإقامة الحظائر لتربية أبناء الدولة، ومنع الأبوين من القيام بدور التربية؛ لأن ذلك يعطل الإنتاج. كما يعني ذلك إطلاق المشايعة الجنسية بين رجال الدولة ونسائها، أو الزواج الاختياري كما يسمونه.

المبحث الثاني: أخلاق الشيوعية^(١)

لا ريب أن عقيدة الإنسان ترسم له طريقه، وتحدد له معالم سلوكه ومعاملاته؛ فالناس توجههم عقائدهم وأفكارهم، والانحراف في السلوك إنما هو ناتج عن خلل في الاعتقاد.

ولهذا فلا غرو أن تفسد أخلاق الشيوعيين؛ لأن الأصل لديها منهار، وإذا انهار الأصل تداعت الأركان والفروع.

بل إن عقائدهم أحط العقائد، فلا تسل - إذاً - عن فساد أخلاقهم، وما يتبع ذلك من انحطاط سلوكهم.

فالشيوعيون على أتم الاستعداد لعمل أي شيء منافي للأخلاق، من غش وكذب، وخداع، في سبيل تحقيق مكاسبهم، والوصول إلى غاياتهم؛ فهم يأخذون بالمبدأ الميكافيلي: الغاية تسوغ الوسيلة.

يقول إنجلز: «إذا لم يكن المناضل الشيوعي قادراً على أن يغير أخلاقه وسلوكه وفقاً للظروف مهما تطلب منه ذلك من كذب، وتضليل، وخداع - فإنه لن يكون مناضلاً ثورياً حقيقياً».

ولهذا فالشيوعيون لا يجمعون عن أي عمل مهما كانت بشاعته في سبيل غايتهم، وهي أن يصبح العالم شيوعياً تحت سيطرتهم.

١ - انظر الشيوعية للعقاد ٢٠٢ - ٢٢٠، والكيد الأحمر ص ٢٤٩، والشيوعية وموقف القرآن منها

ص ١٣٨، والموسوعة الميسرة ص ٣١١ - ٣١٢، ودعاة على أبواب جهنم للحصين ص ٥.

يقول لينين في رسالة بعث بها إلى الأديب الروسي مكسيم جوركي: «إن هلاك ثلاثة أرباع العالم ليس بشيء، إنما الشيء المهم هو أن يصبح الربع الباقي شيوعياً»^(١).

ولقد طبقوا هذه القاعدة في روسيا أيام الثورة، وكذلك في الصين، حيث أيدت ملايين من البشر، كما أن اكتساحهم للجمهوريات الإسلامية كبخارى وغيرها، واكتساحهم لأفغانستان - ينضوي تحت هذه القاعدة. ومما تؤمن به الشيوعية من أخلاق - العنف، والسعي في إثارة الحقد والضغينة في نفوس العمال.

ومن ذلك القسوة المتناهية؛ فلا يتصور الفكر، ولا يتوهم الخيال لونا من ألوان التعذيب الهمجى، والقمع الإجرامى، والإبادة الجماعية للمجموعات البشرية دون أية عاطفة إنسانية مع التفنن العجيب في وسائل التعذيب - إلا ويمارسه الشيوعيون بأقبح صورته، وأبشع مستوياته.

بل لم يتورع القادة الشيوعيون - عن الاعتراف بتلك الأفاعيل ضد كل من خالفهم ولو كانوا رفقاء العمل الثوري، ومن حملة الفكرة الشيوعية. بل ربما كان هؤلاء أحق بأن يعاقبوا بأشد أنواع العذاب؛ فكأن الرحمة نزعت تماماً من قلوب هؤلاء القساة العساء العتاة.

ومما تؤمن به الشيوعية وتدعو إليه من أخلاق - أنها تشجع على الفساد، والانحلال الخلقي، من شرب للخمور إلى ممارسة البغاء وسائر الفواحش إلى غير

ذلك من طرق الفساد.

ولقد صرح الرئيس اليوغسلافي الهالك - تيتو - في إحدى خطبه للشعب قائلاً: «لقد تركنا لكم الخمر والنساء فخذوها، واتركوا لنا السياسة»^(١). ولهذا أصبحت المرأة في المجتمع الشيوعي أرخص سلعة في البلاد، فكانت ترمي بنفسها على الرجل ولاسيما الغريب، وقصارى ما تطلبه منه أن يتزوجها ولو مؤقتاً؛ لتفر خارج البلاد من جحيم الشيوعية.

وصفوة المقال أن المجتمع الشيوعي هو أحط المجتمعات البشرية المعاصرة، سواء من الناحية الأخلاقية أو العقيدية، أو من ناحية الطمأنينة النفسية، والسعادة الاجتماعية؛ فهو مجتمع منحل، مذعور يخيم عليه كابوس الشقاء المطبق، إلى حد أن الإنسان في ذلك الوضع لا يكاد يفكر في أمل حقيقي للخلاص.

المبحث الثالث: أهداف الشيوعية ووسائلها

أولاً: أهداف قيام الشيوعية^(١):

مرّبنا أن اليهودية العالمية هي التي صنعت الشيوعية الماركسية، وأنها جعلتها وسيلة لتحقيق أهدافها للسيطرة على العالم، وتسخير المواد والمنتجات لخدمة أغراضها الدنيئة، وأهوائها المنحطة.

ثم إن دراسات ماركس ليست وليدة بحث علمي أو تفكير منطقي يهدف إلى إصلاح العالم، بل كان البحث الذي قام به في هذا الصدد بمثابة الدفاع أو التسويغ لتلك النظرية التي اعتنقها من قبل؛ لكي تلبس لبوس العلم والبحث.

وكان من الأهداف التي ترمي إليها الشيوعية ما يلي:

١- بث الأحقاد والفرقة والعداوة بين المجتمع العالمي عن طريق التآمر والصراع بين الطبقات.

٢- معارضة الدين، والملكية الفردية، وحرية الرأي.

٣- نشر الإلحاد، والفساد والإباحية.

٤- القضاء على الأديان الموجودة عدا اليهودية.

٥- القضاء على الحياة الأسرية، وجعل الولاء مقصوراً على السلطة الحاكمة، مع تحويل السلطة الحاكمة بالألاً تحكّم وفق قوانين ثابتة، وإنما تتغير القوانين حسب مصالح الحاكم الخاصة، وأهوائه الذاتية المتقلبة من وقت لآخر.

١ - انظر الشيوعية للعقاد ص ٢٠ - ٢٥، والشيوعية وموقف القرآن ص ١٣٨.

٦- وبالجملة فأهداف الشيوعية تتفق كثيراً مع أهداف اليهودية العالمية التي مضى ذكر لبعضها ضمناً عند الحديث عن أسباب قيام الشيوعية وعن معتقداتها، وأخلاقها.

ثانياً: الوسائل التي توصل بها الشيوعيون إلى تحقيق أهدافهم:

لقد دأب الشيوعيون وساروا سيراً حثيثاً في سبيل تحقيق أهدافهم والوصول إلى مآربهم، وقد سلكوا في ذلك السبيل طرقاً شتى، ومن ذلك ما يلي^(١):

١- إقامة المنظمات الشيوعية في مختلف بلدان العالم وفق أرقى التنظيمات الحزبية، معتمدة في ذلك على إرضاء الشهوات، وإثارة الأحقاد، وسلخ جذور الدين والأخلاق من أعماق النفوس.

٢- اعتماد وسيلة الثورات الدموية العنيفة لقلب أنظمة الحكم، واستيلاء الشيوعيين عليه.

٣- بعد الوصول للحكم يتجه الشيوعيون لتصفية كل العناصر المضادة، ثم العناصر ذات الولاء المشوب، ثم العناصر التي يمكن أن تنافس أو تضاد في المستقبل.

٤- محاربة جميع الأديان لاسيما الإسلام - باستثناء اليهودية - فإن لليهود في معظم أنظمة الحكم الشيوعي تمكيناً سرياً، ومعاملة خاصة، وحماية وحصانة، وتركاً لقضاياهم الدينية الخاصة.

٥- القضاء على علماء الدين والدعاة إليه، ولاسيما المسلمين منهم ومحاربتهم

بالتشريد، والنفي، وتشويه السمعة؛ حتى يتسنى للشيوعيين تحقيق ما يريدون دون أن ينتبه أحد لخطرهم وخططهم.

٦- فرض الضرائب الباهظة على أفراد الشعب؛ لإذلالهم، وإرهاقهم كي يقبلوا الشيوعية طوعاً، أو كرهاً.

٧- القضاء على الملكية الفردية، وجعل الزراعة تحت إدارة الحكومات الشيوعية.

٨- امتلاك المصانع، وجعلها تحت سيطرة الدولة.

٩- الاستيلاء التام على التجارة.

١٠- القضاء المبرم على الأخلاق الفاضلة، وفتح الأبواب للفساد، وإقامة الأخلاق الحزبية التي تخدم مصالح الحزب، وتتوجه أين توجهت ركائبه.

١١- إشاعة الإباحية الجنسية، ودفع المرأة للتحلل التام من ضوابط العفة، ومبادئ الشرف، مع نزع النخوة والغيرة من نفوس الرجال.

١٢- تقسيم الشعب إلى طبقتين:

أ- طبقة السادة: وهم الشيوعيون، ومن تابعهم وخضع لهم.

ب - طبقة المنبوذين: وهم الذين لم ينتظموا في الحزب ولم يقبلوا نظام حكمه، أو لم يخضعوا له، ولم يعلنوا له ولاءهم التام.

١٣- السيطرة التامة على التعليم؛ فلا يسمح لأي شيء إلا عن طريقهم، ووفق خططهم، ومناهجهم، ويمنع بذلك التعليم الديني تماماً حتى في البيوت والكتاتيب.

١٤- إحكام السيطرة على الإعلام - فلا ينشر في وسائل الإعلام إلا ما يمليه

الحزب، وما يوافق هواه.

١٥- القضاء على المعابد الدينية قضاءً شبه كلي إلا قليلاً منها يترك للدعاية

الخارجية، بل لم يكتفوا بهدم المعابد، وإنما حولوها إلى مباءات فسق، ومنتديات خناً وفجور.

١٦- إقامة السياسة الدكتاتورية المستبدة بكل شيء، وبهذه السياسة تصادر

جميع الحريات، الفردية والجماعية، باستثناء الحرية الشخصية الضيقة، والتي منها الحرية الجنسية.

١٧- إقامة شبكة تجسس واسعة النطاق، وتكليف كل فرد - قانوناً - بأن يبلغ

عن كل ما يراه مخالفاً لقانون الدولة وسياستها، حتى ولو كان المخالف ابنه أو أمه أو أباه، أو أخاه، أو قريبه، أو صديقه أو زوجه.

وإلا عدَّ مجرمًا مجرم السكوت عن التبليغ، ويستحق بذلك الجزاء والعقاب

بالسجن فما فوقه، وقد يكون بمثابة شريك في الجرم.

١٨- نشر الشيوعية بمختلف وسائل الترغيب والترهيب بين أفراد الشعب،

وفي الشعوب غير الخاضعة للحكم الشيوعي.

١٩- العمل على تحويل العالم إلى دولة شيوعية واحدة خاضعة للأيدي

القابضة على الأنظمة الشيوعية من وراء الستار.

الفصل الثالث

موقف الشيوعية من الإسلام

وتحتة تمهيد وثلاثة مباحث :

تمهيد :

المبحث الأول : طرق الشيوعيين في محاربة الإسلام.

المبحث الثاني : أعمال الشيوعية ضد المسلمين.

المبحث الثالث : أسباب انتشار الشيوعية في العالم

الإسلامي.

تهديد

مرّ بنا أن الشيوعية تحارب الدين ، وتعدّه مخدراً للشعوب ، ومانعاً من التقدم .
ومر بنا أن من أسباب قيام الماركسية طغيان الكنيسة النصرانية .
فموقف الماركسية من الدين النصراني المحرف وأنه يقف في طريق العلم والتقدم
- له حظه من الصحة والواقعية .

أما موقفها من الدين الصحيح وهو الإسلام ، ومحاربتها له ، وزعمها أنه ينطبق
عليه ما ينطبق على غيره من سائر الأديان - فذلك بهتان عظيم ، وافتراء مبین ؛ إذ
لا بد للشيوعية أن تنظر إلى مبادئ الإسلام ، وعقائده ، ومناهجه ، وتكافله ، وما
يؤديه للبشرية من خير وفلاح .

فالذي دفع الشيوعيين إلى ذلك الموقف من الإسلام هو الجهلُ بالإسلام ، والكيد
له ، والتربُّصُ بأهله .

إن الماركسية لا تعرف عن الإسلام إلا أنه ذلك السد المنيع الذي يقف في طريق
انتشارها ، ويحول بين الناس وبين اعتناقها .

لا يفعل الإسلام ذلك بالدعايات المضللة ، أو الشعارات الزائفة كما تفعل
الماركسية .

وإنما بقواعده المحكمة ، وعقائده الصحيحة الواضحة ، وبنظامه الاجتماعي
والسياسي والاقتصادي المتفرد في كل شيء ، المتلائم مع النفس البشرية ، ومع
الجماعة الإنسانية في كل زمان ومكان ؛ لأنه الدين الحق الذي ارتضاه رب العباد
للعباد ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (الملك : ١٤) .

من أجل ذلك حاربت الشيوعية الإسلام حرباً لا هوادة فيها، وأطلقت على منهجه الشائعات الباطلة، والأراجيف المضللة، واتهمت أصحابه بالتخلف والجمود.

ولم تقتصر المعركة على ذلك فحسب، بل قام جيشها الأحمر بحملات متتالية، وضربات موجعة متتابعة على المسلمين. ولكنه لم يحرز نصراً، ولم يعد بغنيمة كبيرة، مما جعل مولوتوف - أحد زعماء الشيوعية - يقول:

«لن تنتشر الشيوعية في الشرق إلا إذا أبعدنا أهلها عن تلك الحجارة التي يعبدونها في الحجاز، وإلا إذا قضينا على الإسلام»^(١).
ومن هنا جاء الكيد العظيم، والمكر الكبار بالإسلام من قبل الشيوعية، فوضعت الخطط الرهيبة المحكمة؛ لإبعاد الإسلام عن مجال التوجيه والإدارة؛ ليتسنى للشيوعيين تحقيق ما يريدون.
وهذا ما سيتبين من المباحث التالية.

المبحث الأول: طرق الشيوعيين في محاربة الإسلام

لقد أدرك الشيوعيون أن للإسلام أثراً عجبياً في نفوس أهله؛ وأنه من الصعوبة بمكان أن يتخلوا عنه، أو أن يرضوا به بدلاً.
كما أدركوا أن قوة الإسلام كامنة فيه، وفي ملاءمته للفطر القويمة، والعقول السليمة.

تقول إحدى الوثائق الصادرة من جهات رسمية في الاتحاد السوفيتي: «برغم مرور خمسين سنة تقريباً على الاشتراكية في الاتحاد السوفيتي، وبرغم الضربات العنيفة التي وجهتها أضخم قوة اشتراكية في العالم إلى الإسلام - فإن الرفاق الذين يراقبون حركة الدين في الاتحاد السوفيتي صرحوا - كما تذكر مجلة (العلم والدين) الروسية في عددها الصادر في أول كانون الثاني من سنة ١٩٦١م - بما نصه:

إننا نواجه في الاتحاد السوفيتي تحديات داخلية في المناطق الإسلامية، وكأن مبادئ لينين لم تتشربها دماء المسلمين.
وبرغم القوى اليقظة التي تحارب الدين - فإن الإسلام ما يزال يرسل إشعاعاً، وما يزال يتفجر قوة، بدليل أن ملايين من الجيل الجديد في المناطق الإسلامية يعتقدون الإسلام، ويجاهرون بتعاليمه»^(١).

١ - نشرتها مجلة «كلمة الحق» في العدد الصادر في شهر المحرم سنة ١٣٨٧هـ، وانظر الكيد الأحمر ص ٥٢ - ٥٥، والمذاهب المعاصرة ص ١٥٩ - ١٦٤.

ولهذا جاء في الوثيقة المذكورة بيان للبنود التي يجب على الشيوعيين محاربة الإسلام من خلالها، مع ما حورب به الإسلام من ذي قبل، ومع الحرب الضروس بالحديد والنار التي اصطلت بها المسلمون منذ قيام الشيوعية، مما سيأتي الحديث عنه في المبحث الثاني.

ومما جاء في تلك الوثيقة ما يلي^(١):

- ١- مهادنة الإسلام؛ لتتم الغلبة عليه، والمهادنة لأجل؛ حتى نضمن السيطرة، ونجتذب الشعوب العربية للاشتراكية.
- ٢- تشويه سمعة رجال الدين، والحكام المتدينين، واتهامهم بالعمالة للاستعمار والصهيونية.
- ٣- تعميم دراسة الاشتراكية في جميع المعاهد، والكليات، والمدارس في جميع المراحل، ومزاحمة الإسلام ومحاصرته؛ حتى لا يصبح قوة تهدد الاشتراكية.
- ٤- الحيلولة دون قيام حركات دينية في البلاد مهما كان شأنها ضعيفاً، والعمل الدائم بيقظة لمحو أي انبعاث ديني، والضرب بعنف لا رحمة فيه لكل من يدعو إلى الدين ولو أدى إلى الموت.
- ٥- ومع هذا لا يغيب عنا أن للدين دوره الخطير في بناء المجتمعات؛ ولذا وجب أن نحاصره من كل الجهات، وفي كل مكان، والصاق التهم به، وتنفير الناس منه بالأسلوب الذي لا ينم عن معاداة الإسلام.
- ٦- تشجيع الكتاب الملحدين، وإعطاؤهم الحرية كلها في مواجهة الدين،

والشعور الديني، والضمير الديني، والعبقرية الدينية، والتركيز في الأذهان على أن الإسلام انتهى عصره - وهذا هو الواقع - ولم يبق منه اليوم إلا العبادات الشكلية التي هي الصوم، والصلاة، والحج، وعقود الزواج، والطلاق، وستخضع هذه العقود للنظم الاشتراكية.

أما الصوم والصلاة فلا أثر لهما في الحياة الواقعية، ولا خطر منهما.

وأما الحج فمقيد بظروف الدولة، ويمكن استخدام الحج في نشر الدعوة إلى الاشتراكية بين الحجاج القادمين من جميع الأقطار الإسلامية، والحصول على معلومات دقيقة عن تحركات الإسلام؛ لنستعد للقضاء عليه.

٧- قطع الروابط الدينية بين الشعوب قطعاً تاماً وإحلال الرابطة الاشتراكية

محل الرابطة الإسلامية التي هي أكبر خطر على اشتراكيتنا العلمية.

٨- إن فصم روابط الدين ومحو الدين لا يتمان بهدم المساجد والكنائس؛ لأن

الدين يكمن في الضمير، والمعابد مظهر من مظاهر الدين الخارجية، والمطلوب هو هدم الضمير الديني.

ولم يصبح صعباً هدم الدين في ضمير المؤمنين به بعد أن نجحنا في جعل

السيطرة والحكم والسيادة للاشتراكية، ونجحنا في تعميم ما يهدم الدين من

القصص، والمسرحيات، والمحاضرات، والصحف، والأخبار والمؤلفات التي

تروج للإلحاد، وتدعو إليه، وتهزأ بالدين ورجاله، وتدعو للعلم وحده،

وجعله الإله المسيطر.

٩- مزاحمة الوعي الديني بالوعي العلمي، وطرده الوعي الديني بالوعي العلمي.

١٠- خداع الجماهير بأن نزع لهم أن المسيح اشتراكي، وإمام الاشتراكية؛ فهو فقير، ومن أسرة فقيرة، وأتباعه فقراء كادحون، ودعا إلى محاربة الأغنياء وهذا يُمكننا من استخدام المسيح نفسه لتثبيت الاشتراكية لدى المسيحيين. ونقول عن محمد: إنه إمام الاشتراكيين؛ فهو فقير، وتبعه فقراء، وحارب الأغنياء المحتكرين، والإقطاعيين، والمرابين، والرأسماليين وثار عليهم. وعلى هذا النحو يجب أن نصور الأنبياء والرسل، ونبعد عنهم القداسات الروحية، والوحي، والمعجزات عنهم بقدر الإمكان؛ لنجعلهم بشراً عاديين؛ حتى يسهل علينا القضاء على الهالة التي أوجدوها لأنفسهم، وأوجدوها لهم أتباعهم المهووسون.

١١- إخضاع القصص القرآني لخدمة الشيوعية وذلك بتفسيرها تفسيراً مادياً تاريخياً.

فقصة يوسف - على سبيل المثال - وما فيها من جزئيات يمكن أن نفيد منها في تعبئة الشعور العام ضد الرأسماليين، والإقطاعيين، والنساء الشريفات، والحكام الرجعيين.

١٢- إخضاع جميع القوى الدينية للنظام الاشتراكي، وتجريد هذه القوى تدريجياً من موجداتها.

١٣- إشغال الجماهير بالشعارات الاشتراكية.

١٤- تحطيم القيم الدينية والروحية، واصطناع الخلل والعيوب لها.

١٥- الهتاف الدائم ليل نهار، وصباح مساء بالثورة، وأنها هي المنقذ الأول والأخير للشعوب من حكامها الرجعيين، والهتاف للاشتراكية بأنها هي الجنة

الموعود بها جماهير الشعوب الكادحة.

١٦- هدم الدين باسم الدين ، وذلك باتخاذ الإسلام أداة لهدم الإسلام نفسه .
ولا بأس من أداء الزعماء الاشتراكيين بعض الفرائض الدينية الجماعية؛
للتضليل والخداع على ألا يطول زمن ذلك؛ لأن القوى الثورية يجب ألا تُظهر
غير ما تبطن إلا بقدر، ويجب أن تختصر الوقت والطريق؛ لتضرب ضربتها؛
فالثورة قبل كل شيء هدم للقيم والموارث الدينية جميعها.

١٧- الإعلان بأن الاشتراكيين يؤمنون بالدين الصحيح لا الدين الزائف الذي
يعتنقه الناس لجهلهم ، والدين الصحيح هو الاشتراكية.

١٨- إلصاق كل عيوب الدراويش ، وخطايا المنتسبين للدين بالدين نفسه؛
لإثبات أن الدين خرافة.

١٩- تسمية الإسلام الذي تؤيده الاشتراكية لبلوغ مآربها وتحقيق غاياتها -
بالدين الصحيح ، والدين الثوري ، والدين المتطور ، ودين المستقبل؛ حتى يتم
تجريد الإسلام الذي جاء به محمد من خصائصه ومعالمه ، والاحتفاظ منه بالاسم
فقط؛ لأن العرب إلا القليل منهم مسلمون بطبيعتهم؛ فليكونوا الآن مسلمين
اسماً ، اشتراكيين فعلاً؛ حتى يذوب الدين لفظاً كما ذاب معنى.

٢٠- باسم تصحيح المفاهيم الإسلامية ، وتنقية الدين من الشوائب ، وتحت
ستار الإسلام يتم القضاء عليه بأن نستبدل به الاشتراكية.

هذا بعض ما جاء في تلك الوثيقة ، وهو يمثل شيئاً من أساليب الشيوعية في
محاربة الإسلام.

ومما قاموا به من أساليب في حرب الإسلام - دعايتهم ضد الإسلام عبر المحاضرات والكتب؛ فلقد أنشأ الشيوعيون اتحاداً سموه (اتحاد من لا إله لهم)، وبعد الحرب (جمعية نشر المعلومات السياسية) ومعظم عملها محاربة الإسلام.

ففي الفرع القازاني نظمت الجمعية سنة ١٩٤٦ - ١٩٤٨ م ما يقارب ٣٠٥٢٨ محاضرة، منها ٢٣٠٠٠ محاضرة ضد الإسلام.

وفي أوزبكستان سنة ١٩٥١ م نظمت أكثر من ١٠٠٠٠ محاضرة ضد الإسلام.

وفي تركمانستان سنة ١٩٦٣ م أكثر من ٥٠٠٠ محاضرة ضد الإسلام.

وطبعت من الكتب ما بين سنة ١٩٥٥ - ١٩٥٧ م ٨٤ كتاباً في ٨٠٠٠٠٠ نسخة

ضد الإسلام.

وطبعت من الكتب ما بين سنة ١٩٦٢ - ١٩٦٤ م ٢١٩ كتاباً ونشرة ضد

الإسلام، وموجهة للمسلمين^(١).

المبحث الثاني: أعمال الشيوعيين ضد المسلمين

بعد نجاح الثورة الماركسية البلشفية في روسيا، وقبل أن يستتب الأمر تماماً للشيوعيين - أرادوا استمالة المسلمين في البلاد، واستثارتهم ضد الحكم القيصري الذي كان يضطهدهم ويعتدي على حرمتهم؛ وذلك من أجل أن يساند المسلمون الشيوعيين الثائرين ضد المعارضة النصرانية الموالية للحكم السابق؛ فأصدر مجلس فوميسيري البلشفي نداءً موجهاً للمسلمين سنة ١٩١٧م جاء فيه: «إن امبراطورية السلب، والعنف، والرأسمالية توشك أن تنهار، والأرض التي تستند عليها أقدام اللصوص الاستعماريين تشتعل ناراً.

وفي وجه هذه الأحداث الجسام نتجه بأنظارنا إليكم أتم يا مسلمي روسيا، والشرق، أنتم يا من تَشْقَوْنَ وتكدحون، وعلى الرغم من ذلك تُحرمون من كل حق أنتم أهل له.

أيها المسلمون في روسيا، أيها التتر على شواطئ الفولجا وفي القرم، أيها الكرغيز والسارتيون في سيبيريا والتركمنستان، أيها التتر والأتراك في القوقاز، أيها التشيشيين، أيها الجبليون في أنحاء القوقاز، أنتم يا من انتهكت حرمت مساجدكم، وقبوركم، واعتدي على عقائدكم وعاداتكم، وداس القياصرة والطغاة الروس على مقدساتكم.

ستكون حرية عقائدكم، وعاداتكم، وحرية نظمكم القومية، ومنظماتكم الثقافية - مكفولة لكم منذ اليوم، لا يطغى عليها طاغ، ولا يعتدي عليها معتد.

هُبُوا إِذَا فابنوا حياتكم القومية كيف شئتم فأنتم أحرار لا يحول بينكم وبين ما تشتهون حائل، إن ذلك من حقكم إن كنتم فاعلين.
واعلموا أن حقوقكم شأنها شأن حقوق سائر أفراد الشعب الروسي، تحميها الثورة بكل ما أوتيت من عزم وقوة، وبكل ما يتوافر لها من وسائل: جند أشداء، ومجالس للعمال، ومندوبين عن الفلاحين.
وإذا فشدوا أزر هذه الثورة، وخذوا بساعد حكومتها الشرعية»^(١).

إلى آخر ما جاء في ذلك النداء الخادع.

وما كان من المسلمين حين سمعوا ذلك النداء إلا أن أسرعوا يجمعون قواهم؛ فبادرت شعوب إسلامية كانت مستعمرة مضطهدة تحت الحكم الروسي القيصري؛ فأعلنت استقلالها، واستعادت سيادتها على أرضها.

وقامت جمهوريات إسلامية عديدة، لكنها لم تكن شيوعية، ولم تكن خاضعة خضوعاً كلياً للشيوعيين الذين أقاموا الثورة في روسيا، وما كان باستطاعة هذه الدول - وهي ملتزمة بإسلامها وعقائدها ومفاهيمها الإسلامية - أن تتحول إلى الشيوعية؛ لأنها تتناقض مع الإسلام تناقضاً كلياً في جذورها الاعتقادية، وفي تطبيقاتها ونظمها.

ولم تمض فترة وجيزة حتى ثبتَّ الشيوعيون أقدامهم، وأحكموا قبضتهم. فلما تمكنوا، واستتب لهم الأمر - قلبوا ظهر المجن، وأسفروا عن حقيقتهم الكالحة، حيث توجهوا بجيشهم المعروف بالجيش الأحمر، فأعملوا أسلحتهم

بالمسلمين، وحصدوا الجمهوريات الإسلامية حصداً. وكان هجوم الجيش الأحمر لها مباغته لم تعد لها بعد عدتها؛ فهي دول فتية ما زالت في طور نشأتها.

وفي مدة ثلاث سنين استولى الشيوعيون على هذه الجمهوريات الإسلامية بعد أن قدم المسلمون تضحيات جسيمة، ولكن قواهم كانت أضعف من أن تقاوم جيشاً مدرباً مزوداً بأحدث الأسلحة من طائرات، ودبابات، وسيارات مصفحة، ومدافع بعيدة المدى، في حين أنها لا تملك شيئاً من مثل هذه الأسلحة؛ فلقد كانت شعوباً مستعمرة للحكم القيصري النصراني وما إن تخلصت من نيره حتى عاد المستعمرون السابقون بوجه شيوعي أكثر شراسة وعنفاً لفرض سلطانهم الأحمر^(١).

ولقد قام الشيوعيون إبان فترة حكمهم بأعمال وحشية، ومذابح رهيبة لم يشهد لها التاريخ مثيلاً في أحقابه المتطاولة، وسيوضح شيء من ذلك من خلال ما يلي:

أولاً: نكبات المسلمين ومذابحهم على أيدي الشيوعيين^(٢):

١- الإبادة الجماعية، أو نفي جزء من الشعب، أو الشعب كله من وطن آبائه وأجداده إلى سيبيريا، أو إلى مناطق أخرى حيث يفقدون الصلة بوطنهم الأصلي، ويضيعون بمرور السنين.

١ - انظر الكيد الأحمر، ص ٢٥٢-٢٥٣.

٢ - انظر الكيد الأحمر، ص ٢٥٣-٢٦٨، والسرطان الأحمر ص ٤٧-٥٠.

وإليك هذه الوقائع دليلاً على أفعالهم:

أ - أعمالهم في التركستان: قتل الشيوعيون في التركستان وحدها سنة ١٩٣٤م مائة ألف مسلم من أعضاء الحكومة المحلية، والعلماء، والمثقفين، والتجار، والمزارعين.

وفي ما بين سنة ١٩٣٧-١٩٣٩م ألقّت روسيا القبض على ٥٠٠ ألف مسلم، وعدد من الذين استخدمتهم في الوظائف الحكومية، ثم أعدمت فريقاً، وأرسلت فريقاً آخر إلى مجاهل سيبيريا.

وقتلوا سنة ١٩٥٠م سبعة آلاف مسلم، ونفوا من التركستان سنة ١٩٣٤م ثلاثمائة ألف مسلم.

وقد هرب من التركستان منذ سنة ١٩١٩م حتى اليوم مليونان ونصف مليون من المسلمين.

وفي سنة ١٩٤٩م هرب ألفان من التركستان الشرقية، ولاقى ١٢٠٠ من هذا الفريق حتفه وهم في الطريق إلى الهند.

وفي سنة ١٩٥٠م هرب من التركستان ٢٠٠٠٠ من المسلمين والتجأوا إلى البلاد الإسلامية في الشرق الأدنى.

ومن سنة ١٩٣٢م إلى ١٩٣٤م مات ثلاثة ملايين تركستاني جوعاً؛ نتيجة استيلاء الروس على محاصيل البلاد، وتقديمها إلى الصينيين الذين أدخلوهم إلى تركستان.

ونتيجة لقانون مزج الشعوب في الاتحاد السوفياتي نفت روسيا ٤٠٠٠٠ مسلم تركستاني إلى أوكرانيا، وأواسط روسيا، فاندجوا في تلك الشعوب،

وفقدوا وطنهم الأصلي.

وفي سنة ١٩٥١م ألقى القبض على ١٣٥٦٥ مسلم في التركستان وأودعوا المعتقلات.

ب - في القرم: أبادوا في القرم سنة ١٩٢١م مائة ألف مسلم بالجوع، وأرغموا خمسين ألف مسلم على الهجرة في عهد بلاكون الشيوعي الهنغاري الذي نصبوه رئيساً للجمهورية القرمية الإسلامية.

وفي سنة ١٩٤٦م نفوا شعبين إسلاميين كاملين، وهم شعب جمهوريتي القرم وتشيس إلى مجاهل سيبيريا، وأحلوا محلهم الروس.

٢- هدم المساجد وتحويلها إلى دور للهو، واستخدامها في غايات أخرى، وإقفال المدارس الدينية:

أ - بلغ مجموع المساجد التي هُدمت أو حُوِّلت إلى غايات أخرى في التركستان وحدها ٦٦٨٢ جامعاً ومسجداً، منها أعظم المساجد الأثرية مثل (منارة مسجد كالان) في مدينة بخارى، و(كته جامع) في مدينة قوقان، و(جامع ابن قتيبة) و(جامع الأمير فضل بن يحيى) و(جامع خوجه أحرار) في مدينة طشقند.

ومجموع عدد المدارس والكتاتيب التي أوقفوها في التركستان يبلغ ٧٠٥٢ مدرسة، منها: (ديوان بيكي مدرسة) في مدينة بخارى، و(بكلريك مدرسة) و(بران حان مدرسة) في مدينة طشقند، وغيرها من المدارس التاريخية التي كانت منها من مناهل العلم والعرفان.

ب - وفي القرم طمسوا معالم الإسلام بما فيها الجوامع الأثرية في مدينة (باغجة

سراي) عاصمة القرم الجميلة، مثل (جامع حان) وجامع (طوزيازرا) وجامع (أصماقويو) وغيرها.

ج - وهدموا في مدينة (زغرب) في يوغسلافيا جامعاً عظيماً شيد رمزاً لوحدة عنصري الشعب الكرواتي.

وأغلقوا في مدينة (سرايفوا) الأكاديمية الإسلامية العليا للشريعة الإسلامية، وجميع المدارس الدينية باستثناء واحدة فقط، أبقوها للدعاية!

٣- قتل علماء الدين أو نفيهم، أو الحكم عليهم بالأشغال الشاقة، أو منعهم من الحقوق السياسية، بل والحقوق الإنسانية، وإيجاد أية عقبة أخرى تحول بينهم وبين مزاولتهم لمهنتهم.

وممن قتل من العلماء في تركستان الشيخ برهان البخاري قاضي القضاة، والشيخ خان مروان خان مفتي بخارى، والشيخ عبدالمطلب واملا، والشيخ محسوب متولي، والشيخ عبدالأحد وادخان، والشيخ ملا يعقوب، والشيخ ملا عبدالكريم، وغيرهم كثيرون.

وكذلك عملوا في القرم، وأضافوا إلى ذلك حرق المصاحف الكريمة في الميادين العامة.

وفي يوغسلافيا قتلوا مفتي كرواتيا الشيخ عصمت مفتيش، والعالم الفاضل مصطفى يوصلولا جيتش.

وحكموا بالأشغال الشاقة مدداً مختلفة على ١٢ عالماً بعد محاكمة صورية في مدينة سرايفو، منهم الشيخ قاسم دوراجا شيخ علماء البوسنة والهرسك،

والشيخ عبدالله دروبسيوفتش، وكلاهما من علماء الأزهر الشريف.

٤- قتل الزعماء السياسيين أو نفيهم: ومن أمثال ذلك أن الشيوعيين قتلوا في التركستان الشرقية سنة ١٩٣٤م الحاج خوجه نياز رئيس الجمهورية، ومولانا ثابت رئيس مجلس الوزراء، وشريف حاج قائد مقاطعة (ألتاء) وعثمان أوران قائد مقاطعة (كاشفر) ويونس بك وزير الدولة، والحاج أبو الحسن وزير التجارة وطاهر بك رئيس مجلس النواب، وعبدالله داملا وزير الأشغال، وغيرهم كثير ممن لا يتسع المقام لذكرهم.

وكلما أحس الشيوعيون ببوادر أية حركة قومية أو إسلامية بين التركستانيين قاموا بحملة التصفية، وهي حملة يراد بها القضاء على كل من تحدته نفسه بما قد يخالف تعاليم آلهة الشيوعيين: (ماركس)، و (لينين)، و (ستالين).

٥- منع المسلمين من التمتع بالنظم الإسلامية في دائرة الأحوال الشخصية: فقد ألغيت المحاكم الشرعية في جميع أنحاء الاتحاد السوفياتي ويوغسلافيا. ومعنى ذلك خروج الأسرة من دائرة توجيه الشريعة الإسلامية إلى دائرة القوانين الشيوعية، التي تنادي بالإباحية التامة، وبإحلال جميع الروابط الطبيعية بين أعضاء الأسرة الواحدة.

هذا إلى جانب نهب الثروات، ونقلها إلى مقاطعات أخرى، وتمزيق أوصال كل بلد إسلامي واحد، وخلق قوميات مستقلة على أساس لهجات لغة واحدة؛ بقصد تشتيت المسلمين في نفس الجنس واللغة، وخلق منازعات مصطنعة بينهم، كما قسموا تركستان إلى ست جمهوريات على هذا الأساس الواهي.

كما أنهم يقومون بشتى أنواع الدعاية اللادينية من غير أن يسمحوا بالدعاية الدينية.

ومن أمثال ذلك قيام الشبيبة الشيوعية، وجماعة من الملحددين الرواد بمظاهرات لا دينية صاخبة في مواسم الأعياد، وإهانة كل ما يقدهه المسلمون. وإن ينسَ المسلمون فلن ينسوا ما حلَّ بأفغانستان وأهلها من مأس، وحروب، وتشريد، وكذلك ما حلَّ أخيراً بالشيشان وأهلها إلى حين كتابة هذه السطور.

ثانياً: نماذج من صور التعذيب للمسلمين:

ومن جرائم الشيوعيين التي أنزلوها بالمسلمين صور التعذيب، وأفانيه العجبية، فمن ذلك ما حلَّ بمسلمي تركستان الشرقية عندما رفضوا إلحادية ماركس.

وفيما يلي ذكر لبعض صور التعذيب التي تقشعر منها الجلود، ويقف لهولها شعر الرأس^(١).

١- دقُّ مسامير طويلة في رأس المُعذَّب حتى تصل مُخّه.

٢- صبُّ البترول على المُعذَّب، ثم إشعال النار فيه حتى يحترق.

٣- جعل المسجون المعذب هدفاً لرصاص الجنود الذين يتدربون على تسديد

الأهداف.

١ - انظر الكيد الأحمر، ص ٢٦٤-٢٦٦، وتعليق الشيخ محمد بن إبراهيم الشيباني على كتاب الإلحاد

للشيخ محمد الخضر حسين ص ٣٠-٣٢.

- ٤- حبس المعتقلين في سجون لا تدخل إليها الشمس ، ولا ينفذ منها هواء ، وتجويعهم حتى الموت.
- ٥- وضع خوذات معدنية على رأس المعتذب ، وإمرار تيار كهربائي فيها؛ لاقتلاع العيون.
- ٦- ربط رأس المعتذب في طرف آلة ميكانيكية ، وربط باقي الجسم في آلة أخرى ، ثم تحريك كل من الآلتين في تباعد وتقارب شداً وضغطاً على المعتذب ، حتى يعترف على نفسه وغيره ، أو يموت.
- ٧- كي كل عضو من الجسم بقطعة من الحديد المحمي إلى درجة الاحمرار.
- ٨- صب زيت مغلي على الجسم.
- ٩- دق مسامير حديدية ، أو إبر في أجسام المعتدبين.
- ١٠- إجلاس المعتدبين جلسات خاصة فيها ألم شديد؛ إذ يستطيع المشرفون على التعذيب الضرب على الأعضاء التناسلية.
- ١١- إدخال شعر الخنزير في الإحليل - فتحة العضو التناسلي -.
- ١٢- إدخال قضيب من الحديد المحمي في مكان شديد الحساسية من الجسم.
- ١٣- دق المسامير في رؤوس الأصابع حتى تخرج من الجانب الآخر.
- ١٤- ربط المسجون المعتذب على سرير حديدي ربطاً محكماً لا يستطيع معه التحرك ، وذلك لعدة أيام قد يتفطر بها جسمه.
- ١٥- إجبار المسجون المعتذب على أن يمد جسمه عارياً على قطع من الثلج أيام الشتاء والبرد القارس .

١٦- وضع لوح من الخشب فوق رقبة المُعذَّب وكتفيه؛ ليظل منحنيًا لا يستطيع الحركة.

١٧- نتف خصل من شعر الرأس بعنف يسبب اقتلاع جزء من جلد الرأس.

١٨- تمشيط جسم المُعذَّب بأمشاط حديدية حادة.

١٩- صبُّ المواد الكيماوية الكاوية في أنوف المسجونين وفي أعينهم بعد ربطهم ربطاً محكماً.

٢٠- وضع صخرة ثقيلة على ظهر المسجون والمُعذَّب بعد ربط يديه وراء ظهره.

٢١- ربط يدي المسجون وشدهما إلى أعلى، وتعليقه منهما حتى يكون متدلياً في الهواء بثقل جسمه، وتركه كذلك ليلة كاملة أو أكثر.

٢٢- ضرب المتهم بعصا بها مسامير حادة.

٢٣- سجن المتهم في سجن انفرادي ضيق.

٢٤- ضرب المعذب بالكرباج، وهو شيء يشبه أذنان البقر حتى يتفطر جسمه، وتسيل الدماء منه.

٢٥- تقطيع جسم المُعذَّب إلى قطع صغرى بالسكاكين.

٢٦- إحداث ثقب في مكان ما من الجسم، وإدخال جبل ذي عقد فيه، ثم استعمال هذا الجبل بعد يومين كمنشار لقطع أطراف الجلد المتآكل.

٢٧- تثبيت المُعذَّب واقفاً إلى جدار بمسامير تُدقُّ في أذنيه على الجدار؛ ليظل واقفاً معذباً أطول مدة.

٢٨- وضع المسجون المُعذَّب في برميل مملوء بالماء في فصل الشتاء.

٢٩- خياطة أصابع اليدين والقدمين، ووصل بعضهما ببعض.

إلى غير ذلك من فنون التعذيب المستحدثة التي لا تحظر على بال أخبث المجرمين.

وعلى هذا قام نظام الشيوعيين في روسيا، خلافاً لما يعتقد كثير ممن انخرطوا في سلكها من بهائم العرب، إذ يعتقدون أنها قامت على الحق، والخير، وأنها قامت ضد المستعمرين، أو الغزاة، أو الملكية القيصرية. والحق أنها قامت على المكر، والخديعة، والخيانة، والإرهاب، والظلم، والاستبداد، والتسلط.

المبحث الثالث: أسباب انتشار الشيوعية في العالم الإسلامي

لقد دخلت الشيوعية الماركسية كثيراً من بلاد المسلمين ، وما كان ذلك ل يتم لها؛ لأن مسوغات انتشارها في أوربا وروسيا كثيرة؛ وأبرزها غياب المنهج الصحيح وهو الإسلام.

أما بلاد المسلمين فإنها تنعم بالدين الحق ، فما حاجتها - إذاً - للشيوعية؟! وكيف تسمح لمثل هذه المذاهب الباطلة أن تنخر في جسم الأمة وقد أغناها الله - عز وجل - بوحى السماء عن زبالة أفكار أهل الأرض؟!

والجواب عن ذلك أن الشيوعية دخلت بلاد الإسلام لأسباب عديدة منها^(١) :
 ١- انحرف كثير من المسلمين ، وجهلهم بعقيدتهم : فما كان للشيوعية أن تنتشر في بلاد المسلمين إلا عندما انحرف كثير من المسلمين عن دينهم ، و جهلوا عقيدتهم ، ونسوا حظاً مما ذكروا به.

وإلا لما كانت العقيدة سليمة ، والإيمان قوياً راسخاً ، والتمسك بأمر الله قائماً - لم يجد الأعداء منفذاً ينفذون من خلاله ، وإن وجدوا منفذاً فلن يجدوا مكاناً يؤثر فيه ، وإن وجدوا مكاناً ففي أندر الأحوال يقع ذلك ، ثم سرعان ما يقاوم ويعالج.

٢- الهزيمة النفسية الداخلية: فلما انحرف المسلمون عن دينهم أصابهم

١ - انظر رسائل الإصلاح للشيخ محمد الخضر حسين ١/١٢٥-١٢٦ و ٢١٥-٢١٦ ، والسرطان الأحمر

٩٩-١٠٦ ، والإحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها ، ورسائل في العقيدة للكاتب ص ٤٦-٤٨.

الوهن، وداخلتهم الهزيمة، ففقدوا العزة، وتدنسوا الذلة، فسهل دخول المذاهب الهدامة ومنها الشيوعية.

وإلا فالأمة العزيزة هي التي تعرف مقدار ما تأخذ، ومقدار ما تعطي، ونوع ما تأخذ، ونوع ما تعطي، وهي التي تعد نفسها بكل ما أوتيت من قوة حتى تحمي رأيها، فيما تأخذ وما تدع، وما تعطي وما تمنع؛ فالأمة التي تُشرب في نفوسها العزة يشتد فيها الحرص على أن تكون مستقلة بشؤونها، غنية عن أمم من غيرها، وتبالغ في الحذر في أن تقع في يد من يطعن في نحر كرامتها، ولا يستحيي الإنسانية أن تراه مهتضمًا لحق من حقوقها.

٣- هزيمة العالم الإسلامي أمام الهجمة الأوربية: فما كاد الأوربيون يمتلكون القوة المادية، ويستخدمون الآلة، ويعملون المصانع - حتى اتجهوا إلى دول العالم الثالث؛ بحثاً عن الأسواق؛ لبيع منتجاتهم الصناعية، وجلباً للمواد الخام اللازمة للصناعة.

ولما كانت هذه الدول تطمع في الحصول على ما تريد بأجنس الأثمان، أو بلا ثمن أصلاً - فإنها استخدمت قوتها العسكرية.

ولما كان العالم الإسلامي في غاية التخلف عسكرياً، وسياسياً، وصناعياً - لم يصمد أمام تلك الهجمة، وكان للهزيمة العسكرية أثرها في زعزعة العقيدة والشعور بالنقص، وتقليد الغالب، والتشبه بأخلاقه؛ ظناً منهم - لفرط جهلهم - أن أوربا لم تتطور إلا عندما اعتنقت الإلحاد، ورفضت الدين.

٤- الاستعمار وما خلفه من دمار: فلقد عانى المسلمون من الاستعمار،

وويلاته، حيث امتص المستعمرون دماء المسلمين، وخيراتهم، وأوطانهم، كما فرضوا عليهم أفكارهم ومذاهبهم الباطلة.

٥- حال المسلمين المتردية: فَتَرَّقُ المسلمين، وتخلّفهم، وتشتت كلمتهم - صار فتنة للكفار والمنافقين، والجهال؛ حيث استدلوا بذلك على بطلان الدين، كما سيأتي في الفقرة الآتية.

٦- جعل واقع المسلمين في العصور المتأخرة هو الصورة التي تمثل الإسلام: فيروج الشيعيون، وأذئابهم من الزنادقة المنتسبين للإسلام أن دين الإسلام دين تخلف، وانحطاط، وتأخر عن مواكبة الأحداث، ويستدلون على ذلك بواقع المسلمين في العصور المتأخرة، ويوهمون الناس بأنه لو كان ديناً حقاً لما انحدر المسلمون، وصاروا في ذيل الركب.

٧- انتشار الخرافات والبدع: حيث شاعت في بلاد الإسلام بدع، وضلالات، وخرافات تروج لها المذاهب الباطلة والطرق الصوفية التي تقوم على الدجل، وعبادة القبور، والمبالغة في قصص الكرامات.

كل ذلك اغتتمه الشيعيون، وسددوا من خلاله سهامهم نحو الدين؛ ليروجوا أن الدين خرافة ودجل.

٨- سقوط الخلافة الإسلامية: فلقد كانت تجمع المسلمين وترهب أعداء الله، مع ما كانت عليه في أواخر عهدها من انتشار البدع، ونخرها في جسد الخلافة.

٩- التصغير في الدعوة إلى الله: ذلك أن كثيراً من المنتسبين إلى علوم الشريعة - فرطوا في جانب الغيرة على الحق، بل ربما كان منهم من يواد الملاحدة، ويتملقهم

بالإطراء، ويغض الطرف عن إلحادهم، بل ربما شهدوا لهم بالإخلاص للدين. يفعلون ذلك رجاء متاع الحياة الدنيا، أو خشية أن يوصفوا بالتشدد والانغلاق أو رغبة بأن يوصفوا بالانفتاح وسعة الأفق، وهم يعلمون أنهم إنما يوالون طائفة تفسد على الأمة دينها وأخلاقها.

ومن العلماء من أخلدوا إلى الأرض، فلا ينكرون على الناس شركهم بالله، وطوافهم حول الأضرحة، ولا يبينون الحق، ولا ينصحون للأمة، وربما زینوا للطواغيت باطلهم، وسوغوا لهم أعمالهم الإجرامية.

١٠- ترك الجهاد في سبيل الله: حيث ركن أكثر المسلمين إلى ملذات الحياة الدنيا، فدبت إلى الجفون غفوة، فلم تكد الأمة تستفيق منها إلا ويد أجنبية تقبض على زمامها، وتديرها كما تشاء.

١١- تركيز الغرب على إفساد التعليم والإعلام والمرأة: فشوه الإعلام صورة الإسلام وعلمائه، وروج للعري والإباحية والفوضى الجنسية، ففرق كثير من الشباب في هذا المستنقع الآسن، والشيوعية لا تُفَرِّخ إلا بمثل ذلك الجو.

ثم إن الطعنة النجلاء، والخنجر المسموم - هو فساد التعليم، ومناهجه الدراسية، حيث قطعت صلة الطلاب برب الأرباب، وأصبحت مناهج الدين في زاوية ضيقة محدودة، فانفتح المجال على مصراعيه للشيوعية؛ حيث زاحمت علومها علوم الدين، بل أقصتها جانبا، ونَحَّتْهَا عن مجال التأثير؛ فشاع الجهل بالدين، وسهل دخول الأفكار المضللة إلى العقول.

١٢- الابتعاث وما فيه من مفاسد: حيث يبتعث إلى بلاد الكفر مَنْ هو خالي

الوفاض - في الغالب - فلا علم لديه ، ولا ورع يزمُّه ، ولا تقوى تردعه ولا عزة تمنعه ، فيعيش في تلك البلاد فترة من الزمان ، وبدلاً من أن يأتي من تلك البلاد بعلم يحتاجه المسلمون؛ فيكون سبباً من أسباب نهضتهم - إذا به يعود متأثراً بما في تلك البلدان من انحلال ، وفساد ، وكفر ، فيصبح بذلك معول هدم لأمته ، وربما تولى زمام التأثير في المجالات المهمة؛ فيُفرِّغُ فيها كُتْبة من سمومه ، وفساده.

١٣- خيانات العملاء والمنافقين: فلهؤلاء دور كبير في نشر الشيوعية ، والتمكين لها ، ولا أدل على ذلك من خيانة الأحزاب الشيوعية العربية للقضايا العربية والإسلامية؛ فذلك أمر تؤيده الحقائق المشهورة؛ فحيثما وُجِدَتْ مصلحة الاتحاد السوفييتي أو مصلحة إسرائيل فإن تلك الأحزاب تنحاز إلى تلك المصالح ضد المصالح الإسلامية والعربية.

وأوامر الحزب الشيوعي اليهودي وأوامر مقدسة عند الأحزاب الشيوعية العربية ، حيث تنفذها دونما اعتراض.

وحركات التحرر التي قامت ضد فرنسا ، وبريطانيا تعد - في نظر الأحزاب الشيوعية العربية - حركات بورجوازية انتهازية لا تستحق الدعم والتأييد ، بل تستحق المعارضة ، والكفاح.

وكل وجهة نظر سوفييتية تتعلق بالقضايا العربية أو الإسلامية هي الوجهة التي لا يجوز العدول عنها عند تلك الأحزاب.

١٤- سوء التربية: وذلك بأن ينشأ الشخص في بيت خالٍ من آداب الإسلام ومبادئ هدايته ، فلا يرى فيمن يقوم على أمر تربيته من نحو أب ، أو أم ، أو أخ -

استقامة، ولا يتلقى ما يَطْبَعُه على حب الدين، ويجعله على بصيرة من حكمته؛ فأقل شبهة تمس ذهن هذا الناشئ تنحدر به في هاوية الضلال.

١٥- مصاحبة الملاحدة: فمن أسباب اعتناق الإلحاد أن يتصل الفتى الضعيف النفس بملحد يكون أقوى منه نفساً، وأبرع لساناً، فيأخذه ببراعته إلى سوء العقيدة، ويفسد عليه أمر دينه.

١٦- قراءة الناشئ مؤلفات الملاحدة: فالملاحدة يدسون سموماً من الشبه تحت الألفاظ المنمقة، فيصغى إليها فؤاد الناشئ، وتضعف نفسه أمام هذه الألفاظ المنمقة، والشبه المبهرجة، فلا يلبث أن يدخل في زمرة الملاحدة الألداء.

١٧- غلبة الشهوات: فقد تغلب الشهوات على نفس الرجل، فتره أن المصلحة في إباحتها، وأن تحريم الشارع لها خالٍ من كل حكمة، فيخرج من هذا الباب إلى إباحية وجحود.

هذه بعض الأسباب لانتشار الشيوعية في العالم الإسلامي سواء على مستوى أفراد، أو شعوبه، أو دوله.

ثم إن بعض أسباب نشأة الشيوعية الحديثة تشترك مع أسباب دخولها في بلاد الإسلام^(١).

١ - انظر الدعوة إلى الإصلاح ص ٨٣-٨٤ و ١٢٤-١٢٥ للشيخ محمد الخضر حسين.

الفصل الرابع

بطلان الشيوعية والرد على مزاعمها

وتحتة مبحثان :

المبحث الأول : آثار الشيوعية.

أولاً : الشيوعية بعد التطبيق.

ثانياً : الآثار المترتبة على الإلحاد.

ثالثاً : سقوط الشيوعية.

المبحث الثاني : الردُّ على مزاعم الشيوعية ، وحكمُ

الانتماء إليها.

المبحث الأول: آثار الشيوعية

لقد قامت الشيوعية على أسس ومبادئ آمن بها الشيوعيون، وحاولوا تطبيقها على مجتمعاتهم، زاعمين بأن تلك الأسس والمبادئ ستخلص الشعوب من وطأة الرأسمالية وتوصلها إلى الفردوس المنتظر، وتقضي على جميع المشكلات وتناهى عن الطبقة والفردية.

فماذا تم بعد قيام الشيوعية؟ وما الذي حدث من جراء تطبيقها؟ وما الآثار التي ترتبت على اعتناقها؟ وماذا كانت النتيجة؟

الجواب سيتضح - إن شاء الله - من خلال الحديث عن الشيوعية بعد التطبيق، وعن الآثار المترتبة على الإلحاد، ثم عن سقوط الشيوعية.
أولاً: الشيوعية بعد التطبيق^(١):

لقد زعمت الشيوعية بأنها ستحقق العدل، وتشره بين الناس؛ حيث ستلغي الفوارق بين الطبقات، وستجعل الناس يعيشون في مستوى اقتصادي واحد، وسيأخذ كل واحد منهم قدر حاجته من المال.

وإذا تساوى الناس في مستواهم الاقتصادي والمالي فسيكون الطريق أمامهم مفتوحاً للمساواة في جميع المجالات سواء كانت ثقافية أو اجتماعية أو سياسية.

هذه هي الدعوى، ولكن أين البيئة؟

١ - انظر الأديان والمذاهب المعاصرة ص ٩٦-٩٩، والعلمانية ص ٢٥٤/٤٤٤-٤٤٧، ومذاهب

فكرية ص ٢٣١، والشيوعية وموقف القرآن ص ٥٩-٦٤، والصنم الذي هوى ص ٧٣.

والدعاوى ما لم يقيموا عليها بيناتٍ أصحابها أدعياء

إن الحقائق تكذب تلك الدعاوى، والواقع يقول بخلاف ذلك؛ فلقد حصل

بعد تطبيق الشيوعية ما يلي:

١- وقوع الشيوعيين في الطبقة: لقد ادعى الشيوعيون أن إلغاء الفوارق بين الطبقات أمر لا بد منه، وأن السبيل إلى ذلك هو الصراع الدموي؛ فكل امتياز أو طبقة - بزعمهم - إنما هو أثر من آثار الأنانية وتحكيم المصلحة الذاتية.

وإذا كان النظام الشيوعي يدعي تلك الدعوى فإن واقعه يكذبها؛ فما تلك الدعاوى سوى شعارات براءة، ووعود معسولة كاذبة يخدعون بها السذج دونما التزام بها، وإليك بعض الأمثلة:

أ - تفاوت الأجور: فمعدل الأجر المتوسط للعامل في الاتحاد السوفيتي عام ١٩٣٥م حوالي ١٨٠٠ روبل سنوياً، في الوقت الذي بلغ فيه راتب الأمين العام للجنة الغزل والحريير الصناعي مبلغ ٤٥ ألف روبل سنوياً. ثم إن أجرة الفلاح الروسي ٣٠٠ روبل شهرياً، ويقتطع منها ١٥٠ روبلاً لتقوية الصناعات.

في الوقت الذي يتقاضى فيه أهل الطبقة المثقفة - كما يزعمون - من المثليين والفنانين والأدباء والراقصات أجوراً عالية تصل إلى ٢٠ ألف روبل شهرياً.

ب - تفاوت مستويات التعليم: فأبناء الطبقة المثقفة يتمتعون بالتعليم الجامعي المجاني وغير المجاني.

أما أبناء الفلاحين فلا يستطيعون ذلك.

ج - إقرار الحوافز: فهؤلاء الذين يرفعون شعار المساواة، والعدل ورفض الطبقة أقرروا الحوافز والجوائز؛ فلقد أذاعت وكالة الأنباء السوفيتية - تاس - أن جائزة ستالين للموسيقى وقدرها مائة ألف روبل - قد منحت سنة ١٩٤٧م لجوزيف كلينا من أجل أنه لَحَنَ أغنية عن ستالين.

وأن جائزة ستالين للتصوير - وقدرها مائة ألف روبل - قد منحت لأراكلي طويزر من أجل تصويره ستالين يخطب في احتفال الذكرى الرابعة والعشرين لثورة أكتوبر.

أما الجائزة الثالثة - وقدرها خمسون ألف روبل - فقد منحت للرسام باراكر فتشكو من أجل تصويره الأديب مكسيم جوركي يقرأ قصة أمام ستالين، ومولوتوف، وتورسيلوف.

وأما جائزة ستالين للنحت - وقدرها مائة ألف روبل - فهي لنيقولا توسكي من أجل رسمه تمثال ستالين.

بالإضافة إلى جوائز أخرى سلمت لموسيقين، ورسامين، ونحاتين من أجل أعمال قاموا بها لشخص ستالين.

ولما رأوا أن العمال لا يمكن أن يعملوا بجد وإخلاص طالما أن جهدهم يتمتع به غيرهم - لجأوا إلى الحوافز، واضطروا إلى الاعتراف بها لتشجيع المنتجين من فلاحين ورعاة، وعمال مصانع؛ فأخذت الدولة تُملكهم شيئاً من إنتاجهم؛ فأين المساواة؟ وأين محاربة الملكية الفردية؟!

د - سحق العمال تحت نظام السخرة في المصانع: والسخرة هي العمل المجاني،

حيث يقوم العمال بالعمل دون أن يكون لأحد من نصيب إلا حد الكفاف لا الكفاية.

فالعامل الفرد في ظل هذا النظام يجبر على أن يحشر هو وكل أفراد أسرته في غرفة واحدة، هي غرفة جلوسهم، ونومهم ومطبخهم.

ثم هي غرفة في مجمع سكاني ضخم غير متجانس، ويشترك سكان الشقة في دورة مياه واحدة، وقد تكون تلك الدورة بنيت بلا أبواب منذ إنشائها.

وإذا كانت الغرفة لا تحتوي إلا على سرير واحد فردي - فإن الأبوين ينامان عليه حين ينام الأولاد صغارهم وكبارهم، وذكورهم وإناثهم على المنضدة متلاصقين.

وتلك المنضدة هي التي تستعمل في النهار للطبخ، وربما كان الزوجان والثلاثة يعيشون في غرفة واحدة يفصل بينهم حبل من حبال الغسيل تثبت به قطعة من القماش.

ثم إن الطعام الذي توزعه المزارع الجماعية لا يكاد يسد الرمق. أضف إلى ذلك غلاء الأسعار الفاحش، فثمن الكيلو غرام الواحد من الزبدة في السوق الحرة يوازي الأجر الشهري للعامل العادي، وثمان زوج الأحذية يوازي أجر شهرين وإذا مرض أحد من عامة الناس لم يُهتم بعلاجه.

هـ - إغراق الطبقة الحاكمة في الترف والنعيم: ففي الوقت الذي يسحق فيه عامة الناس، ويعانون من شظف العيش، وضيقة - إذا بالطبقة الحاكمة تغرق في النعيم والترف إلى الأذقان؛ فأعضاء الحزب الشيوعي يتمتعون بالملذات والمسكن

الراقية الفسيحة ، والمراكب الفارهة التي تستورد من الغرب الرأسمالي.
وإذا مرض واحد من أعضاء الحزب بُودر في علاجه بأرقى أنواع العلاج.
ويكفي شاهداً على ترفهم ذلك القصر الباذخ الذي كان يتخذه الرئيس
خروتشوف مشتىً له على ضفاف البحر الأسود الدافئة.

ولقد وصف الصحفي المصري محمد حسنين هيكل ذلك القصر وصفاً مذهلاً
وذلك في ملحق الأهرام بتاريخ ٢٢ مايو سنة ١٩٦٤م فذكر الأثاث الفاخر،
والحدائق الغناء، وحمام السباحة المثير المغطى بقبة من البلور الشفاف، المُكَيَّف
بدرجة حرارة مناسبة تتغير آلياً حسب الجو، إلى آخر ما وصف به ذلك القصر.

٢- تسلط الحزب الحاكم واستبداده: فبالرغم من أن الاتحاد السوفيتي يتكون
من ١٥ ولاية رئيسة فرض عليها الاتحاد فرضاً وفي كل منها مجلس وزراء - إلا أن
سلطاتها تنحصر في الأمور العادية.

أما الحل والعقد والبت في الأمور فيملكه الحزب في موسكو، ولا يناقشه أحد
بذلك.

٣- البطش والإرهاب: حيث اتسمت سياسة الشيوعية بعد التطبيق بالبطش
والإرهاب والتدمير والتعذيب، والتنكيل الذي لم يسبق له على مدى التاريخ
مثيل، ولقد مرّ بنا قبل قليل نماذج من ذلك.

٤- انقسام المعسكر الشيوعي على نفسه: حيث توالى الخلافات بين الدول
الشيوعية، بل داخل الدولة الواحدة وبين أعضاء الحزب الواحد؛ فلا يكاد
يجمعهم سوى خوف كل طرف من الطرف الآخر فهناك خلافات لينين مع ستالين

والتي كان لينين بسببها ينوي إقصاء ستالين من مكانته ، وهناك الخلافات بين ستالين وتروتسكي ، والتي أدت بـستالين إلى تدمير اغتيال تروتسكي .
 وكلما وصل رئيس إلى سدة الحكم ندد بسلفه ، وأقذع في شتمه وسبه .
 ومن ذلك ما حصل في المؤتمر الخمسين للحزب الشيوعي عندما وقف الرئيس خروتشوف يندد بـستالين ، ويقول عنه : إنه ديكتاتور سفاح ، مجرم سافل دنيء ، وإنه غلطة لا ينبغي أن تتكرر ، وإنه ارتكب من الجرائم البشعة ما تقشعر له الأبدان^(١) .

وفي مؤتمر الحزب الشيوعي الذي عقد في موسكو في ٢٨/٦/١٩٨٨م دعا جورباتشوف إلى إصلاحات جذرية في الشؤون السياسية والاقتصادية للاتحاد السوفيتي ، كما انتقد سياسة ستالين وبريجنيف التي حجرت على الفكر في الاتحاد السوفيتي - وصدق الله إذ يقول : ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ (الأعراف: ٣٨).

٥- التجسس والرقابة الصارمة: فالتحركات في المجتمع الشيوعي مراقبة ، والاتصالات الهاتفية مسجلة ، والزيارات - وخاصة من الغرباء - مراقبة تماماً ولقد روى ذلك كثير من الزائرين لروسيا بعد أن لاحظوا من يراقبهم ويرصد تحركاتهم .

١ - ومن الطريف أن خروتشوف لما قال عن ستالين في ذلك المؤتمر ما قال تقدم مجهول بسؤال إلى خروتشوف يقول فيه : إنك كنت عضواً بارزاً في الحزب الشيوعي ورأيت هذه الجرائم ، وكنت عالماً بوقوعها؛ فلماذا سكت على ارتكابها؟ وقرأ خروتشوف الورقة ، وكان حاضر البديهة حاضر النكته فقال : من الذي أرسل إليّ هذه الورقة . وبالطبع لم يجب أحد ، فقال خروتشوف : الآن قد عرفت السبب؛ لقد كنت خائفاً مثلك ؛ فلم أنبس بينت شفة . انظر مذاهب فكرية معاصرة ص ٤٣١ .

ولذلك يتحاشى الروسيون الحديث عن السياسة، وكثيراً ما يرددون عبارات جاهزة مكررة في مدح سياسة بلادهم بمناسبة أو بغير مناسبة؛ فقد يكون جزاء المقصر أو المتجاوز النفي إلى سيبيريا؛ حيث البرد القارس والأعمال الشاقة.

وقد قال أحد الكتاب: إن نصف سكان موسكو جواسيس على النصف الآخر، فقال له صاحبه: ولكن النصف الآخر جواسيس - أيضاً - على النصف الأول، وتلك فكاهة ليست ببعيدة عن واقع المجتمعات الشيوعية.

ويدل على ذلك ما حصل في ألمانيا الشرقية عندما سقطت الشيوعية؛ حيث ذهب بعض الناس لأقسام الشرطة والمباحث؛ ليتسلم ما كتب عنه من تقارير؛ ففوجئ كثير منهم بأن الذي تجسس عليه أمه، أو زوجته، أو أخوه، أو أقرب الناس إليه.

٦- السرية والغموض: فمعظم الأمور هناك أسرار غامضة؛ فلا دليل للهاتف ولا مخطط للمدينة، ولا كتب عن مشاهير الناس.

أما أعضاء الحكومة فحياتهم وأماكن سكنهم، واجتماعاتهم وتحركاتهم - سر مغلق، لا يعلن عنه، ولا يُتحدث فيه.

بل من الصعب أن تقابل روسيا عادياً على انفراد.

وما اعتاده الناس هناك اختفاء بعض الناس في ظروف غامضة، سواء كانوا مسؤولين أم من عامة الناس، ثم إنه لا يجزؤ أحد على السؤال عنهم أو الاستفسار.

يقول آرثر كستلر^(١) عن مجتمع الحزب الشيوعي: «كان عالماً يسكنه أناس يعرفون بأسمائهم الأولى فقط، أما أسماء أسرهم، أو عناوين سكناتهم فلم يكن لها وجود، كان الجو متناقضاً؛ فهو خليط من الزمالة الأخوية، والارتياب المتبادل.

ويمكن أن نقول: إن الشعار هنا هو: أحب رفيقك ولكن لا تثق فيه أمثلة لصالحك؛ لأنه يشي بك ولصالحه؛ إذ من الخير له ألا تعرضه للإغراء والوشاية»^(٢).

٧- غياب شمس الحرية عن الحياة الفكرية: فجميع الصحف ودور النشر خاضعة تماماً لرقابة الدولة، ومهمتها كيل المديح الأجوف للمل لقيادة الحزب مع تسويغ أعمالهم وحمقاتهم.

وأبرز مثال على ذلك دائرة المعارف الروسية التي ملئت بالتشويهات وقلب الحقائق؛ إرضاء لهوى المتسلط.

وبالجملة فإن البلاد التي ساد فيها النظام الشيوعي قد تحولت إلى سجن كبير لا مكان فيه لحرية الرأي، ولا يستطيع الفرد أن يفصح عما يدور في خلدته تجاه النظام؛ فهو يعيش في رعب دائم، وقلق مستمر.

٨- إهدار كرامة المرأة: فالمرأة في النظام الشيوعي أداة من أدوات الإنتاج

١ - آرثر كستلر ولد عام ١٩٠٥ من أب هنغاري وأم من فينا ، وقد انضم إلى الحزب الشيوعي في آخر يوم من شهر كانون الأول ديسمبر ١٩٣١م ثم انفصل عنه في ربيع عام ١٩٣٨م. انظر الصنم الذي هوى ص ١٨.

٢ - الصنم الذي هوى ص ٣٥.

للأطفال ، وما دامت أدوات الإنتاج الأخرى على الشيوع فينبغي أن تكون المرأة كذلك.

ولقد تحققت شيوعية المرأة في مجتمعهم بصورة مستترة ، لكنهم يريدون أن يتحول الواقع إلى نظام علني.

لقد أراد ماركس بمخططه أن تكون كل أنثى لكل ذكر ، أو أن تتحول كل امرأة في مجتمعه إلى أنثى من إناث الدولة ، وكل رجل من رجال مجتمعه إلى فحل من فحول الدولة ، فيجمعهم الفراش ثم يذهب كل منهما إلى عمله وإنتاجه؛ فلا يجوز - في نظرهم - أن يختص أحد بالمرأة؛ لأنهم يرون أن الزواج قيد لحريةها. وبذلك تكون المرأة كلاً مباحاً للأعين والأيدي ، وتتحول البشرية إلى حياة الغاب والقطيع.

ولقد لجأ الشيوعيون في سبيل إفساد المرأة إلى أساليب ماهرة؛ حيث ألقوا في روعها أنها إذا تحررت من تبعيتها الاقتصادية للرجل فستكون حرة طليقة ، كما أفهموها أن الدين شيء صنعه الرجل؛ لتظل المرأة تحت سلطانه؛ فإذا خلعت ربة الدين ، وتحررت من قيود الأخلاق - فستنعم بالحرية ، والحياة السعيدة. فما الذي حصل؟ لقد تحقق لهم ما يريدون.

ولكن هل تحققت السعادة للمرأة؟ وهل كانت النتائج في صالحها وصالح المجتمع؟

الجواب: لا؛ فلقد لاحظوا نذر الكارثة؛ إذ انتشرت الأمراض ، وكثر الإجهاض ، وبدأ الشعب الروسي يتناقص؛ فحرّموا الإجهاض ، فأخفقوا؛ لأن

الشباب اعتاد الزنا والفواحش فأباحوا الإجهاض، ووزعوا حبوب منع الحمل مجاناً، وكافأوا الأم براتب عن كل مولود بغض النظر عن شرعيته من عدمها. كما اضطربوا في الطلاق؛ حيث أباحوه، ثم حرموه، ثم حدّوه، وهكذا أصبحت المرأة ميداناً لتجارهم وتخبّطهم.

٩- تخبّط نظام الأسرة: فمن أهداف نظام الشيوعية القضاء على نظام الأسرة؛ فالكيان الأسري الذي يربط أفراد الأسرة بروابط لها قوتها وقدسيتها - يتعارض في نظر الماركسية - مع الرابطة المقدسة الكبرى - الأم - التي هي الدولة. فهي تطلب من الفرد أن يفنى في الأمة فناء تاماً يتلاشى فيه كل انتماء لدين، أو رحم، أو وطن، ويحل محل ذلك الانتماء للدولة بنظمها الماركسية. ومن هنا قوّضت الشيوعية كل التقاليد والشرائع المرغّبة في الزواج حتى أصبح الأمر فوضى لا حد لها.

وتهدف من وراء ذلك أن ينشأ الأطفال نشأة ماركسية تقوم فيها الدولة بدور الحضانة والتربية والتعليم دونما حاجة ماسة إلى أبوة، أو أمومة، أو بُنوة؛ فالرجال رجال الدولة والنساء نساؤها، والأطفال الذين هم ثمرة هذه العلاقات الجنسية - المشروعة أو غير المشروعة - هم أبناء الدولة - ومعلوم أن الفرد في النظام الشيوعي ليس ملكاً لنفسه، ولكنه ملك للدولة؛ ولهذا فهم لا يجذبون الترابط الأسري؛ لأجل أن يكون الولاء خالصاً للدولة.

ثانياً: الآثار المترتبة على الإلحاد:

لقد اعتنقت الشيوعية الإلحاد، وقام عليه أكبر الدول في الشرق وهي روسيا،

حيث حملت في بنودها رفض الغيب ، والنظر إلى الحياة كلها من منظور مادي بحت.

ولقد أصبح الإلحاد ظاهرة عالمية؛ فالعالم الغربي في أوروبا وأمريكا - وإن كان وارثاً في الظاهر للعقيدة النصرانية - إلا أنه ترك هذه العقيدة تقريباً ، وأصبح إيمان الناس هناك بالحياة الدنيا ، وأصبحت الكنيسة مجرد تراث تافه ، وأصبح الإلحاد هو الدين الرسمي المنصوص عليه في دساتير البلدان الأوروبية والأمريكية ، ويعبر عن ذلك بالعلمانية تارة ، وباللادينية تارة أخرى .

والإلحاد له آثاره السيئة ، وثمراته المتننة سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات؛ فالأمم الكافرة تعيش حياة صعبة معقدة لا يجدون حلاً لأكثر مشكلاتهم؛ نظراً لغياب المنهج الصحيح وهو دين الإسلام ، فهم يعاقبون في هذه الدنيا أشد أنواع العقوبات ، وإن ماتوا على كفرهم وإلحادهم فالخلود في النار بانتظارهم.

ولقد مرَّ بنا في الصفحات الماضية ذكر لما تعانیه تلك الأمم بسبب كفرها وإلحادها ، وبعدها عن الله ، وفيما يلي إجمال للآثار المترتبة على الإلحاد زيادة على ما مضى^(١) :

١- القلق والاضطراب: فالملاحظة محرومون من طمأنينة القلب ، وسكون النفس ، قال الله - تعالى - : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً

١ - انظر: كواشف زيوف للشيخ عبد الرحمن الميداني ص ٥٥٣ وما بعدها ، والإلحاد أسباب هذه الظاهرة وأسباب علاجها ص ٢٠-٣٣ ، ورسائل الإصلاح ٢٢٠/١ .

وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿ (طه: ١٢٤).

كيف لا يصيب الملاحدة القلق والهم والغم وفي داخل كل إنسان أسئلة محيرة؟
من خلق الإنسان؟ ومن خلق الحياة؟ وما نهايتها؟ وما بدايتها؟ وما سر هذه
الروح التي لو خرجت لأصبح الإنسان جماداً؟

من يجيب عن تلك التساؤلات؟ الشيوعية؟! أنى لها؟

ثم إن هذه الأسئلة قد تهدأ في بعض الأحيان بسبب مشاغل الحياة، إلا أنها ما
تلبث أن تعود، مُلِحَّةً على صاحبها.

وما نراه اليوم من كثرة الانتحارات، وإدمان المخدرات إلا هروب من ذلك
الواقع المؤلم.

٢- الأثرة والأنانية: فلا رحمة، ولا شفقة، ولا بر بالوالدين، ولا صلة
للأرحام، ولا إحسان إلى الجيران وسائر الناس؛ فكل فرد معني بنفسه فحسب؛
فالإلحاد لا يعير هذه الروابط أدنى اهتمام.

٣- حب الجريمة: فالملحد يجد في نفسه حباً للجريمة، وإرادة الانتقام، ورغبة
في التشفّي من كل موجود.

كما أن الثقة بين الناس في المجتمع الملحد شبه مفقودة؛ فكلُّ يخاف من أقرب
الناس إليه.

٤- الانطلاق في الإباحية: فالملحد لا يحافظ على عرض أحد، ولا يؤتمن على
مال، أو حرمة إلا أن يعجز عن الوصول إلى شيء من ذلك.

ومتى ساعدته الفرصة، وظن أنه بمأمن من العقوبة - عاث في الأعراض

والأموال غير متخرج من انتهاك حرمتها.

وقد يقع انتهاك الأعراض، وغشيان الحرمات، ونحوها من غير الملحد بدافع الشهوة، أما الملحد فإنه يأتيها مستباحاً لها.

وضرر الطائفة التي ترتكب الفسوق مستبيحة له أشد من ضرر من يفعله معتقداً أنه يأتي أمراً محرماً.

٥- الإجرام السياسي: وهذا من أعظم آثار الإلحاد؛ ذلك أن الأخلاق المادية الإلحادية ملأت قلوب أصحابها بالقسوة والجبروت مما دفعهم إلى تطبيق ذلك عملياً؛ ولذلك ترى الدول الكبرى كيف تفعل بالدول المستعمرة من الإهانة، والقتل، والإذلال، والتشريد.

هذا شيء من الآثار المترتبة على الإلحاد، وقد جاء القرآن بما يدل على ذلك. قال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام: ١٢٥).

وقال - عز وجل - : ﴿حَنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ (الحج: ٣١).

وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (التوبة: ٥٥).

ولقد عبر عن ذلك العذاب النفسي والهلع الذي لا يهدأ فريق من كبار

فلاسفة الملاحدة، فمنهم على سبيل المثال:

أ - الفيلسوف الإنكليزي - هربارت سبنسر: فلما نظر إلى الوجود بالمنظار المادي المحدود الذي لا يفسر الحياة تفسير المؤمنين بالله واليوم الآخر - بدت له الحياة تافهة حقيرة لا تستحق البقاء؛ حيث قال ذلك في خاتمة كتابه «المبادئ الأولى».

ولما دنا الموت منه نظر وراءه يستعرض حياته، فإذا هي في نظره أيام كلها تنقضي في كسب الشهرة الأدبية دون أن يتمتع بشيء من الحياة نفسها؛ فسخر من نفسه، وتمنى لو أنه قضى أيامه الدابرة حياة يسيرة سعيدة.

ب - الفيلسوف الملحد (شوينهور): وهو فيلسوف التشاؤم، قال: «إننا لو تأملنا الحياة المصطخبة لرأينا الناس جميعاً يشتغلون بما تتطلبه من حاجة، وشقاء، ويستنفدون كل قواهم لكي يرضوا حاجات الحياة التي لا تنتهي، ولكي يمحوا أحزانها الكثيرة».

والسبب في تشاؤمه أنه عزل عن تصوره مسألة الإيمان بالله، واليوم الآخر.

ج - الفيلسوف الفرنسي الوجودي (جان بول سارتر): ذلك الملحد الذي أبصر الوجود كله من خلال دوائر القلق، والغثيان، والمتاعب والآلام، وكتب في ذلك جملة قصص ومسرحيات ضمنها آراءه الفلسفية الوجودية، التي تتقيأ المكاره، والتي أبرز فيها الحياة تافهة، حقيرة، مملوءة بالمشقيات، مشحونة بالآلام

ثالثاً: سقوط الشيوعية:

لقد أخفقت الشيوعية في التطبيق أيما إخفاق، وقادت البشرية إلى ويلات إثر ويلات، ونزلت بالمستوى البشري إلى أحط الدرجات.

وبعد ذلك كله سقطت الشيوعية وهوت من عليائها؛ حيث تفككت دولها، وانفردت عقدها، وسُلَّ نظامها.

ولم يكن سقوط الشيوعية مفاجأة لمن سبر أغوارها، وعرف أطوارها؛ ذلك لأنها قامت على أسس لا يمكن أن تدوم وتخلد، حيث أسست على شفا جرف هار فانهار بأصحابه.

هذا وقد تكلم كثير من الكتاب المسلمين على نهاية الشيوعية المحتومة قبل أن تسقط بسنوات عديدة، وذلك لأن المسلمين يعتقدون بيقين ثابت أن الشيوعية مبدأ ولد ميتاً، وحكمهم عليها - منذ عرفوها - ليس من باب التنبؤ، والضرب بالرمل، أو علم الغيب.

وإنما هو حكم منتزع من وحي عقيدتهم، وهدى دينهم.

إنها مبدأ أرضي، والمبادئ الأرضية لا تثبت للمبادئ الربانية.

ولئن حُرست هذه المبادئ الباطلة بالقوة الغاشمة فترة ما - فلن تظل محروسة إلى الأبد؛ لأن حراسها سيدركهم التعب، وسوف يتناهم ما يرخي قبضتهم الحديدية. وقد ينخدع بالكذب أناس على أمل أن يُحَقَّق لهم شيء، فإذا اكتشفوا أنه كسراب ببيعة كفروا به^(١).

ثم إن سنة الله - عز وجل - لا تتبدل ولا تتحول؛ ومن تلك السنن أن الزيد يذهب جفاءً، وما ينفع الناس يمكث في الأرض، والشيوعية زيد؛ فلا بد أن تذهب جُفاءً.

يقول الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار رحمه الله مبيناً مصير الشيوعية المحتوم، وذلك قبل أن تسقط بسنوات: «ومهما كان الأمر فمصير الشيوعيين المحتوم معروف، ولن يكون هذا المصير إلا الفناء نهاية مذاهب الهدم والتخريب. وستبدل الشيوعية على أيدي أتباعها قبل أن تتغير على أيدي أعدائها، ثم تلقى المصراع الذي يسلمها إلى القبر، فترتاح الإنسانية من هذا المذهب الباطل الهدام»^(١).

ويقول الشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني متحدثاً عن ذلك المصير: «وإذا كان لنا أن نتنبأ عن المستقبل فإن لنا أن نقول: إن الشيوعية وأنظمتها ستساقط في كل أرجاء العالم طال الزمن أو قصر متى وهنت القبضة الحديدية الخانقة لرقاب الشعوب المحكومة بها، أو متى استنفذ الذين دفعوا إليها وأقاموا أنظمتها أغراضهم منها وغدت عبئاً عليهم، أو تعمل ضد مصالحهم»^(٢).

وهكذا صحت التوقعات، فتراجعت الشيوعية شيئاً فشيئاً، ثم سقطت ذلك السقوط المريع على يد الرئيس ميخائيل جورباتشوف فأين فردوس الشيوعية المنتظر؟! وأين تفسيرهم المادي للتاريخ؛ ليفسر لنا ذلك السقوط؟!

١ - الشيوعية والإسلام لأحمد عبد الغفور عطار ص ٢١٣.

٢ - الكيد الأحمر ص ٤.

المبحث الثاني: الرد على مزاعم الشيوعية، وحكم الانتماء إليها

أولاً: الرد على مزاعم الشيوعية:

لقد اتضح من خلال ما مضى أن الشيوعية الماركسية مذهب إلحادي، لا يؤمن إلا بالمادة، ولا يعترف إلا بالمحسوس.

ومرّبنا كيف كان الشيوعيون ينظرون إلى الحياة من خلال المنظور المادي، وكيف كانوا يفسرون التاريخ تفسيراً مادياً، إلى غير ذلك من مبادئ الشيوعية وأعمالها.

والرد على مبادئ الشيوعية لا يحتاج إلى كبير جهد؛ ففسادها يغني عن إفسادها، وتصورها كافٍ في الرد عليها، وأدلة الشرع والعقل، والفطرة والواقع تنقض مبادئ الشيوعية.

ولقد مرّ شيء من الرد على مبادئ الشيوعية من خلال عرضها، وفيما يلي ذكر لبعض التفاصيل في الرد على مزاعم الشيوعية، ومبادئها، يتبين من خلاله بطلان هذا المذهب.

١- الشرع: فأدلة الشرع أكبر برهان على بطلان الشيوعية، فهي تدل على وحدانية الله - عز وجل - وعلى صدق رسله - عليهم السلام -.

فالله - عز وجل - أرسل الرسل من لدن نوح إلى محمد - عليهم السلام - بالتوحيد الخالص فكلهم يدعون إلى عبادة الله وحده، وإفراجه بالعبادة دون من

سواه.

قال -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (النحل: ٣٦)، وهذه الدعوة التي جاء به الرسل الكرام - عليهم السلام - توضح العلاقة بين العبد وربه، وتكفل للبشرية أن تعيش بسعادة وهناء.

ثم إن عبادة الله -عز وجل- هي الغاية التي خلق من أجلها الجن والإنس، قال -تعالى-: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦).

ثم إن القرآن ياعجازه وببلاغة أسلوبه، وشدة تأثيره، وإخباره عن الغيوب الماضية والمستقبلية، وتضمنه لمصالح العباد في دنياهم وأخراهم، وصلاحه لكل زمان ومكان وأمة - لأكبر برهان على بطلان الشيوعية التي تدعو إلى الإلحاد، وتكفر بكل دين.

إضافة إلى ذلك فالحقائق العلمية تشهد للقرآن والسنة بالصحة؛ فمع اتساع علوم الطبيعة وما استجد من العلوم العصرية لم يأت علم صحيح ينقض شيئاً مما جاء في القرآن والسنة الصحيحة، مع أن الذي جاء بتلك الحقائق نبينا محمد الأمي ﷺ^(١).

فالعلم الصحيح لا يناقض النقل الصحيح، بل يتفق معه تمام الاتفاق، كما لا يمكن أن يتعارض صريح القرآن الكريم مع الواقع أبداً، وإذا ظهر في الواقع ما ظاهره المعارضة - فإما أن يكون الواقع مجرد دعوى لا حقيقة له، وإما أن يكون القرآن الكريم غير صريح في معارضته؛ لأن صريح القرآن وحقيقة الواقع كلاهما قطعي، ولا يمكن تعارض القطعيين أبداً^(٢).

١ - انظر الأدلة والقواطع والبراهين للشيخ عبد الرحمن بن سعدي ص ٣٥٠.

٢ - انظر مجموعة فتاوى فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين ٣/٧٧.

وهذا ما قرره العلماء في القديم والحديث ولقد بنى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله كتابه العظيم (درء تعارض العقل والنقل) على هذه القاعدة. بل لقد صرح كثير من الكتاب الغربيين بهذه الحقيقة، ومنهم الكاتب الفرنسي (موريس بوكاي) في كتابه (التوراة والإنجيل والقرآن والعلم). حيث قرر في ذلك الكتاب أن التوراة والإنجيل المحرفين الموجودين اليوم - يتعارضان مع الحقائق العلمية، في الوقت الذي سجل فيه هذا الكاتب شهادات تفوق للقرآن الكريم سبق بها القرآن العلم الحديث. وأثبت من خلال ذلك أن القرآن لا يتعارض أبداً مع الحقائق العلمية، بل يتفق معها تمام الاتفاق^(١).

وبالجمله فالكتاب والسنة كلاهما رد على الشيوعية والمقام لا يستدعي الإكثار من ذكر الآيات والأحاديث؛ فالحديث مع من يعظم الكتاب والسنة شيء، ومع من لا يراهما شيء آخر^(٢).

أما ما يروج له الشيوعيون من عزو التخلف الذي حل بالمسلمين إلى تمسكهم بالدين، ومن نسبة انحرافات المنتسبين للإسلام إلى نفسه؛ إرادة الطعن فيه، والتنفير عنه - فتلك فرية عظمية، ويُردُّ عليها بما يلي:

أ - أن حال المسلمين في عصورهم المتأخرة لا تمثل الإسلام حقيقة: فعلى من يريد الحقيقة بعدل وإنصاف - أن ينظر إلى دين الإسلام نفسه، وما هو عليه من

١ - انظر التوراة والإنجيل والقرآن والعلم لموريس بوكاي ترجمة الشيخ حسن خالد.

٢ - انظر تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله ص ٤٧٤.

الإحكام والحسن ، وما فيه من الهداية إلى كل خير ، والتحذير من كل شر .

ب - أن انحرافات المنتسبين للإسلام لا يعاب بها الإسلام ، ولا تحسب عليه : فالشيوعيون يطعنون بالدين من خلال ما يرونه من انحرافات بعض المنتسبين للإسلام ، كبدع الرافضة ، وشطحات المتصوفة ، وغيرهم ممن ينحرف به المسار ، وينسب انحرافه إلى الدين .

ولاريب أن الدين براء من هذه التهم ، فمن أراد الإسلام الحق فليطلبه من مصادره الصحيحة .

ج - النظر في حال القائمين بالدين الحق : فالعدل يقتضي بأن ينظر في حال القائمين بالدين حق القيام ، المنفذين لأوامره وأحكامه في أنفسهم وفي غيرهم كما كان الصدر الأول ومن تبعهم بإحسان .

فإن ذلك النظر يملأ القلب إجلالاً ، والعين هيبة ووقاراً لهذا الدين وأهله المتمسكين به ، العاملين بتعاليمه ، مما يسر الناظرين ، وتقوم به الحجة على المعاندين .

أما مجرد النظر إلى حال المسلمين التاركين لدينهم ، الناكبين عن صراطه ، الناكثين عهده فليس من العدل في شيء ، بل هو الظلم بعينه ؛ فالدين بريء من تبعة المنتسبين إليه دون أن يعملوا بما جاء به .

د - أن تأخر المسلمين ليس بسبب التمسك بالدين : بل إن العكس هو الصحيح ؛ فلم يتأخر المسلمون عن ركب الحضارة إلا عندما فرطوا في دينهم ، ونسوا حظاً مما ذكروا به ؛ فهبطوا من عليائهم ، ولقوا ذلاً بعد عز ، وضعة بعد

رفعة ، وهبوطاً بعد شمم ، وجهلاً بعد علم ، وخمولاً بعد نباهة؛ فمن له أدنى بصيرة يعلم أن الإسلام يدعو إلى الصلاح والإصلاح في أمور الدين والدنيا ، ويحث على الاستعداد في تعلم العلوم النافعة ، ويدعو إلى كل ما من شأنه تقوية العزائم ، وإنهاض الهمم؛ كي تقوى الأمة ، وتتبوأ مكانها اللائق بها.

وإنه لمن الظلم ، والتعصب المقيت ، وقصور النظر أن ينظر إلى حال المسلمين في هذه الأوقات ، فيظن أنها هي الصورة التي تمثل الإسلام.

فإذا أراد المرء أن ينظر بعدل فليُنظر إلى الصدر الأول وما يليه من عصور العز؛ عندما دانت أمم الأرض للمسلمين ، فنشروا فيها الرحمة ، ورفعوا في سوحها لواء العدل والحكمة ، فهفت إليهم القلوب قبل الأبدان ، وخضعت لهم الدنيا من مشارقتها إلى مغاريها.

وهل رقت أمم الغرب الآن ، وبرزت غيرها في الصناعات والاختراعات المذهلة إلا بعد أن استنارت عقولهم بعلوم المسلمين بعد الحروب الصليبية؟ ألم تكن تلك الأمم في غابر الأزمان ، وفي القرون التي يسمونها القرون المظلمة في غاية الجهل والوحشية والهمجية؟

ألم يكن المسلمون وقت قيامهم بهذا الدين هم سادات الخلق؟ ألم تكن مدينة الإسلام هي المدينة الزاهرة الحقيقية؟ حيث كان روحها الدين ، والعدل والرحمة والحكمة ، وقد شملت بظلمها الظليل وإحسانها المتدفقِ الموافقِ والمخالفِ والعدو والصديق؟

فهل أخرهم دينهم ، وهل منعهم الرقي الحقيقي؟ وهل نفع الآخرين كفرهم

بالله في تلك القرون الطويلة؛ إذ كانوا هم الأذلين المخذولين؟
ثم لما قصر المسلمون في الاستمساك بدينهم، وتفرقوا شيعاً، وارتقى الكفار
في علوم المادة وفنون الصناعات، ووصلوا إلى شأن لم يسبق له مثيل - هل أغنت
عنهم تلك المدنية، وذلك الترقى فتيلاً؟ ألم تكن حضارتهم قائمة على الظلم،
والجشع، والاستبداد، والاستبعاد، والقتل، والنفي، والتشريد؟
فهذا أكبر برهان على أن الرقي المادي ينقلب ضرراً إذا خلا من الدين الحق؛
لأن من انفرطت عليه مصالح دينه انفرطت عليه مصالح دنياه تبعاً لذلك.
ثم إن الملاحظة لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه من الرقي بسبب نبذهم للدين،
وإنما أوصلهم إلى ذلك جدتهم، واجتهادهم، وأخذهم بالأسباب التي من أخذ
بها وصل إلى غايته.

وبهذا يُردُّ على من زعم أن نبذ الدين سبب للترقي.

٢- العقل الصحيح: فالعقل الصحيح يدل دلالة قاطعة على بطلان الشيوعية؛
فأهل العقول الصحيحة متفقون على أن أفضل المغانم والمكاسب ما اكتسبته
القلوب، واستنارت به العقول من العلوم الصحيحة، والمعارف النافعة والإيمان
الصادق، والأخلاق العالية، التي من اتصف بها كمل سؤدده وتناهى فضله إن
كان فرداً والتي تسعد بها الأمة، ويرتفع شأنها، ويهاب جنابها.

ومعلوم أن الشيوعية تناقض العقل الصحيح في أعظم القضايا، ألا وهي
قولها بالإلحاد، وإنكار الخالق، ودعوى أن الطبيعة مُوجِدَةٌ لنفسها، أو أنها
وجدت صدفة.

ومن نظر إلى هذا العالم، وما أودع الله فيها من المخلوقات المتنوعة، والحوادث المتجددة أدرك أن لهذا الكون خالقاً مُحدثاً وهو الله - عز وجل - .
فالقسمة العقلية في هذا الصدد لا تخرج عن ثلاثة أمور:

أ - إما أن تُوجَدَ هذه المخلوقات صدفة من غير مُحدث ولا خالق.

وهذا محال ممتنع يجزم العقل ببطلانه؛ لأن كل من له عقل يعلم أنه لا يمكن أن يوجد شيء من غير مُحدث، ولا موجود، ولأن وجودها على هذا النظام المتسق البديع المتآلف، والارتباط الملتحم بين الأسباب والمسببات، وبين الكائنات بعضها مع بعض - يمنع منعاً باتاً أن يكون وجودها صدفة.

ب - وإما أن تكون هي المحدثه لنفسها الخالقة لها، وهذا محال ممتنع - أيضاً - .
فكل عاقل يجزم أن الشيء لا يخلق نفسه؛ لأنه قبل وجوده معدوم؛ فكيف يكون خالقاً؟!

وإذا بطل هذان القسمان تعين الثالث:

ج - وهو أن هذه المخلوقات لها خالق خلقها، ومُحدثٌ أحدثها، وهو الرب العظيم الخالق لكل شيء، المدبر للأمور كلها.

وقد ذكر الله هذا التقسيم العقلي القاطع في سورة الطور، قال - تعالى - : ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ (الطور: ٣٥).

يعني أنهم لم يخلقوا من غير خالق، ولا هم الذين خلقوا أنفسهم؛ فتعين أن يكون خالقهم هو الله - تبارك وتعالى - .

فالمخلوق لا بد له من خالق، والأثر لا بد له من مؤثر، والمحدث لا بد له من مُحدث، والمُوجَدُ لا بد له من مُوجد، والمصنوع لا بد له من صانع، والمفعول لا بد

له من فاعل.

هذه قضايا واضحة تُعرف في بداهة العقول، ويشترك في العلم بها جميع العقلاء، وهي أعظم القضايا العقلية؛ فمن ارتاب بها فقد دل على اختلال عقله، وبرهن على سفهه وفساد تصوره^(١).

ومن نظر في كتاب (الله يتجلى في عصر العلم) الذي كتبه ثلاثون من علماء الطبيعة والفلك ممن انتهت إليهم الرياسة في هذه الأمور، وكتاب (الإنسان لا يقوم وحده) لكريسي موريسون رئيس أكاديمية العلوم بنيويورك، وتُرجم إلى العربية بعنوان: (العلم يدعو إلى الإيمان) - يدرك أن العالم الحقيقي لا يكون إلا مؤمناً، وأن العامي لا يكون إلا مؤمناً، وأن الإلحاد والكفر لا يكون إلا من المكابرين المعاندين، ومن بعض أنصاف العلماء وأرباع العلماء، ممن تعلم قليلاً من العلم المادي وخسر بذلك الفطرة المؤمنة ولم يصل إلى العلم الذي يدعو إلى الإيمان^(٢).

وبهذا يتبين لنا أن العقل يدل على وحدانية الله، وعلى بطلان دعاوى الشيوعية، وسفاهة عقولهم.

١ - انظر الرياض الناضرة لابن سعدي ص ١٩٤، ونبذة في العقيدة الإسلامية للشيخ محمد ابن عثيمين ص ١١-١٥، ورسائل في العقيدة للكاتب ص ١٥-٢٠.

٢ - انظر كتاب (الله يتجلى في عصر العلم) تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين بمناسبة السنة الدولية لطبيعات الأرض، أشرف على تحريره جون كلوفر مونسيما ترجمة د. الدمرداش عبدالمجيد سرحان، راجعه وعلق عليه د. محمد جمال الدين الفندي.

وانظر إلى كتاب: «العلم يدعو للإيمان» تأليف كريسي موريسون، ترجمة محمد صالح الفلكي، والكتابان من منشورات دار القلم بيروت.

إن الشيوعية خرافة، وشرط الخرافة أن تلغي عقلك تماماً، وتستسلم لتعاليم سادتها.

يقول ريتشارد كروسمان في مقدمة كتاب (الصنم الذي هوى)^(١): «فإن من يدخل الشيوعية يُخضع روحه لشريعة الكرملين^(٢) ويحس في ذلك شيئاً من الخلاص.

وإذا تم هذا فإن العقل -بدلاً من أن يعمل ويفكر بحرية- يصبح عبداً للغاية التي لا تناقش، ولا تعارض، ويصبح إنكار الحقائق الواضحة شعيرة وعبادة»^(٣).

٣- الفطرة: فالفطرة تدل على بطلان الشيوعية؛ فكل مخلوق قد فطر على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه.

فالفطرة تدل على أن البشر جميعاً فطروا على عقيدة التوحيد، والاتجاه إلى الله -سبحانه وتعالى- ولم يفطروا على ماركسية، أو رأسمالية، أو داروينية، أو غيرها. ثم إن الله - عز وجل - بعث الرسل، وأنزل الكتب لتقرير الفطرة؛ فصالح العباد وقوامهم بالفطرة المكملّة بالشرعة المنزلة^(٤).

قال النبي ﷺ: «ما من مولود إلا يولد إلا يولد على الفطرة؛ فأبواه يهودانه أو ينصرانه

١ - سيأتي تعريف بالكتاب بعد قليل.

٢ - الكرملين: يطلق على قصر الحزب الشيوعي الحاكم، ويطلق على الحكومية الروسية.

٣ - الصنم الذي هوى ص ٩.

٤ - انظر درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٣٧١/٨، وشفاء العليل لابن القيم ص ٥٧-٧٥،

ونبذة في العقيدة الإسلامية ص ١١.

أو يجسّانه»^(١).

وفي حديث عياض بن حمار رضي الله عنه يقول - تعالى - : في الحديث القدسي :
«وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن
دينهم»^(٢).

ثم إن الإنسان مفطور على اللجوء إلى ربه - تبارك وتعالى - عند الشدائد؛ فإذا
ما وقع الإنسان - أي إنسان حتى الكافر الملحد - في شدة أو أهدق به خطر - فإن
الخيالات تتطاير من ذهنه، ويبقى ما فطر عليه؛ ليصيح بأعلى صوته، ومن قرارة
نفسه، وعميق قلبه منادياً ربه؛ ليفرج كربته.

وصدق الله إذ يقول: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا
نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ (العنكبوت: ٦٥).

ثم إنه لو قدر لأي إنسان أن يتجرد من كل عقيدة، ويصير قلبه خالياً من كل
حق وباطل، ثم ينظر في العقائد بحق وعدل وإنصاف - لَعَلِمَ علم اليقين أن
عقائد الشيوعيين أخط العقائد وأخسها، ولا تُضَح له الفرق العظيم، والبون
البعيد بين عقائد الإسلام الصحيحة وبين سائر العقائد وخصوصاً عقائد الملاحدة
الشيوعيين، فمتى علم المنصف ذلك عرف أنه ليس بعد الحق إلا الضلال.
وهكذا تشهد الفطرة على بطلان الشيوعية في أعظم القضايا وهي مسألة
الإيمان بالله.

١ - رواه البخاري ٩٧/٢، ومسلم (٢٦٥٨).

٢ - رواه مسلم (٢٨٦٥).

إضافة إلى ذلك فإن بقية دعاوى الشيوعية تنافي الفطرة، ومن ذلك - على سبيل المثال - قولهم بإلغاء الملكية الفردية.

يقول الشيخ عبد العزيز البدرى رحمته الله: «وأما إلغاء الملكية الفردية جزئياً وبعبارة - كما يقولون - تحديد التملك الفردي - فإن الدارس لهذا القول يجد أنه يعني تحديد التملك الفردي بالكمية والمقدار.

وهذا - أيضاً - مناقض للفطرة البشرية، ومخالف للأحكام الشرعية كما تفهم من نصوص الشرع؛ حيث إن هذا التحديد والإلغاء الجزئي يحد من نشاط الفرد، ويعطل جهوده، ويقتل عبقريته ومواهبه في حسن الإنتاج والإبداع فيه، وبالتالي يقلل من إنتاجه ويوقفه عند نشاط معين لا يتجاوزه.

وبذلك يحرم من مواصلة نشاطه الذهني والجسمي، وعند ذاك تخسر الأمة بمجموعها كفاءة الأفراد المجددين»^(١).

وقال الدكتور محمد محمد حسين رحمته الله بعد أن ذكر شيئاً من مساوئ الشيوعية: «وليس ها هنا مجال الرد على دعاوهم، وكفي أن تقول في إيجاز: إن دعوتهم تنزل بالنوع البشري إلى الحيوانية؛ لأنها تهمل الجانب الروحي في الإنسان؛ الذي هو به إنسان؛ فهي خرافة لا سبيل إلى تحقيقها؛ لأنها مخالفة للناموس؛ فالناس متباينون: قوة بدن، وذكاء، وخلقاً، وفطرة.

والله - سبحانه وتعالى - يقول في محكم كتابه: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ

العِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿ (الأنعام: ١٦٥).

ويقول - جلت قدرته - : ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعِزَّةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (النحل: ٧١).

ويقول : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢) وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣) وَلِيُبَيِّنَ لَهُمْ أَهْوَابَهُمْ وَسُرَّوَاتٍ عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ (٣٤) وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (الزخرف: ٣٢-٣٥) ^(١).

وقال الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمته الله : « دلت هذه الآيات الكريمة المذكورة هنا كقوله - تعالى - ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ ﴾ (الزخرف: ٣٢) وقوله : ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ﴾ (النحل: ٧٤) ، ونحو ذلك من الآيات - على أن تفاوت الناس في الأرزاق والحظوظ سنة من سنن الله السماوية الكونية القدرية ، لا يستطيع أحد من أهل الأرض البتة تبديلها ولا تحويلها بوجه من الوجوه ، ﴿ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ (فاطر: ٤٣) ^(٢) .

قال رحمته الله : « وبذلك تحقق أن ما يتذرع به الآن الملاحدة المنكرون لوجود الله ولجميع النبوات ، والرسائل السماوية إلى ابتزاز ثروات الناس ونزع ملكهم

١ - الإسلام والحضارة الغربية د. محمد محمد حسين ص ١٨٣-١٨٤.

٢ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ٢٤٦/٧.

الخاص عن أملاكهم بدعوى المساواة بين الناس في معاشهم - أمر باطل ، لا يمكن بحال من الأحوال.

مع أنهم لا يقصدون ذلك الذي يزعمون ، وإنما يقصدون استئثارهم بأملاك جميع الناس ؛ ليتمتعوا بها ويتصرفوا فيها كيف شاؤوا تحت ستار كثير من أنواع الكذب والغرور والخداع ، كما يتحققه كل عاقل مطلع على سيرتهم ، وأحوالهم مع المجتمع في بلادهم.

فالطغمة القليلة الحاكمة ومن ينضم إليها هم المتمتعون بجميع خيرات البلاد ، وغيرهم من عامة الشعب محرومون من كل خير مظلومون في كل شيء ، حتى ما كسبوه بأيديهم يعلفون ببطاقة كما تelf الحمير.

وقد علم الله - جل وعلا - في سابق علمه أنه يأتي ناس يغتصبون أموال الناس بدعوى أن هذا فقير ، وهذا غني ، وقد نهى - جل وعلا - عن اتباع الهوى بتلك الدعوى ، وأوعَدَ من لم ينته عن ذلك بقوله - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلُوتُوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (النساء: ١٣٥)^(١).

٤- أن الأمور المدركة لا تحصر بالمادة وحدها : فالملاحظة لما آمنوا بالمادة وحدها حصروا الأمور المدركة في دائرة ضيقة؛ فما أدركوه في حواسهم وتجاربهم أثبتوه ،

وما لم يدركوه نفوه وأنكروه.

ومن أجل ذلك أنكروا علوم الغيب، وما جاءت به الرسل، وما أنزلت به الكتب. وهذا الزعم باطل، شرعاً، وعقلاً، وتجربة؛ ذلك أن الأمور المدركة لا تقتصر على ما أثبتته الحس؛ فهناك مدارك أخرى؛ فهناك الأخبار الصادقة، وأعلاها وأحقها خبر الله ورسوله؛ ففي ذلك تبيان لكل شيء.

وإذا نسبت العلوم المدركة بالحس إلى ما جاءت به الرسل من العلوم - كانت كقطرة في بحر لجي.

ثم إن هناك أشياء يؤمن بها الناس وإن لم يشاهدوها كالروح مثلاً؛ فهي لا ترى ومع ذلك لو خرجت لأصبح الإنسان جماداً؛ فهل ينكر الروح أحد بحجة أنها لا تدخل في المحسوس؟

وكذلك الكهرباء؛ فهل شاهدها أحد؛ إنما يشاهد الناس أثرها، أتكون الكهرباء أيسر أن نؤمن بها وأقرب إلى أن نصدق بها من أن نؤمن بالله الذي أبدعها ضمن ما أبدع من أسرار هذا الكون؟

ثم إن الملاحظة ينقضون مبدأهم في حصر الإدراك بالمحسوس، والتجربة؛ فهم يثبتون تجارب ونظريات ثم تحصل تجارب ونظريات أخرى لهم تنفي ما أثبتوه، وتثبت ما نفوه^(١).

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمته الله ضمن ردوده على الملاحدة: « أن يقال

لهؤلاء الملحدين المنكرين لأمر الغيب التي أخبر بها الله ورسوله: لم أنكرتموها؟ فيجيبون بأنها لم تدخل تحت علومنا التي بنيناها على إدراكات الحواس والتجارب، فيقال لهم: قدروا أنها لم تدخل في ذلك؛ فإن طرق العلم اليقينية كثيرة، وأكثرها لا تدخل تحت إدراكاتكم؛ فإن إدراكاتكم قاصرة حتى باعترافكم فإنكم تعترفون أن مدركاتكم خاصة ببعض المواد الأرضية وأسبابها وعللها، ومع ذلك لم تدركوها كلها باعترافكم وأعمالكم؛ فإنكم لا تزالون تبحثون وتعملون التجارب التي تنجح مرة، وتحقق مرات؛ فإذا كانت هذه حالكم في الأسباب والمواد الأرضية التي يشترك بنو آدم في إدراكها، ويفترقون في مقدار الإدراك - فكيف تنفون بقية العوالم عوالم السماوات وعوالم الغيب؟ وما هو أعظم من ذلك من أوصاف الرب وعظمته، وأنتم لم يتصل شيء من علومكم بذلك؟ فإن هذا النفي باطل بإجماع العقلاء، وإنما هذا مكابرة»^(١).

٥- كثرة التناقض: فالتناقض عند الشيوعيين لا يكاد يحصر وذلك أمر لا بد منه؛ فالبدأ باطل من أساسه؛ فلا بد من التناقض؛ فإذا تهاوى الأساس تداعت الأركان. فالحق يشبه بعضه بعضاً، ويشهد بعضه لبعض، أما الباطل فيتناقض، ويهدم بعضه بعضاً، وتجدهم متناقضين مختلفين، بل تجد الواحد منهم متناقضاً مع نفسه، متهافتاً في أقواله^(٢).

ومن الأمثلة على تناقضهم دعواهم محاربة الدين، وقولهم: إن الدين أفيون

١ - الأدلة والقواطع والبراهين ص ٣٢٢.

٢ - انظر الأدلة والقواطع والبراهين ص ٣٤٨.

الشعوب.

ومع ذلك فإن روسيا أول من اعترف بدولة دينية تحكمها التوراة المحرفة، وقامت على أساس ديني، وهي دولة إسرائيل.

كذلك لما اشتد ضغط هتلر على روسيا إبان الحرب العالمية الثانية دعا ستالين إلى فتح المساجد والمعابد للصلاة، والعبادة ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَاؤُا اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ (العنكبوت: ٦٥).
ومن أمثلة تناقضهم قولهم بالاحتميات، وأن الأشياء تتطور ثم تزول سواء كانت فكرة أو مبدأ، أو غير ذلك.

وفي الوقت نفسه يزعمون بأن الشيوعية هي نهاية المطاف والفردوس المنتظر. فإذا كانوا يقولون بالاحتميات فإن الشيوعية داخلة فيما يقولون؛ لأنها مبدأ وفكرة، ومصيرها الحتمي الزوال، وهو ما حدث بالفعل؛ فأين الفردوس المنتظر؟

ومن الأمثلة على تناقضهم زعمهم أنهم يحاربون الطبقة، ومع ذلك فإن الطبقة في المجتمع الشيوعي قائمة على أشدها، وقد مر بنا كيف كان العمال وعامة الناس في المجتمع الشيوعي يعيشون عيشة الشظف في الوقت الذي يتمتع أعضاء الحزب الشيوعي بأقصى درجات الترف والنعيم.

٦- الإخفاق في التطبيق: فهذا دليل على بطلانها، ولقد مر بنا كيف كان حال

المجتمع الشيوعي بعد تطبيق الشيوعية.

لقد عجز الشيوعيون عن تطبيق المساواة، وعجزوا عن إسعاد المجتمع، وحل

مشكلاته؛ فكلما خرجوا من نفق دخلوا في نفق آخر أشدَّ حلوكه، وكلما حلوا مشكلة نتج عنها مشكلات، وكلما ولوا وجوههم وجهة تبين فيها النقص والخلل والاضطراب.

﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢).

أين هذا من دين الإسلام، الذي هو الطريق الوحيد لحل جميع المشكلات، سواء مشكلات العلم، أو مشكلات الفقر، أو مشكلات السياسة أو غيرها من المشكلات.

فمن المشكلات التي اضطرب فيها الخلق مشكلة العلم؛ فإنه إذا صح صحت العقائد والأفكار، وصلحت الأعمال المبنية عليه.

وشريعة الإسلام حضت على العلم، بل فرضت على العباد أن يتعلموا جميع العلوم النافعة في أمور دينهم ودنياهم، وتكفلت مع ذلك ببيان العلوم وتفصيلاتها.

أما علوم الدين فقد فصلتها تفصيلاً بعد ما أصلتها تأصيلاً، وأما العلوم الدنيوية فقد أسست لها الأصول والقواعد.

وبهذا يسير العلم الصحيح على الطريق المستقيم؛ فيجتمع علم الدين إلى علم الدنيا، وما يتعلق بالروح إلى ما يتعلق بالجسد.

قال - تعالى - : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ...﴾ (الإسراء: ٩)،

وقال : ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ (الأحزاب: ٤)..

فجمع - عز وجل - في هاتين الآيتين بين علم المسائل الصحيحة وهو الحق

النافع ، وبين علم البراهين وهو هداية السبيل الموصلة إلى كل علم ، البرهنة على جميع المعارف.

وكذلك مشكلات الغنى والفقير؛ فالدين قد حلها حلاً تتم به الأمور ، وتحصل الحياة الطيبة؛ فكما أمر بسلوك الطرق المشروعة في أسباب الرزق المناسبة لكل زمان ومكان وشخص - فكذلك أمر بالاستعانة بالله في تحصيلها ، وأن تجتنب الطرق المحرمة ، وأن يقوم العباد بواجبات الغنى المتنوعة من زكاة وصدقة ، ونحوها.

وكذلك عند حلول الفقر أمر بالصبر ، وترك التسخط ، مع السعي في طلب الرزق بأنواع المكاسب والأعمال ونهى عن الكسل المضر بالدين والدنيا . ومع أمره بالصبر وفعل الأسباب الدافعة للفقير - نهى عن ظلم الخلق في دمائهم وأعراضهم ، وأخذ حقوقهم بغير حق كما هو دأب الفقراء الذين لا دين لهم . ومن ذلك مشكلات السياسات الكبار والصغار؛ فالشيوعية تقوم على البطش والاستبداد.

أما الإسلام فقد أمر بحلها ، وذكر الطرق الموصلة إلى ذلك بفعل ما توضحت مصلحته ، وترك ما تبينت مفسدته ، والمشاورة في الأمور المشككة والمشتبهة . وبالجملة فما من مشكلة دقت أو جلت إلا وفي الشريعة الإسلامية المحضنة حلها بما تصلح به الأحوال ، وتستقيم في جميع الوجوه^(١).

٧- قواعد الأخلاق العامة: فهي ترد على دعاوي الشيوعية وتبطلها؛ فأين

الشيوعية من الصدق في الأقوال والأفعال؟ وأين هي من النصيحة والأمانة، والبر، والصلة، والقيام بحقوق الجيران، والأصحاب والمعاملين، ومن يتصل الإنسان بهم على اختلاف طبقاتهم؟.

وأين هي من العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى والنهي عن الفحشاء، والبغي على الخلق في دمائهم وأموالهم وأعراضهم؟.

وأين هي من الوفاء بالعهود، والحقوق، والعقود؟.

إنها دعوة تقوم على العداوات بين الطبقات وتأليب بعضهم على بعض.

والمجتمع الإنساني المطمئن لا يقوم إلا على التوادد والتراحم، والتآخي^(١).

ومن هنا يستحيل أن تتزكى النفوس، وتهذب الأخلاق بعلوم المادة؛ فكل إناء بما فيه ينضح، والتجارب أكبر شاهد على ذلك؛ فمع تطور علوم الملاحظة عجزوا كل العجز عن تهذيب النفوس وإصلاحها.

٨- سيرة أرباب الشيوعية: فلقد مر بنا شيء من سيرة أرباب الشيوعية وأساطينها، وما كانوا عليه من الشذوذ والفساد، والتسلط والطغيان، فكم هدموا من فضائل، وكم أقاموا من شرور وذنابل، حتى هبطوا بالبشرية إلى أسفل سافلين، فَشَقُّوا وَأَشَقُّوا، وضلوا وأضلوا؛ فماذا يرجى من مذهب هؤلاء أربابه ومُنظِّروه؟

ثم إن أكبر الدلائل على رشد الرشيد، وسفه السفه تصرفاته، ونتائج أعماله. وهذه آثار الشيوعيين تدل عليهم؛ فأين سير هؤلاء من سير الأنبياء - عليهم

١ - انظر الأدلة والقواطع والبراهين ص ٣٣٧ والإسلام والحضارة الغربية ص ١٨٤.

السلام - وأتباعهم؛ حيث هدّوا البشرية إلى كل عقيدة صالحة، وإلى كل خلق جميل، ونهوا عن ضد ذلك؛ فانتشرت الرحمة، وعم الصلاح بسبب ما جاؤوا به، بعكس الشيوعيين تماماً بتمام.

٩- كثرة الخلافات بين الشيوعيين: سواء بين أرياب الشيوعية أو بين دول المعسكر الشيوعي، مما يدل على بطلانها، وزيفها وقد مر شيء من ذلك فيما سبق.

١٠- رجوع كثير من كتاب الشيوعية عنها، واعترافهم ببطلانها:

ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في كتاب (الصنم الذي^(١) هوى) ذلك الكتاب الذي اجتمع على تأليفه - دون موعد - ستة من كبار كتاب الغرب، آمنوا بالشيوعية، ثم نفضوا أيديهم منها يوم أن انكشفت لهم حقيقتها.

وإليك نماذج من بعض ما قالوه عن الشيوعية:

أ - يقول آرثر كستلر^(٢) - بعد تجربته مع الشيوعية ودخوله فيها بعد خروجه من السجن - : «إن الدرس الذي يتعلمه الإنسان من خبرة كهذه لا يكاد الإنسان يضعه في كلمات حتى يبدو أمراً عادياً؛ لقد تعلمت أن الإنسان هو الحقيقة، أما الإنسانية فتجريد، وأن الناس لا يمكن أن يعاملوا على أنهم وحدات في عملية حساب سياسية؛ لأنهم يتصرفون كرموز الصفر، واللانهائي التي تعطل كل العمليات الرياضية، وأن الغاية لا تبرر الوسيلة إلا في حدود ضيقة إلى أبعد

١ - نقل الكتاب إلى العربية الأستاذ فؤاد حمودة المدرس بجامعة دمشق، والكتاب من

منشورات المكتب الإسلامي ط ١ - ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م.

٢ - مرت ترجمته ص ٥٢٨.

الحدود، وأن علم الأخلاق ليس شيئاً تابعاً للمنفعة الاجتماعية، وأن البرليس عاطفة بورجوازية تافهة، بل هو القوة الجاذبة التي تمسك المدنية في مدارها. لقد كان كل ما تعلمته يتناقض مع العقيدة الشيوعية التي آمنت بها»^(١).

ب - ويقول لويس فيشر^(٢) بعد تجربته مع الشيوعية: «إن تأييدي السابق للنظام السوفيتي قادمي إلى خطأ آخر حين ظننت أن نظاماً يقوم على قاعدة (الغاية تبرر الوسيلة) يمكن أن يخلق عالماً أفضل، أو إنساناً أفضل؛ إن الوسيلة الفاجرة لا تؤدي إلا إلى غاية فاجرة، وأفراد فجرة سواء في النظام البلشفي أو الرأسمالي» إلى أن قال: «إن الدكتاتورية تركز على نهر من الدماء، وبحر من الدموع، وعالم من الآلام.

وكلها نتائج لوسائلها القاسية؛ فكيف تستطيع - إذن - أن تجلب الفرح، أو الحرية، أو السلام الداخلي أو الخارجي؟

كيف يمكن للخوف، والسطوة، والأكاذيب والبؤس أن تخلق إنساناً أفضل. إن السنوات التي قضيتها مؤيداً للنظام السوفيتي علمتني أنه لا ينبغي لرجل

١ - الصنم الذي هوى ص ٨٢.

٢ - لويس فيشر: ولد في فيلادلفيا عام ١٨٩٦م واشتغل بالتدريس بضع سنوات واحترف الصحافة، و أرسلته الـ «نيويورك بوست» إلى برلين عام ١٩٢١م وبعدها قضى خمسة وعشرون عاماً متنقلاً في مهمات بين أوروبا وآسيا، ورغم أنه لم ينضم إلى الحزب الشيوعي أبداً إلا أنه أصبح نصيراً للاتحاد السوفيتي، ثم أصبح نصيراً لأسبانيا الجمهورية التي دافع عنها خلال الحرب الأهلية، ومن بين مؤلفاته (السوفيتون في الشؤون العالمية) و(الناس والسياسية) و(الخطر العظيم) و(غاندي وستالين) انظر الصنم الذي هوى ص ٢٣٨.

يجب البشرية ويجب السلام أن يؤيد الدكتاتورية»^(١).

ج - وهذا ستيفن^(٢) سبندر يقول بعد انفصاله عن الحزب الشيوعي: «إن الشيوعية هي الإيمان بأن في الإمكان تغيير المجتمع عن طريق تحويل الرجال إلى آلات تقوم هي بتغيير المجتمع»^(٣).
وهكذا يتبين لنا بطلان الشيوعية جملة وتفصيلاً.

١ - الصنم الذي هوى ص ٢٧٧.

٢ - ستيفن سبندر ولد في عام ١٩٠٩م وأبوه الكاتب إدوارد هارولد سبندر، وقد تعلم في «سويسرا» فترة ثم في «أكسفورد»، حيث بدأ بالاشتراك مع «ديا ليسو» و«أودن» بكتابة الشعر، وبعد ذلك اشتغل بالحركة السياسية، ونشر كتاب خطوة وراء مذهب الأحرار في عام ١٩٣٧م ثم انضم بعد ذلك إلى الحزب الشيوعي لفترة قصيرة، انظر الصنم الذي هوى ص ٢٨٢.

٣ - الصنم الذي هوى ص ٣٣٣.

ثانياً: حكم الانتماء إلى الشيوعية - فتوى المجمع الفقهي :-

وبعد أن تبين لنا أن الشيوعية مذهب كفري باطل، بل يعد أخطر المذاهب الكفرية على مدار التاريخ- نأتي إلى حكم الانتماء إلى ذلك المذهب من خلال فتوى المجمع الفقهي الإسلامي، فلقد عرض موضوع الشيوعية على مجلس المجمع في دورته الأولى المنعقدة في ١٠-١٧/٨/١٣٩٨هـ.

وبعد أن استعرض المجلس ذلك الموضوع أصدر فيه قراراً بيّن فيه حكم الشيوعية والانتماء إليها، وهذا نصه^(١) :

الحمد لله، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن مجلس المجمع الفقهي درس فيما درسه من أمور خطيرة (موضوع الشيوعية والاشتراكية) وما يتعرض له العالم الإسلامي من مشكلات الغزو الفكري على صعيد كيان الدول، وعلى صعيد نشأة الأفراد وعقائدهم، وما يتعرض له تلك الدول والشعوب معاً من أخطار تترتب على عدم التنبه إلى مخاطر هذا الغزو الخطير.

ولقد رأى المجمع الفقهي أن كثيراً من الدول في العالم الإسلامي تعاني فراغاً فكرياً، وعقائدياً خاصة أن هذه الأفكار والعقائد المستوردة قد أُعدت بطريقة نفذت إلى المجتمعات الإسلامية، وأحدثت فيها خللاً في العقائد، وانحلالاً في التفكير والسلوك، وتحتيماً للقيم الإنسانية، وزعزعة لكل مقومات الخير في المجتمع. وإنه ل يبدو واضحاً جلياً أن الدول الكبرى على اختلاف نظمها واتجاهها قد

حاولت جاهدة تمزيق شمل كل دولة تنتسب للإسلام؛ عداوة له، وخوفاً من امتداده، ويقظة أهله.

لذا ركزت جميع الدول المعادية للإسلام على أمرين مهمين: هما العقائد والأخلاق؛ ففي ميدان العقائد شجعت كل من يعتقد المبدأ الشيوعي المعبر عنه مبدئياً عند كثيرين بالاشتراكية، فوجدت له الإذاعات والصحف، والدعايات البراقة والكتّاب المأجورين، وسمّته حيناً بالحرية، وحيناً بالتقدمية، وحيناً بالديمقراطية، وغير ذلك من الألفاظ.

وسمّت كل ما يصاد ذلك من إصلاحات ومحافظات على القيم والمثل السامية والتعاليم الإسلامية - رجعية، وتأخراً وانتهازية، ونحو ذلك.

وفي ميدان الأخلاق دعت إلى الإباحية، واختلاط الجنسين، وسمت ذلك - أيضاً - تقدماً، وحرية، فهي تعرف تمام المعرفة أنها متى قضت على الدين والأخلاق فقد تمكنت من السيطرة الفكرية والمادية والسياسية.

وإذا ما تم ذلك لها تمكنت من السيطرة التامة على جميع مقومات الخير والإصلاح، وصرفتها كما تشاء، فانبثق ذلك الصراع الفكري، والعقائدي والسياسي، وقامت بتقوية الجانب الموالي لها، وأمدته بالمال، والسلاح والدعاية؛ حتى يتمركز في مجتمعه، ويسيطر على الحكم، ثم لا تسأل عما يحدث بعد ذلك من تقتيل وتشريد، وكبت للحرريات، وسجن لكل ذي دين، أو خلق كريم.

ولهذا لما كان الغزو الشيوعي قد اجتاح دولاً إسلامية لم تتحصن بمقوماتها

الدينية والأخلاقية تجاهه ، وكان على المجمع الفقهي في حدود اختصاصه العلمي والديني أن ينبه إلى المخاطر ، والتي تترتب على هذا الغزو الفكري ، والعقائدي والسياسي الخطير الذي يتم بمختلف الوسائل الإعلامية والعسكرية وغيرها - فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي المنعقد في مكة المكرمة يقرر ما يلي :

يرى مجلس المجمع لفت نظر دول وشعوب العالم الإسلامي إلى أنه من المسلم به يقيناً أن الشيوعية منافية للإسلام ، وأن اعتناقها كفر بالدين الذي ارتضاه الله لعباده ، وهي هدم للمثل الإنسانية ، والقيم الأخلاقية ، والانحلال للمجتمعات البشرية.

والشريعة المحمدية هي خاتمة الأديان السماوية ، وقد أنزلت من لدن حكيم حميد؛ لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ، وهي نظام كامل للدولة سياسياً ، واجتماعياً ، وثقافياً ، واقتصادياً ، وستظل هي المعول عليها - بإذن الله - للتخلص من جميع الشرور التي مزقت المسلمين ، وفتت وحدتهم ، وفرقت شملهم ، سيما في المجتمعات التي عرفت الإسلام ، ثم جعلته وراءها ظهرياً.

لهذا وغيره كان الإسلام بالذات هو محل هجوم عنيف من الغزو الشيوعي الاشتراكي الخطير؛ بقصد القضاء على مبادئه ، ومثله ، ودوله.

لذا فإن المجلس يوصي الدول والشعوب الإسلامية أن تتنبه إلى وجوب مكافحة هذا الخطر الداهم بالوسائل المختلفة ، ومنها الأمور الآتية :

١- إعادة النظر بأقصى السرعة في جميع برامج ومناهج التعليم المطبقة حالياً فيها بعد أن ثبت أنه قد تسرب إلى بعض هذه البرامج والمناهج أفكار الحادية

وشيوعية مسمومة مدموسة تحارب الدول الإسلامية في عقر دارها، وعلى يد نفر من أبنائها من معلمين، ومؤلفين، وغيرهم.

٢- إعادة النظر بأقصى السرعة في جميع الأجهزة في الدول الإسلامية، وبخاصة في دوائر الإعلام والاقتصاد والتجارة الداخلية، والخارجية وأجهزة الإدارات المحلية من أجل تنقيتها وتقويمها، ووضع أسسها على القواعد الإسلامية الصحيحة التي تعمل على حفظ كيان الدول والشعوب، وإنقاذ المجتمعات من الحقد، والبغضاء وتنشر بينهم روح الأخوة، والتعاون، والصفاء.

٣- الإهابة بالدول والشعوب الإسلامية أن تعمل على إعداد مدارس متخصصة، وتكوين دعاة أمناء؛ من أجل الاستعداد لمحاربة هذا الغزو بشتى صورته، ومقابلته بدراسات عميقة ميسرة لكل راغب بالاطلاع على حقيقة الغزو الأجنبي ومخاطره من جهة، وعلى حقائق الإسلام وكنوزه من جهة أخرى.

ومن ثم فإن هذه المدارس، وأولئك الدعاة كلما تكاثروا في أي بلد إسلامي يرجى أن يقضوا على هذه الأفكار المنحرفة الغربية.

وبذلك يقوم صف علمي عملي منظم واقعي؛ من أجل التحصن ضد جميع التيارات التي تستهدف هذه البقية من مقومات الإسلام في نفوس الناس.

كما يهيب المجلس بعلماء المسلمين في كل مكان، وبالمنظمات والهيئات الإسلامية في العالم أن يقوموا بمحاربة هذه الأفكار الإلحادية الخطيرة التي تستهدف دينهم، وعقائدهم، وشريعتهم، وتريد القضاء عليهم وعلى أوطانهم وأن يوضحوا للناس حقيقة الاشتراكية، والشيوعية، وأنها حرب على الإسلام.

والله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

الرئيس / عبد الله بن محمد بن حميد .

نائب الرئيس / محمد بن علي الحرکان .

الأعضاء :

- ١- عبد العزيز بن عبد الله بن باز .
- ٢- محمد محمود الصواف .
- ٣- صالح بن عثيمين .
- ٤- محمد بن عبد الله بن سبيل .
- ٥- محمد رشيد قباني .
- ٦- مصطفى الزرقاء .
- ٧- محمد رشيدي .
- ٨- عبد القدوس الهاشمي الندوي .
- ٩- أبو بكر جومي .

خلاصة البحث

وفي نهاية الحديث عن الشيوعية خلال ما مضى من صفحات - هذا ملخص لأهم ما جاء في تلك الصفحات :

١- كلمة الشيوعية في اللغة نسبة إلى الشيوع، وهي مأخوذة من مادة شيع، وهذه المادة تدور حول عدة معانٍ، فتطلق على الظهور والانتشار والذبوع، والعموم، والشراكة والتفرق، والافتراق.

٢- الشيوعية في الاصطلاح العام: نظام يقوم على إلغاء الملكية الفردية، وعلى حق الناس في الاشتراك في المال، والنساء، وسائر المكتسبات والثروات.

٣- الشيوعية فكرة قديمة ظهرت في التاريخ أكثر من مرة على اختلاف في تطبيقها، والدعوة إليها؛ فلقد دعا أفلاطون إلى شيوعية المال والنساء، وقال بالشيوعية مزدك حيث دعا إلى اشتراك الناس بالمال والنساء، وتسمى حركته المزدكية، كما دعا إلى الشيوعية القرامطة الباطنية حيث دعوا إلى الإباحية والاشتراك في النساء، ثم توالى الدعوات على أيدي بعض الأفراد من الكتاب إلى أن ظهرت الشيوعية الماركسية الحديثة.

٤- الشيوعية الماركسية حركة يهودية أسسها كارل ماركس في القرن التاسع عشر الميلادي وطبقها من جاء بعده من زعماء الشيوعية، وتقوم على الإلحاد، وإلغاء الملكية الفردية، وتنظر إلى الحياة من منظور مادي، وتسعى إلى تحقيق أهدافها بالحديد والنار، وبكل ما أوتيت من وسائل.

٥- من أشهر شخصيات الماركسية كارل ماركس، وفريدريك إنجلز، ولينين،

وستالين، وتروتسكي، وخروتشوف، وبريجنيف، وأندريوف، وجورباتشوف، الذي انهارت على يده الشيوعية.

٦- قامت الشيوعية لأسباب عديدة، منها ما يتعلق بالمجتمع الذي نشأت فيه، ومنها ما يعود إلى شخصية مؤسسيها، ومنها أسباب خارجة أخرى.

٧- من أسباب قيام الشيوعية: الطغيان الكنسي، ومظالم النظام الرأسمالي، والخواء الروحي، والمكر اليهودي، والجهل بدين الإسلام، والهالة الإعلامية للشيوعية.

٨- الشيوعية تنتشر في أماكن كثيرة من العالم سواء على مستوى الأفراد أو على مستوى الدول.

٩- تقوم الشيوعية على معتقدات باطلة، وأصول وأسس واهية، لا يقرها عقل صحيح، ولا فطرة سليمة، فضلاً عن النقل الصحيح.

١٠- أخلاق الشيوعية تقوم على المصالح؛ فالغاية تسوغ الوسيلة لديهم.

١١- من أخلاقهم المنحطة: البطش، والجبروت والخيانة، والغدر، والظلم، والتفنن في التعذيب، والتعطش لسفك الدماء.

١٢- قامت الشيوعية لأهداف متعددة أهمها خدمة المصالح اليهودية، ونشر الإلحاد، وبت الإباحية، والقضاء على الحياة الأسرية، ومعارضة الملكية الفردية.

١٣- للشيوعية وسائل متعددة متنوعة توصلوا من خلالها إلى تحقيق أهدافهم.

١٤- الشيوعية تقف ضد الإسلام، وتعاديه أشد المعادة، ولها طرق عديدة في

حرب الإسلام وأهله، بهدف القضاء المبرم على الإسلام، أو الحد من انتشاره.

١٥- قامت الشيوعية بأعمال فظيعة، ومجازر رهيبة، وحصل للمسلمين بسببهم نكبات عديدة.

١٦- تسللت الشيوعية إلى بلاد المسلمين واعتنقها ودعا إليها فثام من المسلمين بسبب الدعاية القوية، وانحراف كثير من المسلمين عن دينهم، وتقصيرهم في الدعوة إليه، والجهاد في سبيل الله، وبسبب الهزيمة النفسية، وكثرة الخلافات، وانتشار البدع والخرافات، وبسبب سقوط الخلافة الإسلامية، وخيانة العملاء، وتركيز الغرب على إفساد المرأة والتعليم والإعلام في بلاد الإسلام إلى غير ذلك من الأسباب.

١٧- لما قامت الشيوعية أسفرت عن وجهها الكالح، فلم تطبق ما دعت إليه من العدل والمساواة، وغير ذلك، وإنما كانت دعاوهم مجرد شعارات براءة يخدعون بها السذج؛ فلقد وقعوا في الطبقية، والتسلط، والاستبداد.

١٨- عاش المجتمع الشيوعي بعد التطبيق عيشة الخوف والرعب؛ حيث التجسس والرقابة الصارمة، وغياب شمس الحرية، وإهدار كرامة المرأة، وتخبط نظام الأسرة.

١٩- للإلحاد آثار وبيلة منها القلق، والأنانية، وحب الجريمة، والانطلاق في الإباحية.

٢٠- لقد أخفقت الشيوعية في التطبيق وقادت البشرية إلى ويلات إثر ويلات، ونزلت بالمستوى البشري إلى أحط الدرجات.

٢١- وبعد ذلك سقطت الشيوعية وهوت من عليائها.

- ٢٢- لم يكن سقوط الشيوعية مفاجأة لمن سبر أغوارها، وعرف أطوارها.
- ٢٣- فساد الشيوعية يغني عن إفسادها، وتصورها كافٍ في الرد عليها، وأدلة الشرع، والفطرة، والواقع تنقض مبادئ الشيوعية.
- ٢٤- الشيوعية مذهب فكري منافٍ للإسلام، واعتناقها كفر بالله، وبالدين الذي ارتضاه لعباده.
- هذا ملخص لأهم ما جاء في هذا البحث.

الغاية

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وبعد :

فلما تبين بطلان الشيوعية ومدى ما أحدثته من بلايا ، وما جرته على البشرية من رزايا - يتجلى لنا مدى حاجة البشرية ، بل ضرورتها إلى الدين الحق ، والمنهج القويم ، الذي يكفل لها السير على طريق مستقيمة واضحة ، تجد فيها السعادة ، وتحقق الراحة .

ولا ريب أن ذلك لا يوجد إلا في الإسلام الذي أكمله الله وارتضاه لعباده؛ فلن تجد البشرية الراحة ، ولن تتحقق لها السعادة إلا بالأخذ به ، وتطبيقه على جميع مناحي الحياة .

ومما يؤكد ذلك ويبرهن عليه - ما خص الله به دين الإسلام من الخصائص التي لا توجد في دين أو مذهب غيره .

ومن تلك الخصائص التي تثبت تميز الإسلام ، وتفرده ، ومدى حاجة البشرية إليه ما يلي :

١- أنه جاء من عند الله ، والله - عز وجل - أعلم بما يصلح عباده ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك : ١٤) .

٢- أنه يبين للإنسان بدايته ، ونهايته ، والغاية التي خلق من أجلها ، قال -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ (النساء : ١) .

وقال: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ (طه: ٥٥).

وقال: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات: ٥٦).

٣- أنه دين الفطرة، فلا يتنافى معها، قال - تعالى - : ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ

النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ (الروم: ٣٠).

قال العلماء فطرة الله: دين الإسلام^(١).

٤- أنه دين العدل والأخوة الصادقة، فلا ظلم فيه، ولا عنصرية ولا طبقية،

ولا تعصب للون، أو جنس، أو عرق ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ ﴾

(الحجرات: ١٣).

٥- أنه يعترف بالعقل ويدعو لإعماله، وفي الوقت نفسه يضع له غاية يقف

عندها؛ حتى لا يتيه فيما لا طاقة له به.

٦- أنه يعترف بالعواطف الإنسانية ويوجهها الوجهة الصحيحة.

٧- أنه لا ينافي العلم الصحيح، بل يأمر به، ويحث عليه.

٨- أنه يلبي حاجات الإنسان ويجمع بين مطالب الروح، والعقل، والجسد.

٩- أن الله تكفل لمن أخذ به بالسعادة والعزة والنصر، والتمكين فرداً كان أو

جماعة، قال - تعالى - : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ

حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (النحل: ٩٧).

وقال: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (المنافقون: ٨)، وقال: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ

رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ (غافر: ٥١).

١ - انظر شفاء العليل ص ٥٧٣، وانظر درء تعارض العقل والنقل ٨/٣٧٦.

وقال: ﴿وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (الصفات: ١٧٣).

١٠- أن فيه حلاً لجميع المشكلات، قال - تعالى -: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ

شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ٣٨).

١١- اشتمال شريعة الإسلام بنصوصها وأصولها على أحكام ما لا يتناهى من

الوقائع.

١٢- أن شريعته أحكم ما تساس به الأمم، وأصلح ما يقضى به عند التباس

المصالح، أو التنازع في الحقوق.

١٣- عموم الإسلام وصلاحه لكل زمان، ومكان، وأمة، بل لا تصلح

الأحوال إلا به.

١٤- أنه دين المحبة، والاجتماع، والألفة والرحمة.

١٥- أنه دين العمل، والجد، والحزم.

١٦- أنه أبعد ما يكون عن التناقض ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ

اِخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢).

١٧- أنه يحمي معتنقيه من الفوضى، والضياح والتخبط، ويكفل لهم الراحة

النفسية والفكرية.

١٨- أنه يزكي العلوم والعقول، والنفوس والأخلاق.

وبالجملة فهو دين الكمال والرفعة، ودين الهداية والسمو؛ فهو يهدي العقول

إلى ما تغفل أو تقصر عنه من وجوه الإصلاح، وهو الذي يقوي عزم الإنسان

على القيام بالأعمال الجليلة، ويحثه على أن يتحرى بأعماله غاية ما يستطيع من

الاتقان.

وإذا رأينا من المنتمين إليه، وهناً في العزم، أو صغراً في الهمة، أو انحرافاً عن سواء السبيل - فالدين بريء من تبعة هذه النقائص، وإنما تبعتها على أصحابها. ورحم الله الشيخ العلامة محمد البشير الإبراهيمي إذ يقول: «إنما مكنت للإسلام طبيعته ويسره، ولطف مدخله على النفوس، وملاءمته للفطر والأذواق، والعقول. ولو بقي الإسلام على روحانيته القوية، ونورانيته المشرقة، ولو لم يفسده أهله بما أدخلوه عليه من بدع، وشانوه به من ضلال - لطبَّق الخافقين، ولجمع أبناءه على القوة والعزة، والسيادة حتى يملكوا به الكون كله»^(١).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وسلام على المرسلين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وكان الفراغ من هذا الكتاب يوم السبت ١٩/٨/١٤١٢هـ ثم أعيد النظر فيه مرة أخرى يوم الأربعاء ٨/٩/١٤١٨هـ ثم أعيد النظر فيه ثالثة يوم الأربعاء ٢٢/٨/١٤٢٢هـ.

الرسالة الثالثة

الوجودية

المُقَدِّمَة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن
والاه، أما بعد:

فإن (الوجودية) مذهب إلحادي، وتيار فلسفي إباضي، يقوم على فكرة خادعة،
تتمثل في إعلاء قيمة الفرد، وإثبات وجوده.

على أن الوجوديين مختلفون في كيفية ذلك؛ فَمِنْ قائل منهم: إن الفرد يثبت وجوده
من خلال إطلاق العنان للشهوات دون مبالاة بعرف، أو دين، أو خلق.

ومن قائل: إن ذلك يتم بمواجهة المخاوف والأخطار، والتعرض للمحن
والقلاقل، إلى غير ذلك مما سيأتي بيانه.

وبما أن الوجودية مذهب قائم، وله آراؤه، ودعائه ومفكروه، وبما أن الكتابة فيه
بشكل ميسر قليلة جداً - رغبت في تقديم هذه النبذة عن الوجودية، والتي تتمثل في
المطالب التالية:

المطلب الأول: مفهوم الوجدانية

المطلب الثاني: نشأة الوجودية

المطلب الثالث: أبرز الشخصيات الوجودية

المطلب الرابع: أهداف الوجودية، وأسباب قيامها

المطلب الخامس: الوجودية في بلاد الإسلام

المطلب السادس: أفكار الوجودية وآراؤها

المطلب السابع: بطلان الوجودية

الخاتمة: حكم الوجودية، والانتماء إليها

المطلب الأول: مفهوم الوجودية ونشأتها

أولاً: تعريف الوجودية: عُرِّفت الوجودية بعدة تعريفات، وتلك التعريفات متقاربة، ويُقصدُ بالوجودية في هذا المقام الوجودية عند سارتر.

ومن تلك التعريفات ما يلي:

١- قيل: هي «مذهب فلسفي يقوم على دعوة خادعة، وهي أن يجد الإنسان نفسه، ومعنى ذلك عندهم أن يتحلل من القيم وينطلق لتحقيق رغباته وشهواته بلا قيد»^(١).

٢- وقال عنها العقاد: «إباحية سافرة لا فرق بين من يتعاطونها وبين سائر الإباحيين في كل زمن»^(٢).

٣- وقيل: هي «تيار فلسفي يعلي من قيمة الإنسان، ويؤكد على تفرد، وأنه صاحب تفكير، وحرية وإرادة، واختيار، ولا يحتاج إلى موجه».

وهو جملة من الاتجاهات والأفكار المتباينة، وليس نظرية فلسفية واضحة المعالم»^(٣).

٤- ويقول الدكتور عبدالرحمن عميرة: «الوجودية عند سارتر هي طاعة النفس، والوجودي في مذهبه هو الذي لا يقبل توجيهاً يأتي إليه من الخارج»^(٤).

١ - الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة - العقل والفقاري ص ١١٦.

٢ - المرجع السابق ص ١١٦.

٣ - الموسوعة الميسرة ص ٥٤٣.

٤ - المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها د. عبدالرحمن عميرة ص ٢١١.

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أنها دعوة إلى إبراز قيمة الوجود الفردي، وإلى أن يهتدي الإنسان إلى وجوده بنفسه، فهي تدعو الإنسان إلى التفرد بسلوكه، وحياته بعيداً عن الصلة بالله - سبحانه وتعالى - بل إنها لا تعترف بإله يدبر الكون.

ثانياً: سبب التسمية: اختلف في سبب تسمية الوجودية بهذا الاسم؛ فقيل أطلق عليها هذا الاسم؛ لأنهم يعدُّون وجود الإنسان مقدماً على ماهيته فهم يقولون: إن الوجود مقدم على الماهية، وهذا اصطلاح فلسفي عندهم معناه: أن الوجود الحقيقي هو وجود الأفراد، أما النوع فهو اسم لا وجود له في الخارج^(١).
فمثلاً زيد، وإبراهيم، وخالد، وفلان، وعلان، هؤلاء موجودون حقيقيون لاشك في وجودهم، ولكن الإنسان أو النوع الإنساني كلمة لا حقيقة لها في الخارج كما يزعمون^(٢).

وهذا لم يقل به أحد قبل هؤلاء.

وقيل: «لأنهم يرون أن وجود الكائن لذاته أهم من كونه واحداً من نوع متعدد الآحاد»^(٣).

يقول الدكتور عبدالرحمن عميرة عن ذلك: «إن كلا الاحتمالين وارد في التسمية؛ فهي وجودية؛ لاهتمامها بوجود الإنسان، وهي دعوة إلى التفرد:

١ - في الخارج: أي خارج الذهن.

٢ - انظر الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة للعقل والقفاري ص ١١٦.

٣ - انظر المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها ص ٤٠٧.

تفرد الإنسان في سلوكه، وفي حياته؛ حتى لا يصبح - في نظرهم - كماً مهملاً لا يُعبأ به، كما حدث في النظرية الشيوعية التي تهمل الفرد في سبيل المجموع، ولا تنظر إليه إلا كما تنظر إلى قطع غيار من ماكينة من الماكينات، كلما أصابه عطب أو تلف ألفت به، واستبدلت به آخر^(١).

ثالثاً: أسماء الوجودية وأوصافها الأخرى:

للوجودية أسماء كثيرة، وأشهرها هو:

- ١- الوجودية.
- ٢- فلسفة العدم.
- ٣- فلسفة التفرد.
- ٤- الفلسفة الانحلالية.

وأما أوصافها فقد وصفت بأنها:

- ١- مرض العصر
- ٢- مرض الإنسان في منتصف القرن العشرين.

رابعاً: أنواع الوجودية:

ليست الوجودية وجوديةً واحدةً، بل هي وجوديات متعددة كثيرة متباينة. «وربما تناقض الفيلسوفان الوجوديان في العصر الواحد، والبلد الواحد؛ فلكل فيلسوف صياغة معينة لفلسفة الوجودية، ويتفق الجميع في الاهتمام بأن يجد الفرد نفسه، ويختلفون في الطريقة التي يقرر بها الفرد وجوده»^(٢).

فبعضهم يرى أن الوجودية لا تتحقق إلا عن طريق اليقظة العاطفية، وصحوة

١- المرجع السابق.

٢- الموجز في الأديان والمذاهب، للعقل والفقاري ص ١١٨.

الضمير، أو بضربات التجارب، وهذه هي وجهة نظر (كير كجورد)^(١).
 أما (سارتر) فيرى أنها لا تتحقق إلا إذا أطلق الإنسان لنفسه الرغبات والشهوات
 بحيث يفعل ما يشاء ويترك ما يشاء دون مبالاة بعرف أو دين^(٢).
 وأما (كاموس) فيرى أن تحقق وجود الفرد يكون بمواجهة المخاوف والأخطار،
 والتعرض للقلق والمحن.
 وعند آخر^(٣) من الوجوديين: يتحقق وجود الفرد إذا اتصل بالوجود الأعظم
 - وجود الإله - أو وجود الكارما في عرف البراهميين^(٤).

١ - هو سورين كير كجورد أو كجارر، عاش ما بين ١٨١٣-١٨٥٥م فيلسوف داتماركي
 نصراني، كتب بحثاً خرج بها عن المؤلف، فاختلف مع الكنيسة، كان يعتقد أنه ينبغي للإنسان أن
 يلتمس المعرفة الحققة من داخل نفسه، وأن المثقف إنما يعاني بسبب التعارض بين الوجود الفردي
 المؤقت من جهة والحقيقة الأبدية من جهة أخرى، وهو من رواد المذهب المعاصر. من أشهر كتبه «إما
 أو»، و«مراحل طريق الحياة». انظر كواشف زيوف، عبدالرحمن الميداني ص ٣٦١.
 ٢ - انظر تهافت العلمانية د. عماد الدين خليل ص ٨٧. وانظر مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب
 ص ٤٩٢.

٣ - انظر المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها ص ٢١٠.

٤ - البراهميون أو البرهميون: هم الذين يتسبون إلى البرهمية، وهي ديانة الهندوس في الهند،
 وهي تنسب إلى براهما الذين يزعمون أنه الروح العليا الخالدة للكون، وأنه موجد العالم، وبراهما هو
 أكبر الألهة الثلاثة التي يعبدونها، والآخران هما: سيفا الإله المخرب، ويشنو: الذي حل بال مخلوقات.
 انظر مقارنات الأديان: الديانات القديمة للشيخ محمد أبو زهرة ص ٢٣-٢٩، والديانات والعقائد لأحمد
 عبدالغفور عطار ص ٣٣١-٣٣٣، والفكر الشرقي القديم، جون كولر، ترجمة كامل يوسف حسين،
 ص ١٤٥، وتاريخ الأديان دراسة وصفية، د. محمد خليفة حسن، ص ٧١-٨٤ و ٩٠-٩١.

المطلب الثاني: نشأة الوجودية^(١)

الوجودية رأياً فلسفياً قديماً، والتفكير فيها كان قديماً عبر العصور الغابرة الممتدة في رحاب الزمن، فكانت في حياة البشرية يقظات وجودية، تهتف بأن الإنسان هو المشكلة الأساسية التي يجب أن يكون له أولوية الصدارة في الفكر الإنساني، وأن هذا الفكر يخطئ خطأ كبيراً عندما يمنح الأولوية في بحثه للفكرة المجردة، أو لبيان وجود العالم وتعليقه، كما حدث في دولة اليونان قديماً، وفي إبان عصر النهضة في أوروبا حديثاً.

ومن أول هذه اليقظات الوجودية ما ينسب إلى سقراط؛ وذلك بمعارضته فلاسفة اليونان ممن كانوا يوجهون جُل اهتمامهم في البحث عن أصل المادة، أو في طبيعة الكون؛ حيث قعد لهم قاعدته المشهورة عندما قال: اعرف نفسك؛ فوجّه الدراسات الفلسفية وجهة جديدة تبحث في الإنسان، وحوّل الفلسفة إلى دراسة الأخلاق والسياسة، واهتم بالمدركات العقلية.

ومن بعد سقراط كان (الرواقيون)^(٢) الذين فرضوا سيادة النفس، ومواجهة

١ - انظر المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها ص ٢١٥-٢٢٠، وانظر نحو بناء منهج البدائل الإسلامية لأنور الجندي ص ٢٥٣-٢٥٩.

٢ - الرواقيون أو الرواقية: من الفلاسفة اليونانيين، الذين جاءوا على طور جديد من أطوار الفلسفة اليونانية، وسُموا بذلك لأنهم يسكنون الأروقة، ومؤسس مذهب الرواقية هو زينون الرواقي (عاش بين ٣٣٦-٢٦٤ ق م) وله اتباع يونانيون، ورومانيون، وأهم مبادئ الرواقية: أن الفلسفة الحقيقية هي الفلسفة العلمية، وقالوا: ليس في الوجود غير المادة، ولذلك قالوا بوحدة الوجود، وكل شيء عندهم مادي حتى المعرفة والعقل والإله، وقد شبهوا الفلسفة بالكاكن الحي؛ فقالوا: العظام والأعصاب: المنطق، واللحم: الأخلاق، والنفس: هي الطبيعة.

ويرون أن الغرض من الفلسفة: دراسة كُنه الأشياء، والنفاز إلى جوهرها. انظر خريف - الفكر اليوناني ص ١٠-١٥ لعبدالرحمن بدوي، وتاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم ص ٢٢٣-٢٣٣، ومشكلة الفلسفة د. إبراهيم زكريا، وانظر القضاء والقدر د. عبدالرحمن المحمود ص ٧٦.

المصير على الإنسان الإغريقي الذي تجلد لتلاعب (السوفسطائيين)^(١) ولن يتراجع عن ما وطن نفسه عليه من البحث عن طبيعة النفس أمام المجادلات العقلية التي لا تكاد تكل أو تمل.

ولقد جاءت الرسائل السماوية التي كرمت الإنسان، ووضعت له منهج حياته، وأوقفته على حقيقة ذاته، فانصرفت البشرية إلى شرع الله، تهذب به سلوكها، وتنظم به حياتها، إلا من صد عن ذلك السبيل.

ولما جاء الإسلام وجدت البشرية في كتابه (القرآن) منهجاً متكاملأ عن النفس وطبائعها، والنفس وخصائصها، والنفس المطمئنة، والنفس المؤمنة، والنفس اللوامة، والنفس الأوابة، والنفس الأمانة بالسوء، ولم يهمل الإسلام العلاج إذا مرضت.

قال الله - عز وجل - : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨)﴾ (الشمس).

وقال : ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨)﴾ (الفجر).

١ - السفسطة: هي قياس مركب من الوهميات، والغرض منه تغليب الخصم، وإسكاته، ويراد بالسفسطة التمويه، والخذاع، والمغالطة في الكلام، وهي لفظ معرَّب مركب في اليونانية من «سوفيا» وهي الحكمة ومن «أسطس» وهي الموه؛ فمعناه: حكمة موهمة، ومؤرخو الفلسفة اليونانية يكتبون عن السوفسطائيين، وهم أناس عرفوا بهذه المهنة التي ازدهرت في النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد. انظر تلييس الجهمية لابن تيمية ٣٢٢/١-٣٢٤، والتلمرية لابن تيمية ص ١٩، والتعريفات للجرجاني ص ١٢٤، وإحصاء العلوم للفارابي ص ٨١، وتاريخ الفلسفة ليوسف كرم ص ٤٥.

وقال: ﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ (٢)﴾ (القيامة).
 وقال - على لسان امرأة العزيز -: ﴿وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا
 مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ (يوسف: ٥٣).

والنفس - كما يقرر الإمام ابن القيم رحمته الله -: «قد تكون تارة أمارة، وتارة
 لوامة، وتارة مطمئنة.

بل في اليوم الواحد، والساعة الواحدة يحصل منها هذا وهذا، والحكم للغالب
 من أحوالها؛ فكونها مطمئنة وصف مدح لها، وكونها أمارة بالسوء وصف ذم لها،
 وكونها لوامة ينقسم إلى المدح والذم بحسب ما تلوم عليه»^(١).

ويقرر رحمته الله: «أن النفس إذا سكنت إلى الله، واطمأنت بذكره، وأتابت إليه،
 واشتأقت إلى لقاءه، وأنست بقربه - فهي مطمئنة»^(٢).

ولكن هذا لا يمنع من ضلال بعض البشر، ونفورهم من هدي الشرائع؛ حيث
 تظهر بين الفينة والأخرى دعواتٌ إلى التفلت والانحلال؛ فمرة تحمل اسم المانوية^(٣)
 وتدعو الناس إلى الرهبة والخلاص من هذه الدنيا، وتدين بالولاء للإلهين،

١ - إغاثة اللهفان لابن القيم ص ٨٦.

٢ - إغاثة اللهفان ص ٨٤.

٣ - المانوية: إحدى فرق الثنوية، وهم أصحاب ماني بن فاتك، الذي ظهر زمن سابور ابن أردشير، وقال:
 إن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين النور والظلمة وأنهما أزليان، وأنكر وجود شيء إلا من أصل قديم،
 وزعم أنهما لم يزالا بين قوين، حساسين، دراكين، سميعين، بصيرين، وهما - مع ذلك - في النفس
 والصورة، والفعل والتدبير متضادان متحاذيان تحاذي الشخص والظل. انظر الملل والنحل للشهرستاني
 ٢٤٤/١، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص ٢٤-٢٦ تحقيق الشيخ أحمد شاکر.

وتصدق ببعض الرسل وتكفر ببعضهم الآخر، ومرة باسم المزدكية^(١)، ومرة باسم الباطنية^(٢)، إلى غيرها من الدعاوى الهدامة.

حتى أتى عصر النهضة وتخلص فيه رجال الفكر من سلطان الكنيسة، وتحرروا من ريقه الدين - أيضاً - وجاء بعض المفكرين كديكارت^(٣) حيث جاء ليرفع قيمة العقل، ويقوض سلطان الكنيسة، ويطالب بتحكيم المنطق، ويرفض زيف المزيفين.

ثم جاء (بسكال) ورفض أصول المذهب الديكارتي الذي عني فيه بالعلم، ولم يهتم بمصير الإنسان وحياته وموته إلا قليلاً.

ويمكن الجزم بأن (بسكال) هو الذي رسم طريق الوجودية الحديثة، وخطط معالمها، ووضع الخطوط العريضة لهياكل نماذجها.

ثم جاء (سورين كيركجورد) الذي يعده رجال الفكر في الغرب الأب الرسمي لمدرسة الوجودية.

وقد كان متأثراً بالمبادئ النصرانية وعلى الأخص البروتستانتية، ولكنه مع هذا

١ - المزدكية: هي حركة ظهرت عام ٤٨٧م في بلاد فارس على يد رجل اسمه مُزْدَك حيث دعا إلى الشيوعية، واشترك الناس في الأموال والنساء وتسمى حركته بالمزدكية. انظر الملل والنحل ١/٢٤٩-٢٥٠

٢ - الباطنية: هم الذين جعلوا لكل ظاهر باطناً، ولكل تنزيل تأويلاً ويذكر المؤرخون لهم ألقاباً كثيرة تدل على أنهم يدرجون تحت وصف الباطنية، ومن الفرق التي قالت بالتأويل الباطني: النصيرية والقرامطة، وغيرهم. انظر التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق د. محمد بن عودة السعودي ص ١٤.

٣ - رينيه ديكارت من فلاسفة القرن السابع عشر «١٥٥٦-١٦٥٠» فرنسي وعالم رياضي، وابتكر الهندسة التحليلية ثم حاول تطبيق المنهج الرياضي على الفلسفة، وأقام فلسفته على الشك المنهجي. انظر كواشف زيوف ص ٣٦٥.

ظل مجهولاً نحو مائة سنة؛ إذ لم تُترجم آراؤه إلى الألمانية إلا في أوائل القرن العشرين، ولم يعرف في فرنسا إلا في عصر الاضطراب الذي حدث في الحربين العالميتين، ومن ثم تضافرت آراؤه مع كوارث الحرب، وآثارها في النفوس على ترعرع الوجودية وتفتيحها، خصوصاً في ألمانيا وفرنسا.

وفي روسيا ظهر (بيرديايف) و(شيستوف) و(سولوفيف) حيث ارتموا في أحضان الوجودية لأسباب منها: تحكُّمُ البابوية، وفرضُ الآراء التي لا تتفق مع العقل، إلى غير ذلك.

ثم جاء بعد ذلك (جان بول سارتر) الذي يعد زعيم الوجودية في العصر الحديث، وهو أكثر الوجوديين شهرة ودعاية، فهو القدوة للمخدوعين بهذا الاتجاه.

ولو استعرضنا حياة بعض رجال الوجودية لو جدنا أن العامل الأساس لاندفاعهم في هذا الطريق هو تحكُّم رجال الكنيسة وطغيانهم.

المطلب الثالث: أبرز الشخصيات الوجودية

مر بنا ذكر لبعض الشخصيات الوجودية البارزة، بيد أن أبرز هؤلاء هو ذلك الرجل الذي سيلقى الضوء على سيرته فيما يلي وهو (جان بول سارتر) هذا الرجل يعد أكثر الوجوديين شهرة، وهو يهودي فرنسي، فيلسوف وأديب، من فلاسفة القرن العشرين، ولد سنة ١٩٠٥م بباريس.

وقد بدأ دراسته في مدينة لاردشيل ثم أتمها في باريس، وقد أخذ شهادة في الفلسفة في سنة ١٩٢٩، ثم عين أستاذاً للفلسفة في مدينة لان في ليهافر. وقد اجتذبه الفلسفة الألمانية، فسافر إلى برلين، ومكث فيها سنة على نفقة المعهد الفرنسي.

وقام سنة ١٩٣٨م بنشر مؤلفه الأول، أو روايته الأولى (الغثيان) التي تشتمل على كثير من معالم النظريات الوجودية، التي أعلنها فيما بعد واضحة صريحة. وفي سنة ١٩٣٩ نشر مجموعة قصص عنوانها (الحائط).

وعندما اشتعل لهيب الحرب العالمية الثانية جُنِّد في التعبئة العامة، ثم أسر في سنة ١٩٤٠م من قبل الألمان، وبعد أن أطلق سراحه اشترك في حركة المقاومة، وأنشأ سنة ١٩٥٠م مجلة (العصور الحديثة) التي تتضمن أبحاثاً وجودية في الأدب والسياسة.

وقد أطلق كلمة (وجودية) على فلسفته فقط دون فلسفات الوجودية.

هذا وقد كتب عدداً من المؤلفات مثل:

١- الغثيان ١٩٣٨م.

٢- المتخيل ١٩٤٢م.

٣- مسرحية الذباب ١٩٤٣م.

٤- مسرحية الباب المغلق ١٩٤٣م.

٥- الكينونة والعدم ١٩٤٣م.

٦- مسرحية الأيدي القذرة ١٩٤٨م.

وقد لقيت مؤلفاته رواجاً جعله الممثل الأول للوجودية، وقد ترجمت إلى لغات عديدة.

أما حياته الشخصية فإنها تحمل طابعاً شاذاً.

وقد نشرت الصحف أنه اشترك في مظاهرات يهودية صهيونية في فرنسا، وحملات تبرع لإسرائيل في الستينيات كان شعارها: ادفع فرنكاً فرنسياً تقتل عربياً (أي مسلماً).

وحين حضره الموت عام ١٩٧٩م سأله من كان عنده: ترى إلى أين قادك مذهبك؟ فأجاب في أسى عميق ملؤه الندم: إلى هزيمة كاملة^(١).

يقول الأستاذ أنور الجندي عن سارتر في معرض حديث له عن سقوط مذهب الوجودية: والواقع أن نظرية الوجودية قد نفقت قبل هلاك سارتر بوقت طويل، وإن حاول هذا الشقي أن يمد في عمرها بانتمائيه في السنوات الأخيرة إلى الشيوعية، واحتضانه لقضايا الصهيونية؛ إذ هو نصف يهودي كما كان يطلق

١ - انظر كواشف زيوف ص ٣٥٩-٣٦٠، والمذاهب المعاصرة ص ٢٢١-٢٢٣، ومذاهب معاصرة

ص ٤٩١، ومشكلة الفلسفة الفصل السابع، د. إبراهيم زكريا.

عليه عباس العقاد؛ لأن أمه يهودية.

وقد خدع بعض البلهاء من المصريين حيث أعدوا له زيارة؛ ليحصلوا منه على تصريح يخدم القضية الفلسطينية بعد أن نقلوه إلى خيام اللاجئين في غزة؛ فما غادرها حتى كشف عن هويته الصهيونية اليهودية، وأعطى الماركسيين الذين احتفلوا به درساً كشف عن عمالتهم هم، ومكره هو والذين رافقوه»^(١).

ويكشف الأستاذ الجندي حقائق في حياة سارتر وذلك إبان زيارته لمصر، فيقول: «لقد جاء سارتر إلى مصر ترافقه سيمون دي بوفوار، التي قالت لنساء مصر في صراحة تامة: نحن نريد أن نحطم (قوامة) الرجل ودعت إلى حياة زوجية محررة من (العقد الشرعي) كحياتها هي مع سارتر.

ولقد كشفت إحدى المرافقات لسارتر خلال رحلته إلى مصر في الفترة الأخيرة خفايا كثيرة في هذه الزيارة اللعينة، فأشارت إلى أن (رفيق) سارتر وسيمون كان رجلاً يهودياً (كلودلانزمان) وهو الذي وجه الزيارة على النحو الذي أرادته الصهيونية.

وقد أشارت إلى أن كتاب اليسار استقبلوا سارتر بتقدير بالغ كان موضع دهشته هو أساساً، وذلك مثلاً حين كتب أحد الشيوعيين مقالاً عنوانه (سارتر ضمير العصر) وكان سارتر يتساءل بعدها: (أنا ضمير العصر كله؟! أنا لست حتى ضمير نفسي) ثم يطلب ضاحكاً من لانزمان أن يتحمل عنه بعض هذه الألقاب!»^(٢).

١ - إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام ص ٩٣ .

٢ - المرجع السابق ص ٩٧-٩٨ .

ويواصل الأستاذ الجندي قائلاً: «وتقول الكاتبة: (لقد سمع ورأى ولكنه لم يتأثر قيد أنملة بما سمع ورأى؛ لقد كان استقبالنا لسارتر أشبه بمظاهرة، وكان كلامنا معه أشبه بالصدى في وادٍ مهجور، إلا أن الصهيونية كانت أذكى منا وأكثر دقة في قيادته إلى أهدافها؛ فقد دست (كلودلانزمان) بفكره الصهيوني المغلف بطبقة مزيفة من الفكر التقدمي للتضليل؛ دسته على سيمون في وقت كان فيه سارتر يتأرجح بين وجوديته والشيوعية، فاستطاعت سيمون بتأثير من لانزمان أن تسوق سارتر إلى أن يخرج عن قاعدته ويسير وراءها منوماً أو كالمنوم، فانبهر بما قدم إليه فترة قبل أن يعود إلى قواعده سالماً.

وقد رأينا كيف كان لانزمان يقف في الظل وراء سارتر في كل زيارته؛ لیسمعه صوت (هرتزل) واضحاً مجلجلاً وهو يهمس به إليه.

كان هذا في مارس عام ١٩٦٧ وفي نوفمبر من نفس العام اكتملت الصورة؛ فقد منحت إسرائيل شهادة الدكتوراه الفخرية لسارتر في سفارة إسرائيل بباريس بحضور عدد من المثقفين الفرنسيين على رأسهم سيمون وفرانسواز جيرو وزيرة الثقافة الفرنسية، وأذاع التلفزيون الفرنسي كلمة سارتر التي قال فيها: (إن قبولي لهذه الدرجة العلمية التي أتشرف بها له مدلول سياسي؛ فهذا القبول يعبر عن الصداقة التي أحملها لإسرائيل منذ نشأتها)»^(١).

ويختتم الأستاذ الجندي كلامه قائلاً: «هذا سارتر الذي كتب (المسألة اليهودية) وهو الذي زار إسرائيل وأشاد بها، وهو الذي شارك في المظاهرات، ووقع البيانات

المؤيدة لإسرائيل ، وقد قبل سارتر الدكتوراه الفخرية من الجامعة العبرية ، وهو الذي رفض من قبل كل الجوائز التي أهديت له بما فيها جائزة نوبل .
 وكان سارتر قد قام بزيارته لإسرائيل قبل حرب عام ١٩٦٧ ببضعة شهور ، وما لبثت نذر الحرب بعد عودته إلى فرنسا أن بدت في الأفق في مايو عام ١٩٦٧ فسارع سارتر ومجموعة من المثقفين الفرنسيين الآخرين إلى إصدار بيان في تأييد إسرائيل التي سيدمرها العرب .

ولكن إسرائيل بدأت الهجوم ، واحتلت من الأرض ، و قتلت من العرب ، ودمرت ، فلم يراجع سارتر نفسه ، ولم يعدل موقفه إلا بعد أن اشتعل أوار النضال الفلسطيني بعد الهزيمة ، وامتدت نيرانه إلى بعض العواصم الأوربية»^(١) .

المطلب الرابع: أهداف الوجودية وأسباب قيامها^(١)

أولاً: أهداف الوجودية

الوجودية دعوة قديمة، تظهر في صور براءة، ويستعمل في الدعاية لها كافة الوسائل.

وحيث وجدّت فكرًا يهدف إلى هدم الدين، أو الأخلاق، أو النظم الاجتماعية أو السياسية الصالحة - فابحث عن الأصابع اليهودية تجدها وراءه.

وسارتر واحد من قافلة اليهود، الذين حملوا على عواتقهم رسالة تضليل الناس، وإغوائهم؛ لتحقيق أهداف اليهود العالمية، التي رسمتها بروتوكولات أحبارهم الذين مردوا على كل إثم وشر وتضليل.

وأهداف سارتر لا تخرج عن أهداف فرويد^(٢)، ودوركايم^(٣) وبرجسون^(٤).

ومن الأهداف التي قامت لأجلها الوجودية ما يلي:

١ - انظر: على الفكر الإسلامي أن يتحرر من سارتر وفرويد ودوركايم لأنور الجندي

ص ١٢-٢٠، وانظر: المذاهب المعاصرة، عميرة ص ٢٢٤، وكواشف زيوف ص ٣٦٠.

٢ - فرويد: هو سيجموند فرويد عاش ما بين «١٨٥٦-١٩٣٩م» يهودي من أبوين نمساويين،

وهو مؤسس مدرسة التحليل النفسي. انظر كواشف زيوف ٢٨٩-٣١٥.

٣ - دوركايم: هو إميل دوركايم يهودي فرنسي عاش ما بين «١٨٥٨-١٩١٧م» تخصص في

علم الاجتماع. قالوا: وقد صار رائد علم الاجتماع بعد أوجست كونت. انظر كواشف زيوف

ص ٣٣٥-٣٤٨.

٤ - برجسون: هو هنري برجسون، فيلسوف يهودي فرنسي عاش ما بين «١٨٥٠-١٩٤١».

انظر كواشف زيوف ص ٣٤٩-٣٤٨.

١- تحطيم القيم والأخلاق، والخروج على المبادئ والتمرد على المسلمات والثوابت.

٢- إشاعة الرذيلة والإباحية بين الشباب والشابات.

٣- رد الناس عن أديانهم أو تشكيكهم في عقائدهم.

٤- السخرية من دعوة الرسل.

ثانياً: الأسباب التي دعت إلى ظهور الوجودية

هناك أسباب كثيرة أدت إلى قيام الوجودية، وتلك الأسباب -في الأغلب- هي التي أدت إلى قيام كثير من الحركات والمذاهب الفكرية.

وفيما يلي إجمال لتلك الأسباب التي أدت إلى قيام الوجودية:

١- أنها ردة فعل للماركسية: التي ترى أن الإنسان ليس إلا قطعة في الآلة الكبيرة التي هي المجتمع؛ فليس للفرد عندها أي قيمة.

٢- الطغيان الكنسي: وتحكم البابوات في شؤون الناس، وفرض الآراء التي لا تتفق مع العقل والفطرة، وادعائهم أن تلك الآراء هي الدين.

٣- حدوث الحروب المدمرة: وخصوصاً الحرب العالمية الثانية، التي ذقت البشرية ويلاتها، حيث دمّرت المدن، ومزّقت الأسر، وألقت بالآلاف في لهيب الدمار، والموت.

٤- الخواء الروحي: الموجود في كثير من بلدان العالم، مما يجعل الناس يقبلون أي نحلة، فهم كلما خرجوا من نفق مظلم دخلوا في نفق أشدّ حلوكة وظلمة منه.

٥- غياب المنهج الصحيح: الذي يُعنى بجميع جوانب الحياة سواء كانت

اجتماعية أو فردية أو غير ذلك ، وهو الإسلام الذي أفلتُ شمسهُ في أوربا ، مما جعل الناس يتخبطون ، ويبحثون عن الحل ، فلا يجدونه .

٦- تقصير أمة الإسلام في أداء رسالتها: فهي الأمة القوامة ، وهي الأمة الشاهدة على الناس ، فلماً قصرت في أداء واجبها تجاه البشرية تاهت البشرية في دياجير الظلمة .

٧- المكر اليهودي : الحاقد على البشرية ، والذي كان له دور في قيام الوجودية؛ فاليهود إما أن يتبنوا كل مذهب خبيث ، أو يعملوا على إنشائه .
ومن هذه المذاهب الوجودية حيث دعمتها الصهيونية دعماً كاملاً ، والدليل على ذلك أن الصفحات التي كتبها (كيركجورد) ظلت مغمورة لمدة مائة سنة حتى أخرجتها الصهيونية التلمودية ، وأذاعتها ، وترجمتها .

المطلب الخامس: الوجودية في بلاد الإسلام

عندما نسي المسلمون حظاً مما ذكروا به، وقصروا في تبليغ دينهم، وزهد كثير منهم في الأخذ به ودعوة الناس إليه - أصبحوا عُرضَةً لكل عدو، وغرضاً لكل دخيل، فهوجموا في عقائدهم، وأخلاقهم، حتى ضعف قدر الإسلام في قلوب كثير من أبنائه، مما جعل كثيراً من البيغاوات والمنهزمين يأخذون بفكرة الوجودية، وذلك ناتج عن الولع بالغرب، والتقليد الأعمى، واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير، حتى إن المذاهب في الغرب لتموت ولها في الشرق دعاة يهتفون لها؛ فقد تخلى سارتر عن وجوديته، ولازال بعض أولئك بوجوديته متعلقاً^(١).

يقول الأستاذ أنور الجندي معلقاً على زيارة سارتر لحيام اللاجئيين في غزة، وكشفه عن هويته الصهيونية: «ومع هذه اللطمة القاسية فإن كتاباً مصريين وعرباً ما زالوا يذكرون سارتر، ويتحدثون عنه، ويشيدون بمذهبه، وبما يسمونه الوجودية العربية التي قادها عبدالرحمن بدوي وكان لها على فترة طويلة أعوان، وكانت كتب سارتر تظهر في باريس بالفرنسية، وفي بيروت بالعربية في وقت واحد، وربما ندم بعض الكتاب عن تبعيتهم لسارتر، وأحسوا أنهم أخطأوا الطريق بعد أن قرأوا ما كتبه (جاك بيريك) مثلاً حين قال: (إن سارتر عقل كبير، ولكنه مع الأسف يفتقر إلى الذكاء السياسي، وليس من الضروري أن يكون العقل الكبير عقلاً سياسياً، ولكن المشكلة عند سارتر أنه يريد أن يكون سياسياً فيما يجابه به من التيارات اليسارية، ومنها: الشيوعية بنوع من العقد النفسية.

١- انظر الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ١١٨، وانظر نحو بناء منهج البدائل الإسلامية لأنور

ومن المؤسف أن سارتر الذي يبني معظم فلسفته على فهم الآخر لا يفهم الآخر ولا يحس به.

لم يستطع سارتر أن يتغلب على ما أحيط به من الدعاية والتضليل الصهيوني؛ فاعتبر إسرائيل صيحة^(١)، وقلب القصة؛ فاعتبر إسرائيل (مدعى عليها).
الدعاية الصهيونية بلغت أن يقلب الحقيقة التاريخية في أوربا كلها.
إنهم ينفون أن يكون الوجود الصهيوني استعماراً^(٢).

وينتقل الأستاذ الجندي إلى الحديث عن دور عبدالرحمن بدوي في الوجودية العربية، وما آل إليه مصيره بعد ذلك، فيقول: «وفي مصر تقدم عبدالرحمن بدوي برسالة دكتوراه عن (الزمان الوجودي) ورأس الحفل الدكتور طه حسين واشترك معه المستشرق الألماني بول كراوس، وأعلن طه حسين أن عبدالرحمن بدوي أول فيلسوف وجودي مصري.

وقد قدم بدوي الفكر الوجودي، وترجم كل المصطلحات الوجودية الشاقة، وترجم كتاب سارتر الضخم: (الوجود والعدم).

ولم يلبث عبدالرحمن بدوي أن اختفى وطوته الموجة التي تطوى كل المذاهب الضالة والمنحرفة، وكشف الفكر الإسلامي عن أصالته في أنه يرفض كل ما ليس متصللاً بقيمه الأساسية مهما بدا يوماً وله بريق أخاذ.
لقد كانت فلسفة سارتر شؤماً عليه؛ فقد أضفت عليه ظلاً مظلاماً ما زال يلاحقه^(٣).

١ - هكذا في الأصل، ولعل الصواب: (ضحية).

٢ - إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام ص ٩٣-٩٤.

٣ - المرجع السابق ص ٩٤.

ثم ينتقل الأستاذ الجندي إلى أحد كبار الكتاب العرب المتأثرين بالوجودية، وهو أنيس منصور، فيقول: «يقول أنيس منصور: (من الضروري أن تفلت من جاذبية شخص كبير لتجد نفسك ومعه حررتك، لقد وقعنا في غلطة حين تأثرنا بأستاذنا عبدالرحمن بدوي؛ كثيراً مما رآه كان رؤيته هو، والذي وجدته شاقاً كان مشكلته هو، والذي أحبه كان مزاجه هو.

ولكن في السنوات الأخيرة عاودت قراءة الفلسفة من ينايعها التي أفرعنا منها عبدالرحمن بدوي فلم أجدها كذلك).

وهكذا تبين أن هذه الهالة كانت باطلة، بل إن أنيس منصور يشرنا بأن سارتر عندما مات قال على فراش الموت: لا شيء؛ كل شيء عدم.

ويستطرد أنيس منصور قائلاً: سارتر الفيلسوف الوجودي الملحد كانت آخر كلماته لا شيء، أي: لا فائدة من أي شيء؛ فهو يرى أن الوجود والعدم لهما نفس القوة، ولهما نفس المعنى؛ فهي كالليل والنهار لا ينفصلان، ولا تعرف على أي شيء.

أجاب سارتر لآخر مرة بكلمة لا شيء، لا فائدة، لا معنى، لا هدف، كل شيء عدم، أو كل وجود عدم، أو كل موجود عدم». مجلة أكتوبر ١٩٨٠/٥/٨^(١).

ويعلق الأستاذ الجندي على ذلك فيقول: «وهكذا يندم أنيس منصور على أنه تابع هذا الفكر الضال أكثر من عشرين عاماً من عمره قضاها في تحسين هذا الفكر، وزخرفته، وتقديمه إلى الشباب في عشرات من الكتب التي طبع منها مئات من الألوف؛ لتخدعهم عن الحقيقة، ولتزيّف لهم الواقع، ولتردهم عن الفهم الأصيل عندما كتب مقالاته عن رحلته إلى الأراضي المقدسة، وكان عليه

أن يعلن انسحابه من كل هذه المفاهيم والعقائد، وأن يصحح موقفه أمام قرائه خلال هذه السنوات الطويلة.

واليوم يصف فلسفة الوجودية بأنها فلسفة المقابر؛ لأن سارتر تحدث عن الموت والدمار والخراب، والوحدة والقلق والفرع، والخوف والغثيان والعدم، والتصقت كل هذه المعاني السوداء في قلمه وفي خياله»^(١).

ويواصل الأستاذ الجندي كلامه قائلاً: «وكان حقاً على أنيس منصور أن يقرأ الفكر الإسلامي الأصيل، ويعرف زيف الوجودية جملة بمفهوم الانطلاق من الضوابط والحدود والقيم التي رسمها الدين الحق، وأن يعلم أن نظرية الوجودية كما جاء بها سارتر إنما كانت تحدياً خاصاً مر بالشعب الفرنسي بعد سقوطه في قبضة ألمانيا إبان الحرب.

هذا السقوط الذي كشف - كما قال زعيمه (بيتان) - عن انهياره الأخلاقي العاصف.

ولما كانت الصهيونية العالمية هي التي صنعت هذا بالثورة الفرنسية فإنها قدمت سارتر على جميع أجهزة الإعلام والدعاية؛ لتفتح صفحة أشدَّ عنفاً من الانهيار الخلقى والاجتماعي؛ تلك التي صنعتها فلسفة سارتر بظهور جماعات الوجوديين الذين تشكلوا في الغرف المظلمة، والحواري الضيقة، وتحت أسطح العمارات؛ ليمارسوا أسوأ صور الجنس، ويعلنوا احتقارهم للمجتمع، ومنهم نشأت بذرة (الهيبية) التي تعم الآن العالم كله»^(٢).

١ - المرجع السابق ص ٩٦ .

٢ - المرجع السابق ص ٩٦-٩٧ .

المطلب السادس: أفكار الوجودية وآراؤها

قامت الوجودية على أفكار باطلة، وآراء متناقضة ومما يعتقده الوجوديون ويقولون به ما يلي:

١- الإلحاد: فهم يكفرون بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، ويرون أن الأديان عوائق أمام الإنسان تقف في طريقه نحو المستقبل. فهم قد اتخذوا الإلحاد مبدأً وعقيدة، ودانوا بما يتبع ذلك من نتائج مدمرة. بل إن سارتر ذهب إلى أبعد من ذلك؛ فالإلحاد لم يكن كإلحاد غيره من الملاحدة، بل إنه يضع الإنسان في مواجهة الخالق - سبحانه - فيعلن تجاهله لوجود الله - عز وجل - .

ولا ريب أن ذلك أخطر ما في الدعوة الوجودية؛ فهي - بذلك - تعد الإيمان بالله عائقاً كبيراً عن حرية الإنسان؛ لأنه يضيع عليه فرصة التمتع بالأهواء الطاغية، والتمرغ بالشهوات العارمة^(١).

٢- الدعوة إلى التفرد: فالوجودية تدعو إلى التفرد، والانطواء، والعزلة الاجتماعية.

يقول سارتر: «إننا منذ الآونة التي نشعر فيها بأن إنساناً ينظر إلينا إنما نشعر أيضاً - بأن الآخر يسلبنا عالمنا على نحو من الأنحاء لهذا العالم الذي نمتلكه وحدنا حتى هذه اللحظة»^(٢).

١ - انظر إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام ص ٩٧ .

٢ - انظر كواشف زيوف ص ٣٨٦ عن كتاب الفلسفة الوجودية، تأليف جال فال. تعريب تيسير شيخ الأرض

ويقول: «إنني ابتداء من الآونة التي أشعر فيها أن أحداً ينظر إلي أشعر أنني سلبتُ عن طريق النظر الموجه إلي وإلى العالم.

إن العلاقة بيننا وبين الآخرين هي التي تخلق شقاءنا»^(١).

ويقول: «إن الآخرين هم الجحيم»^(٢).

٣- إلغاء حقيقة الخير والشر، وإبطال القيم الثابتة: فهم لا يؤمنون بقيم ثابتة توجه سلوك الناس، وتضبطه، وإنما لكل إنسان أن يفعل ما يريد، وليس لأحد أن يفرض قيماً وأخلاقاً معينة على الآخرين.

وجعلوا الشعور الإنساني التابع للهوى ونوازع النفس هو الذي يخلق الخير والشر، والحق، والجمال.

يقول سارتر: «إنك تستطيع أن تفعل ما تريد، وليس ثمة مَنْ له الحق في توجيه النصيح إليك، وليس في نظرك شر وخير إلا إذا خلقتهما»^(٣).

إذاً فليفعل الإنسان أية جريمة، وليرتكب أي عمل قبيح، وله بعد ذلك أن يعد ما فعله خيراً لا شراً فيه، وليس من حق أحد أن يحاكمه أو يؤاخذ به؛ طالما أنه هو الذي يضع مقاييس الحق والخير ونحوها!

٤- الدعوة إلى الانفلات والحرية المطلقة: فهم يقولون بحرية الإنسان المطلقة،

وأن له أن يثبت وجوده كما يشاء، وبأي وجه يريد، دون أن يقيد به شيء.

١ - انظر كواشف زيوف ص ٣٨٦ عن كتاب الفلسفة الوجودية ص ١٧٦.

٢ - المرجع السابق ص ٣٨٦ عن كتاب الفلسفة الوجودية ص ١٧٦.

٣ - كواشف زيوف ص ٣٦٧.

ويرون أن على الإنسان أن يطرح الماضي، وينكر كل القيود، دينية كانت، أم اجتماعية، أم فلسفية، أم منطقية.

ويقولون: إن الوجودية هي طاعة النفس.

والوجودي - حقيقة في مذهبهم - هو الذي لا يقبل توجيهاً يأتي إليه من الخارج، بل هو الذي يكب على شهواته غير مبال بشيء.

يقول سارتر: «إن من لا يستمع إلينا، ولا يقبل حرية إطلاق النفس من قيودها إنما هو جبان».

ويقول: «إن ما ينبغي أن تكون عليه حياة الوجودي - تلبية كل ما تدعو إليه شهواته، ونبد كل التقاليد والتعاليم الاجتماعية، وتحطيم القيود التي ابتدعتها الأديان، ثم تطليق الماضي، وسلخ المرء نفسه منه متجهاً إلى الأمام، إلى المستقبل، قفزاً إلى المصير المحتوم، إلى الهاوية، إلى الموت، والعدم الأبدي».

٥- يعتقدون أن الإنسان أقدم شيء في الوجود: وأن ما قبله كان عدماً، وأن وجود الإنسان سابق لماهيته، وأنه مجرته الاختيارية هو الذي يخلق ماهيته.

٦- يعتقدون بأن الأديان، والنظريات الفلسفية التي سادت خلال القرون الوسطى والحديثة - لم تحل مشكلة الإنسان، وأن الحل إنما هو الوجودية التي قرروها، ودعوا إليها^(١).

١- انظر: كواشف زيوف ص ٣٦٥ فما بعدها، والمذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها ص ٢١١، والموسوعة الميسرة ص ٥٤٣-٥٤٤ والموجز في المذاهب والأديان ص ١١٧-١١٨، وإعادة النظر في كتابات العصرين في ضوء الإسلام ص ٩٣-٩٨.

المطلب السابع: بطلان الوجودية

بيان بطلان الوجودية لا يحتاج إلى كبير جهد؛ ففسادها يغني عن إفسادها، وتصورها كافٍ في الرد عليها.

يقول الأستاذ عبدالرحمن الميداني: «لا تحتاج آراء سارتر، وكذلك كل آراء الوجودية الملحدة إلى جهد كبير لتفنيدها، وكشف زيوفها؛ فهي أقل من أن توضع بين الفلسفات التي تستحق المناقشة، والاعتراض، والنقد. ولولا أنها كتبت بأيدي رجال متخصصين في دراسة الفلسفة، ثم قامت منظمات ذات مخططات سياسية عالمية هدامة بترويجها في أسواق الفارغين من العقول لنشر الإلحاد بالله، وتدمير الأخلاق، وسائر القيم الصحيحة عن طريقها لما كان لها شأن يذكر، ولما رفعها أحد من مجمع قمامات الآراء لينظر إليها، ويفحص ماهيتها، ولما شغل بقراءة كتبها مشغولون حريصون على أوقاتهم أن تضع سدى في قراءة كلام هراء متهافت سخيف لا قيمة له لدى أهل الفكر والنظر»^(١).

وفيما يلي ذكر لبعض الأمور التي يتبين من خلالها بطلان الوجودية وزيفها:

١- بطلان قولها بإنكار الخالق: فالوجودية أنكرت وجود الخالق - عز وجل -

وهذا الأمر منقوض بالشرع، والعقل، والفطرة، والحس.

فهذه كلها تدل على وجود الله - عز وجل -.

أما دلالة الشرع على وجود الله فلأن الكتب السماوية كلها تنطق بذلك ، فما جاءت به من العقائد الصحيحة ، والأخلاق القويمية ، والأحكام العادلة - دليل على أنها من رب حكيم عليم بمصالح عباده.

وأما دلالة العقل فلأن المخلوقات سابقها ولاحقها لا بد لها من خالق؛ إذ لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها ، ولا يمكن أن توجد صدفة؛ لأن الشيء لا يخلق نفسه ، ولأن كل حادث لا بد له من مُحدث ، ولأن وجودها على هذا النظام البديع ، والتناسق المتآلف ، والارتباط بين الأسباب ومسبباتها ، وبين الكائنات بعضها مع بعض - يمنع منعاً باتاً أن يكون وجودها صدفة.

إذا تقرر ذلك تَعَيَّن أن يكون لها مُوجد وهو الله رب العالمين ، وبطل القول بإنكاره - عز وجل - (١).

وأما دلالة الفطرة على وجود الله فلأن كل مولود قد فُطر وجُبل على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكيرٍ أو تعليم.

ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها (٢).

قال النبي ﷺ : « ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه ، أو يمجسانه » (٣).

أما دلالة الحس على وجود الله فلأن كل ما في الكون شاهد ودليل على وجود الله - عز وجل - .

١ - ٢ - انظر نبذة في العقيدة الإسلامية للشيخ محمد بن عثيمين ص ١٣ - ١٨ .

٣ - رواه البخاري ٩٧/٢ ، ومسلم (٢٦٥٨).

فكيف يأتي جاهل سفيه موتور كفور فينكر وجود الله - عز وجل - بجرة قلم؟!

ومن أدلة الحس إجابة الدعوات، ومعجزات الأنبياء، ودلالة الأنفس، والآفاق ونحو ذلك.^(١)

٢- بطلان دعواهم إلى الحرية المطلقة: فلقد دعا الوجوديون إلى الحرية المطلقة زعماً منهم بأن هذا هو الطريق الوحيد لأن يثبت الإنسان وجوده.

ويقال لهؤلاء: ما مفهوم الحرية عندكم؟ أهى على حساب حريات الآخرين؟ أم على حساب القيم والمبادئ؟ وهل الإنسان إذا أطلق العنان لنفسه وشهواته يكون حراً فيثبت وجوده من خلال ذلك؟

الجواب أن هذا فهم خاطيء للحرية؛ فهي لا تكون بإطلاق الشهوات، ولا تكون على حساب الآخرين، فإذا لم تضبط بالشرع أصبحت البشرية كقطع من البهائم السائبة، لا يردعها دين، ولا يزمها حياء، ولا يحكمها عقل.

«وإذا كانت الغاية من الوجودية هي أن تحقق للإنسان وجوده فإن ذلك مقرر في الإسلام في إطاره الطبيعي، وضوابطه الأصلية، التي تحمي وجوده وكيانه، وليس للإنسان أن يطلق العنان لتحقيق شهواته فيدمر نفسه ويدمر الآخرين»^(٢).

ثم إن الإنسان - أي إنسان - عبد، لا ينفك عن هذه العبودية طرفة عين. فإذا رضي بعبودية الله - تحرر مما سواه، وإلا تناوشته سائر العبوديات، فصار

١ - انظر: الإيمان بالله للكاتب.

٢ - الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ١١٨.

عبداً للشهوة، أو عبداً للشهرة، أو عبداً للمال أو المنصب، أو عبداً للطواغيت، ونحو ذلك.

ثم إن الحرية المطلقة سبب للشقاء، والدمار، والتفكك، والانهايار.

ولا أدل على ذلك من حال الدول التي يشيع فيها هذا النوع من الحرية؛ فهي تعاني الأمرين من السرقة، والشذوذ، والأمراض الجنسية، والانتحار، وما جرى مجرى ذلك مما يطول ذكره.

٣- قيامها على التناقض والجهل، ومخالفتها للثوابت: فمما يكشف زيف الوجودية أنها قامت على التناقض، والجهل، ومخالفة العلم والعقل، والحقائق الثابتة.

فلقد قدم سارتر وسائر الوجوديين آراءهم على أنها أحكام تقريرية، دون أن تؤيد بدليل علمي، أو حسي، أو واقعي.

فما قيمة آراء وأفكار من هذا القبيل؟!

إن أي صاحب خيال يستطيع أن يقول أية فكرة تخطر في وهمه، فيزينها بصبغة كلامية، ويزوقها بزخرف من القول، ثم يطرحها في ميادين الفكر، ويجعلها مذهباً فكرياً.

ولكن عند النظر فيها لا يثبت لها قدم، ولا يستوي لها ساق.

وكما قدم الوجوديون أحكاماً تقريرية بدون أي دليل - أنكروا حقائق يشعر بها الناس جميعاً بدون أي دليل^(١).

ونظراً لهذا الاضطراب والتذبذب لم تستطع الوجودية إلى الآن أن تأخذ مكانها بين العقائد والأفكار^(١).

٤- شذوذ روادها وانحرافهم: فلقد قامت الوجودية على أيدي دعاة كانوا جميعاً من الشذاذ، وكانت حياتهم مليئة بالاضطرابات والقلق. وهذا مما يدل على بطلانها؛ ففاقد الشيء لا يعطيه.

ثم إن كتابات أربابها كانت متسمة بالانحراف والسقوط؛ فهم يُعَنَوْنُونَهَا دائماً بعنوانات ساقطة، ينفر منها الذوق السليم، وتأبأها الفطرة القويمة. ومن مقالاتهم في ذلك: القلق، الحائط، الذباب، الغثيان، التمزق، اللامعقولية^(٢). ولا غرو في ذلك؛ فكل إناء بما فيه ينضح.

٥- آثارها ونتائجها المدمرة: وهذا يدل بجلاء على فساد تلك الفكرة وزيفها؛ ذلك أنها قامت - فيما تزعم - من أجل إسعاد الفرد، ورد اعتباره. فما النتيجة التي حصلت بالدعوة إليها؟ وماذا حدث من جراء اعتناقها؟ النتيجة كما قيل: تلك آثارنا تدل علينا.

فلقد انتشر التشاؤم والقلق، والحيوانية، والضياع، والخوف الرهيب، والانتحار والتمرد، والأناية المفرطة.

أضف إلى ذلك ضياع المشاعر الإنسانية، كالمحبة، والرحمة، والإيثار، ونحو ذلك كلها ضاعت في مستنقع الوجودية الآسن.

١ - انظر الموسوعة الميسرة ص ٥٤٣.

٢ - انظر نحو بناء منهج البدائل الإسلامية ص ٢٥٤.

يقول (بوخينسكي) أستاذ الفلسفة بجامعة (فريبورج) بسويسرا بعد عرضه آراء سارتر في الوجودية: «وليس في وسعنا هنا سوى الاقتصار على ذكر النتائج الأخلاقية التي ترتبت على هذه الفلسفة، والتي تمثلت في نكران كل القيم، وكل القوانين الموضوعية، وهي ادعاء عدمية واستحالة وعدم جدوى الحياة الإنسانية. بل إن الوجودية قد أفرغت حتى ظاهرة الموت نفسها من معناها على يد سارتر. ومن نتائج الوجودية - أيضاً - دعوتها إلى التشكيك في جدوى قيام كل ما يتسم بروح الجد وطابعه، فهي فلسفة انحلالية عدمية تماماً»^(١).

٦- وبالجملة: فليست الوجودية كما حددها سارتر سوى صورة من صور الضياع؛ فهي ليست إلا ثورة سلبية يائسة، لم تستطع أن تشخص الداء فضلاً عن تقديم الدواء.

وكل ما تستطيع أن تقول بصدق: إن ما قدمته الوجودية للإنسانية هو عرض بعض جوانب المأساة البشرية، تلك المأساة التي تعبر عنها جملة واحدة هي: (البحث عن الإله).

فهي ترفض الإيمان بالله كما بينه الدين، ولكنها لا تجد البديل. والإنسان الذي تحاول تأليهه محصوراً مقهوراً أمام القدر الكوني، وأمام وضعه التاريخي المحدد.

وحول إيجاد مخرج من هذا التناقض تأتي الفلسفات الوجودية بشعارات شتى كالحرية عند سارتر، والعبث عند بيركامو، وهكذا ضلوا وأضلوا، وشقوا وأشقوا.

وصدق الله إذ يقول: ﴿فَأَمَّا يَا تَبِئَكُمْ مَنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى (١٢٦) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى (١٢٧) ﴿ (طه).

الغائمة: حكم الوجودية والانتماء إليها^(١)

عُرِضَ موضوع الوجودية على مجلس المجمع الفقهي في دورته المنعقدة في ١٣٩٩/٤/٢٦ هـ - ١٣٩٩/٥/٤ هـ، وأصدر بذلك قراراً حول الوجودية وهذا نصه: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وبعد:

فقد درس مجلس المجمع الفقهي البحث الذي قدمه الدكتور محمد رشيد عن (الوجودية) بعنوان (كيف يفهم المسلم فكرة الوجودية)، وما جاء فيه من شرح لفكرتها، ولمراحلها الثلاث التي تطور فيها هذا المذهب الأجنبي إلى ثلاثة فروع تميز كل منها عن الآخر تميزاً أساسياً جذرياً، حتى يكاد لا يبقى بين كل فرع منها والآخر صلة أو جذور مشتركة.

وتبين أن المرحلة الثالثة رجعت بفكرة الوجودية إلى إلحاد انحلالي يستباح فيه تحت شعار الحرية كل ما ينكره الإسلام والعقول السليمة.

وفي ضوء ما تقدم بيانه يتبين أنه حتى فيما يتعلق بالمرحلة الثانية المتوسطة من هذه الفكرة، وهي التي يتسم أصحابها بالإيمان بوجود الخالق، والغيبات الدينية، وإن كان يقال إنها رد فعل للمادية والتكنولوجيا والعقلانية المطلقة.

وكل ما يمكن أن يقوله المسلم عنها في ضوء الإسلام هو أن هذه المرحلة الثانية منها، أو عقيدة الفرع الثاني من الوجودية - رأي أصحابها في الدين على أساس العاطفة دون العقل - لا يتفق مع الأسس الإسلامية في العقيدة الصحيحة، المبنية

١ - انظر قرارات مجلس المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي.

على النقل الصحيح ، والعقل السليم في إثبات وجود الله - تعالى - وماله من الأسماء الصفات ، وفي إثبات الرسائل على ما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله محمد ﷺ .

وبناء على ذلك يقرر مجلس المجمع بالإجماع: إن فكرة الوجودية في جميع مراحلها وتطوراتها وفروعها لاتتفق مع الإسلام؛ لأن الإسلام إيمان يعتمد النقل الصحيح ، والعقل السليم معاً في وقت واحد.

فلذا لا يجوز للمسلم بحال من الأحوال أن ينتمي إلى هذا المذهب متوهماً أنه لايتنافى مع الإسلام ، كما أنه لا يجوز بطريق الأولوية أن يدعو إليه أو ينشر أفكاره الضالة.

الرئيس / عبدالله بن حميد

نائب الرئيس / محمد علي الحركان

الأعضاء:

- ١- عبد العزيز بن باز.
- ٢- محمد السبيل.
- ٣- صالح بن عثيمين.
- ٤- محمد عبد الودود.
- ٥- حسين مخلوف.
- ٦- عبد المحسن العباد.
- ٧- مصطفى الزرقاء.
- ٨- محمد قباني.
- ٩- اللواء محمود شيت خطاب.
- ١٠- محمد رشدي.
- ١١- محمد الشاذلي.
- ١٢- محمد الصواف.
- ١٣- عبد القدوس الهاشمي.

الرسالة الرابعة

نبذة في الديموقراطية والإنسانية

والليبرالية والبرجماتية والعولمة

الديموقراطية

أولاً: مفهوم الديموقراطية

١- أصلها: الديموقراطية في الأصل كلمة يونانية، وأصلها مكون من لفظين: (ديمو) وتعني الشعب، أو الرعا، و(كراتوس) وتعني السلطة أو الحكم؛ فيكون معناها حكم الرعا.

ويقابلها كلمة الارستقراطية وهي حكم النبلاء، ثم استقر معنى الديموقراطية السياسي فصار: سلطة الشعب، أو حكم الشعب؛ فهي - إذاً - حكم الشعب للشعب دون أن تستأثر بذلك جماعة أو فرد.

٢- مفهومها السياسي العام: الديمقراطية مصطلح ونظام سياسي يجعل الشعب مصدر السلطات؛ فالسلطة التنفيذية، والسلطة التشريعية، والسلطة القضائية في الديمقراطية تنبثق من الشعب، وتحكم باسم الشعب.

والشعب - باختياره الحر - يقوم بتنصيب حكامه؛ فالديمقراطية - إذاً - تقوم على الشورى، وانتخاب الحاكم، ومناقشة رئيس الدولة، وما جرى مجرى ذلك. كما أنها تستلزم إعطاء الحريات للناس كحرية العقيدة، وحرية الرأي، وحرية التملك، والحرية الشخصية.

والديمقراطية مرتبطة بالليبرالية التحررية، والرأسمالية التي تقوم على العلمانية. هذه هو مفهوم الديمقراطية السياسي النظري العام.

٣- الواقع العملي للديمقراطية: يختلف الواقع العملي للديمقراطية في أحيان كثيرة؛ حيث يلقي نقداً من الكثير من المفكرين حتى الغربيين منهم.

ومن النقد الموجه إليه أنه يعتمد على انتخاب ممثلين يكون لوسائل الإعلام والقدرات المالية دور كبير في اختيارهم.

وغالباً ما يكون ذلك أكثر من الاختيار الشعبي الحر الصحيح.

والشعب غالباً لا يستطيع مساءلة هؤلاء النواب بعد انتهاء الانتخابات.

ثم إن ادعاء الديمقراطية من قبل النظم المستبدة أمر شائع جداً.

٤- نشأة الديمقراطية: نشأت الديمقراطية أول ما نشأت في بلاد الإغريق في

مدينتي أثينا وإسبرطة، ثم تطور مفهومها على نحو ما هو موجود عند الغرب الآن.

وقد كان اليونان الإغريق يُكوّنون حكومة من رجال المدينة، ويطلقون عليها:

(حكومة المدينة) حيث يجتمع رجال المدينة، لبحث أمورهم، فينتخبون حاكماً

لهم، ويصدرون القوانين في كل قضية تُعرض عليهم.

وقد استمروا على ذلك إلى أن انتهت حكومة كل من أثينا وإسبرطة حينما

غلب عليهم المد النصراني، وبرز رجال الكنيسة؛ فصارت تلك الحكومة

الديمقراطية في ذاكرة الناس.

٥- مهيات عودة الديمقراطية: أ- حكم الإقطاع في أوروبا. ب- التسلط

الكنسي. ج- المظالم المتراكمة.

ومن هنا قامت الثورة الفرنسية؛ فكان من نتائجها قيام الديمقراطية في الغرب.

٦- سبب اختيار الغرب للديمقراطية: أ- عدم وجود البديل المناسب للحكم.

ب- الخوف من الاتجاه للإسلام. ج- تطلع الناس إلى الحرية.

فكان من جراء ذلك بعث التراث الإغريقي، والعودة إليه، وذلك بعد إلباسه

لباساً جديداً، فكانت الديمقراطية هي الإطار الملائم لأوروبا، حيث اعتمدها الغرب، وأُتخذت الديمقراطية بعد ممارسات طويلة لأنماط مختلفة في الحكم، ثم استقرت في الجهاز الرأسمالي التعددي الذي يهدف إلى حكم الشعب بنفسه عن طريق اختيار ممثليه وحكامه وممارسته لحرياته.

وبقي الحكم الاشتراكي في الحزب الواحد، وقد زال من أوروبا تقريباً وبقي في بلدين هما الصين وكوبا وهو في طريقه إلى الزوال.

٧- مطالب الديمقراطية: أ- وجوب إشراف الشعب على أعمال الحكومة.

ب- إعطاء الشعب حقوقه الإنسانية التي حرم منها أكثر من ألف عام.

٨- صور الديمقراطية: أ- المباشرة: وتعني مباشرة الشعب حق سيادته بنفسه.

ب- النيابية: وتعني اختيار الشعب من يُمثِّله، وَيَكُونُ لهؤلاء الممثلين الحق في

التعبير عن إرادة الشعب.

ج- غير المباشرة: وتقوم على اختيار الشعب مجلساً نيابياً يمثله على أن يحتفظ

الشعب ببعض الحقوق التي يقررها بنفسه.

وعلى هذه فإن غير المباشرة وسط بين المباشرة والنيابية.

ثانياً: بين الشورى والديموقراطية

اعتمد المسلمون الشورى أسلوباً في حياتهم وهي استطلاع الرأي من ذوي

العلم والخبرة والأمانة للتوصل إلى أقرب الأمور للحق.

ولم تكن الشورى في أمر ورد النص الشرعي فيه «إذ لا اجتهاد في مورد النص».

ولكن الشورى كانت في الأمور العامة في المجالات المختلفة، والشورى كذلك

في الاجتهاد الشرعي من النصوص.

والشورى تتفق مع الديموقراطية في أمور، وتفترق في أمور؛ فما تتفقان فيه ما

يلي:

- ١- ترشيح رئيس الشعب، وانتخابه من الشعب.
 - ٢- رفض جميع أشكال الحكم المطلق أو الاستبدادي أو القبلي أو الشيوقراطي -الحكم الكهنوتي- لأن الإسلام ليس ديناً كهنوتياً، وليس فيه رجال دين، ولكن علماء وفقهاء، وكل مسلم منتسب هو رجل دين.
 - ٣- تعددية الأحزاب في الإسلام ضمن إطار الإسلام، وفي الديموقراطية ضمن أحكام الدساتير وتوجهات المواثيق.
 - ٤- إقرار الملكية الفردية -ضمن تعاليم الإسلام لتحقيق مصلحة الجماعة- في الشورى، أو ضمن أحكام الدستور ولمصلحة الجماعة في الديموقراطية.
 - ٥- إعطاء الحريات العامة ولا سيما السياسية ضمن النظام العام.
 - ٦- اختيار الشعب لمثليه في بيان الرأي.
- وتفترقان فيما يلي:

- ١- الشورى مستمدة من الوحي الإلهي؛ فمخالفته تعد معصية، لمخالفتها الحكم الشرعي، بينما الديموقراطية تستمد أصولها من إقرار الناس، والناس يخطئون ويصيبون.
- ٢- الشورى تكون في سلطة الشعب لا في سيادته؛ فالسيادة في الإسلام للشرع والسلطان للشعب في اختيار حكامه ومثليه، بينما تعتبر الديموقراطية السيادة

والسلطان للشعب معاً.

٣- الشورى تعتمد على تكوين المواطن وفق تعاليم الدين لا سيما الدين الإسلامي تربية تقوم على خشية الله ومراقبته، والنصح للحاكم، والصراحة في القول في حدود الأدب والحكمة؛ فهي علاقة أخلاقية بين الراعي والرعية.

٤- الدستور والمواثيق والقوانين والتشريعات في الشورى تكون مستمدة من الشرع -القرآن والسنة النبوية- ولا تمنع الإجماع، وتعتمد اجتهادات المجتهدين من أصول الإسلام في المسائل التي تواجهها الأمة.

والديموقراطية تترك ذلك لرأي الناس دون الاعتماد على أسس ثابتة باعتبار أن الناس عرضة لتغير الرأي في الأسس بين الحين والحين.

٥- مفهوم الحريات في الإسلام يجب أن لا يخرج عن نطاق القيم العليا والأخلاق الإسلامية، أي هي حرية مقيدة بالأوامر والنواهي الربانية.

وفي الديموقراطية تكون الحريات في ظل القيم التي يتفق عليها المجتمع.

٦- تُحدد الشريعة السلطات في الشورى الإسلامية السلطان -أي السلطة التنفيذية- للشعب، وتعطي حق اختيار القوانين من اجتهادات الفقهاء للشعب إما مباشرة أو عن طريق ممثليه أو عن طريق الحاكم كما ورد في القاعدة الشرعية «رأي الإمام يرفع الخلاف»، والديموقراطية تعد الشعب مصدر السلطات.

هذا وإن الديموقراطية اتخذت أنماطاً مختلفة في التطبيق سواء في نمط النيابة الأمرة وهي التي تسمح للناخبين بمراقبة المنتخبين وعزلهم، أو في حق الاقتراع الشعبي وصياغة القوانين وعرضها على المجلس النيابي والتصويت عليه، أو في

حق الاستفتاء الشعبي ، أو الاعتراض الشعبي على القوانين مباشرة ، أو من خلال النواب.

والإسلام لا يمنع أن تتطور أساليب الشورى في إطار الإسلام والحزم والضبط وتطبيق الأحكام الشرعية ، والقناعة والتوصل إلى الرأي الأصوب.

ولا يمنع من اتباع النظم أو الطرق الحديثة التي أخذت بها الديموقراطية من انتخاب ممثلين للأمة ، وتعيين مجلس من العلماء والوجهاء والخبراء والسياسيين والزعماء والقضاة وغيرهم ، وتنفيذ رأي الإسلام في اختيار الحاكم وانتخابه ، ووضع الدساتير والمواثيق ضمن إطاره العام.

وإذا كان هناك ثغرات وسلبات فإنها لا تزال ويمنع الغش والخداع والتزيف والغوغائية ، وشراء الأصوات والتلاعب بها ، واستغلال الجماهير واستغلالها بالوعي الصحيح.

الإنسانية

أولاً: مفهوم لفضلة الإنسانية عموماً^(١)

- ١- الإنسانية لفظه رائجة في ميدان الفلسفة، وفي الساحة الثقافية، والإعلامية مما جعل لها مرونة توظيفية لشتى الجوانب.
- ٢- الإنسانية بصفاتها قضية وجودية معاصرة لها منطلقها المعين، وهو الإنسان المتميز عن الموجودات المحيطة به، ولها أبعادها ذات الخطورة في حياة البشر وحضارتهم.
- ٣- الإنسان - في العربية - هو الكائن المعروف سمي بذلك إما من النسيان، أو الأُنس بغيره، أو من الظهور.
- ٤- وعند الفلاسفة هو واحد البشر بحيوانيته وعقله معاً.
- ٥- وتطلق، ويراد بها الجانب الذي يتميز به الإنسان عن الحيوان نطقاً، وعقلاً، وحساً، وذوقاً، وقوة ملاحظة، وقدرة على الإبداع.
- أو تطلق عليه مروءة، ومكارم أخلاق.
- ٦- الإنسانية نسبة مؤنثة إلى الإنسان؛ فهي لفظه جديدة يذكر بعض الكتاب أن اللبناني المعلم بطرس البستاني أول من اشتق من لفظ إنسان مصدراً صناعياً ذكره في معجمه محيط المحيط قائلاً: «الإنسانية ما اختص به الإنسان من المحامد،

١ - انظر تفصيل الحديث عن الإنسانية في كتاب تشكيل العقل الحديث ل-: كرين يريبتون، ترجمة شوقي جلال ص ٢٧-٧٤، وكتاب السلفية وقضايا العصر، أ. د. عبدالرحمن الزبيدي ص ٥٦١-٦٢٦.

كالحنو، والجود، وكرم الأخلاق».

٧- ولكن ذلك لا يعني أنها غير موجودة في الفكر الفلسفي في العصور السابقة؛ فهي عند الفلاسفة القدماء هي المعنى الكلي المجرد الدال على ما تقوم به ماهية الإنسان، أي هي الصورة التجريدية التي ينتزعاها الفكر من أفراد النوع الإنساني.

وعند أبي حيان: الإنسانية أفق، والإنسان متحرك إلى أفقه بالطبع، ودائر على مركزه، إلا أنه مرموق بطبيعته، ملحوظ بأخلاق بهيميته. فهو يرى أن الإنسانية قيمة مثالية يتجه الإنسان إلى التحقق بها؛ ليكون إنساناً، ولكن الغرائز الحيوانية تشدّه عن هذه القيمة.

٨- وفي الفلسفة الحديثة تطلق لفظة الإنسانية على المعنى الكلي الدال على جميع الخصائص المشتركة بين جميع الناس، كالحياة، والحيوانية، والنطق ونحوها.

وتطلق على مجموع خصائص الجنس البشري المقومة لفصله النوعي الذي يميزه من الأنواع القريبة.

وتطلق على مجموع أفراد النوع الإنساني.

٩- هناك ألفاظ تبدو مرادفة للإنسانية وفق تصورات الآخذ بها، مثل: الإنسية، والجانوية، والشخصانية، وغيرها.

ثانياً: مفهوم النزعة الإنسانية

١- يمكن أن يقال: إن النزعة الإنسانية مصطلح فضفاض جداً، ومحدود جداً على نحو يتلاءم مع مؤرخ الفكر.

٢- أو يقال: إنها ليست نظاماً، ولا مذهباً فلسفياً محددًا، وإنما هي حوار بين جهات متعددة؛ فهي أشبه بعباءة تطوي تحتها كل من كانت له نظرة إلى العالم لا هي لاهوتية ولا عقلانية.

٣- قامت النزعة الإنسانية في أوروبا في القرن الرابع عشر حتى السادس عشر ضد نمط الحياة الفكرية، والاجتماعية الذي رسخته الكنيسة في أوروبا خلال العصور الوسطى؛ فهي - إذاً - قامت ردة فعل للطغيان الكنسي.

ثالثاً: الملامح الأساسية للنزعة الإنسانية

يمكن تحديد الملامح الأساسية للنزعة الإنسانية من خلال ما يلي:

١- أنها تختلف عن النظرة اللاهوتية للإنسان التي ترى أن الإنسان جزء من الإله، وعن النظرة العقلية التي ترى أن الإنسان جزء من الطبيعة.

٢- أنها تركز في محورها على الإنسان، ويقصد بذلك: الخبرة الإنسانية.

٣- هي لا ترفض الاعتقاد الديني، ولا النظرة العلمية، وإنما ترى أنهما مثل غيرهما من نتاج العقل الإنساني.

٤- القناعة بأن الإنسان في ذاته له قيمة، واحترام، ويتمكن من خلالهما العقل من الإنتاج.

٥- إعطاء الأفكار الأهمية القصوى، ولا تستطيع أن تفهمها بعيداً عن البيئة الاجتماعية التي نشأت فيها.

٦- ترى أن ثمة علاقة بين الأفكار والمصالح.

٧- الإشادة بالعقل ، ورد المعرفة إليه.

٨- تمجيد الطبيعة إلى درجة العبادة.

رابعاً: مستويات الإنسانية

١- معتدلة: وهي التي ترى أن الإنسان سيد قراره.

٢- متطرفة: وهي التي ترى أن الإنسان هو الذي أوجد الدين والإله.

خامساً: شروط تحقق النزعة الإنسانية

لتحقيق النزعة الإنسانية عند أهلها شرطان:

١- التعليم: وذلك بإيقاظ إمكانات الحياة الإنسانية، واكتشاف القدرات

الكامنة في الإنسان، وتطويرها؛ كي يحقق الإنسان ذاته.

٢- الحرية الفردية: فلا يكون إنساناً إلا بما يملك من حرية.

وهذان الشرطان - عندهم - يرتقيان بالوضع البشري إلى أعلى درجاته.

سادساً: نطاق الحركة الإنسانية

هم كل من جمعت بينهم الكراهية لفنون العصر الوسيط وآدابه، وفلسفته؛

فهؤلاء هم دعاة الحركة الإنسانية؛ فنظرتهم للعالم ليست دينية أساساً، ولا

عقلانية في المقام الأول، وليس لديهم نظرة واضحة للكون؛ لذا كان الفن عندهم

مغرقاً في الوثنية، مفراطاً في الإنسانية؛ فهم نبذوا سلطة الدين، ولكنهم بحثوا عن

أخرى بديلة.

سابعاً: معالم عامة عن الإنسانية

فيما يلي ذكر لبعض معالم الإنسانية، ولبعض ما قد سبقت الإشارة إليه:

١- يمكن أن تكون الإنسانية دعوة رجل دين يريد أن يركز على الفردية، دون أن يلتزم بدين معين.

٢- الإنسانية تطلق على أي فيلسوف يرى أن الإنسان أسمى من الحيوان ودون الإله.

٣- الإنسانية وسط بين اللاهوتي والعقلاني.

٤- الصورة التي يمكن أن ننسبها إلى الإنسانية في هذا العصر هي ما يسمى بالاسكولارز: أي طالب البحث، أو طالب العلم. يعني أن الإنسانيين حقاً هم طلاب علم.

٥- كان دعاة الإنسانية يركزون على الأحاجي الصعبة، وكانوا متكبرين على من لا يعرف اللغات القديمة.

٦- لم يكن من بين دعاة الإنسانية عباقرة، وليس لديهم نظرة نقدية.

٧- رفضوا الطباعة؛ لأن فيها نوعاً من الابتذال للعلم - كما يزعمون -.

٨- الفكرة الأساسية للديمقراطية نجدها عند الإنسانية، وهي أن التقدم لأي

شيء مفتوح ما دام الإنسان يملك القدرة على الابتكار والجرأة على التفكير.

ثامناً: المآخذ على الإنسانية

هناك مآخذ عديدة على النزعة الإنسانية وأبرزها ما يلي:

١- تضخيم جانب المادة على جانب الروح؛ فلئن كانت الكنيسة قد ضخمت

جانب الروح على جانب الجسم؛ فإن الإنسانية عكست ذلك.

ولئن كانت الكنيسة حصرت العقل البشري في الإيمان بالله، والمعرفة اللاهوتية

على حساب التفكير في الطبيعة فإن العلم في العصر الحديث حُصر في المعرفة المادية، والمنهج التجريبي، واستُبعدت فيه المعرفة الدينية الإيمانية.

٢- شططها المضاد للدين: وأعظم ذلك هو تناولها على الذات الإلهية، وتصورها الاستغناء عن مدد الرب وتوجيهه، ومن ثم تأليه الإنسانية، ومنحها كل حقوق الإله.

ولهذا شعر الأوربيون منذ القرن التاسع عشر أن مسيرتهم النهضوية التي قامت لتحرير إنسانية الإنسان قد أخطأت غايتها؛ فحاولوا تسديدها من خلال فلسفات ذات نزعة روحية تنكسية مثل ما فعل أوجست كونت في القرن التاسع عشر وهو رائد الفلسفة الوضعية؛ حيث عاد في آخر عمره لاستحداث دين سماه (دين الإنسانية).

الليبرالية

أولاً: مفهوم الليبرالية^(١)

يصعب تحديد تعريف دقيق لليبرالية، وذلك لأسباب منها:

- ١- تعدد جوانبها.
- ٢- اختلاف النظرة إليها.
- ٣- تغيرها من مفكر إلى مفكر.
- ٤- تطورها من جيل إلى جيل.

وهذا ما أشار إليه كثير من الباحثين في الليبرالية.

ومهما يك من شيء فإن الجوهر الأساسي لليبرالية هو الحرية؛ فالليبرالية تعدها المبدأ، والمنتهى، والباعث والهدف، والأصل والنتيجة في حياة الإنسان.

أما التعريف الدقيق لمفهوم الليبرالية فيختلف بحسب المجال؛ فهناك الليبرالية السياسية، وهناك ليبرالية الأخلاقية، وليبرالية الاقتصاد، وهكذا...

ثانياً: نشأة الليبرالية

نشأت الليبرالية في ظل التغيرات الاجتماعية التي عصفت بأوروبا منذ القرن السادس عشر الميلادي حالها كحال كثير من الأفكار والنزعات التي قامت ردة فعل للطغيان الكنسي، والإقطاع في العصور الوسطى، مما أدى إلى انتفاضة الشعوب، ومناداتها بالحرية، فتجلى ذلك إبان الثورة الفرنسية.

ولم تنضج الليبرالية بصفاتها نظرية على يد مفكر واحد، بل تعاورها عدد من المفكرين حتى ظهرت بصورتها المميزة.

١ - إذا أردت التفصيل في هذا الموضوع فارجع إلى الكتب التي تكلمت عليه بتوسع، وعلى رأسها كتاب: (الليبرالية: نشأتها ومجالاتها) د. عبدالرحيم بن صمايل السلمي.

ثالثاً: مراحل الليبرالية

- ١- مرحلة التكوين: ومفهومها الأساس هو الإنسان عموماً.
- ٢- مرحلة الاكتمال: ومفهومها الأساس هو الفرد العاقل المالك لحياته، وبدنه، وذهنه.
- ٣- مرحلة الاستقلال: ومفهومها هو المبادرة الخلاقة مع المحافظة على الحقوق المعروفة، والاعتماد على التطور البطيء.
- ٤- مرحلة التقوقع: ومفهومها هو المغايرة، والاعتراض، وترك المسيرة للآراء الغالبة؛ لأن الخلاف والاعتراض يبعد عن التقليد، ويولد الإبداع.

رابعاً: تطور الليبرالية

أخذت الليبرالية أطوار متعددة بحسب الزمان والمكان، ويمكن إجمال في طورين مهمين: الكلاسيكية، والمعاصرة.

١- الليبرالية الكلاسيكية: وهي التي تتعلق بالسياسة، وأبرز فلاسفتها جون لوك ١٧٠٤م، وتنطلق من فكرة العقد الاجتماعي في تصوره لوجود الدولة، وقد تميز لوك عن غيره من فلاسفة العقد الاجتماعي بأن السلطة أو الحكومة مقيدة بقبول الأفراد لها.

وقد تكونت الديمقراطية الرأسمالية من خلال هذه الليبرالية؛ فهي روح المذهبين، وأساس تكوينها، وهي مستوحاة من شعار الثورة الفرنسية (دعه يعمل) وذلك في الحرية الاقتصادية، و (دعه يمر) وذلك في الحرية السياسية.

٢- الليبرالية المعاصرة: فقد تعرضت الليبرالية في القرن العشرين لتغير ذي دلالة

في توكيدها، والليبراليون اليوم يجذبون العمل المنظم النشط من قبل الحكومة للاقتصاد من أجل المنفعة العامة؛ لإعداد ضمان اقتصادي، وتكوين برامج تتضمن التأمين ضد البطالة، والتأمين الصحي، ومعاشات كبار السن ونحو ذلك.

ويؤمن الليبراليون المعاصرون بإعطاء الأهمية الأولى لحرية الفرد غير أنهم يتمسكون بأن على الحكومة أن تزيل العقبات التي تحول دون تلك الحرية.

ولعل أبرز معالم التمايز بين الليبراليين السابقين: هو مدى تدخل الدولة في تنظيم الحريات؛ ففي الكلاسيكية لا تتدخل الدولة في الحريات، بل تحميها؛ ليحقق الفرد حريته، دون وصاية عليه.

أما المعاصرة فتريد تدخل الدولة لتنظيم الحريات، وإزالة العقبات التي تكون سبباً في عدم التمتع بتلك الحريات.

خامساً: الأسس الفكرية لليبرالية

تقوم الليبرالية على أسس فكرية مشتركة بين سائر الاتجاهات والتيارات، وهي:

١- الحرية. ٢- الفردية: وتعني استقلال الفرد، ولها مفهومان: الأول: حب الذات والأنانية، وهذا مفهوم تقليدي.

والمفهوم الثاني: استقلال الفرد من خلال العمل المتواصل، وهذا اتجاه حديث.

سادساً: اتجاهات الليبرالية

يكمن إجمالها بالكلاسيكية، والفلسفية، والفكرية، والاجتماعية، والبراجماتية، والجديدة.

سابعاً: مجالات الليبرالية

تتعدد مجالات الليبرالية بحسن النشاط الإنساني، ذلك أن الليبرالية مفهوم شمولي يتعلق بإرادة الإنسان وحرته في تحقيق هذه الإرادة.

وأبرز مجالات الليبرالية هي المجال السياسي، والمجال الاقتصادي.

١- الليبرالية السياسية: وهي التي تعارض السياسات التي تحد من الحرية

الفردية، وتسعى إلى المطالبة في حق الإنسان في التعبير، وتكافؤ الفرص.

ولذلك فإنها تطالب الدول الديمقراطية بمزيد من الحريات.

ولذلك فإن الليبراليين الكلاسيكيين اختلفوا مع الديمقراطيين في مَنْ عليه حق

التشريع؛ فالديمقراطيون يرون أن الأكثرية هي التي تقرر ذلك على حين أن

الليبراليين يقولون بالاهتمام بحماية الفرد من الأذى، وأن هذا هو مهمة القانون

بدل التشديد على الآخرين بسبب الأكثرية.

ولقد حدد منظرو الليبرالية الجديدة دور الدولة الذي يجب أن تقوم به بعدة

أمور أبرزها: العمل ضد التضخم والانكماش، وتكافؤ الفرص، وأن تتحمل

الدولة كافة الخدمات.

٢- الليبرالية الاقتصادية: وهي التي ترى أن الدولة لا ينبغي لها أن تتولى

وظائف صناعية ولا تجارية، وأنها لا يحق لها التدخل في العلاقات الاقتصادية.

ثامناً: أبرز تطورات الليبرالية

أبرز ما في ذلك ليبرالية العولمة، ومن دلالاتها الفكرية: العودة إلى الليبرالية

الكلاسيكية كمفهوم.

تاسعاً: عوامل ظهور الليبرالية في العالم الإسلامي

١- الانحراف العقدي كما هو عند الفرق الباطنية، والإرجاء وآثاره، والتصوف وآثاره.

٢- الاستبداد السياسي.

٣- الجمود والتقليد، وما يتبع ذلك من تعصب، وبعد عن التجديد.

٤- القوى الاستعمارية وما تقوم به من إلغاء للحكم، وقضاء على التعليم الإسلامي، وإيراز للطوائف المنحرفة.

عاشراً: خلاصة الحديث عن الليبرالية

الليبرالية لها مفهومات متعددة بحسب ما تضاف إليه، ويجمعها الاهتمام المفرط بالحرية، وتحقيق الفرد لذاته، واعتبار الحرية هدفاً وغاية في ذاتها؛ فالليبرالية هي نظرية الحرية، وهي نظرية ذات أطياف متعددة، وجوانب مختلفة، ومقادير متفاوتة.

ولكن المفهوم الفلسفي لها هي الحرية المطلقة التي لا تحدها الحدود، ولا تقف أمامها السدود إلا ما كان فيها تجاوز لحرية الآخرين على قاعدة (تنتهي حريتك حيث تبدأ حرية الآخرين).

البراجماتية

(مدخل)^(١)

- ١- البراجماتية تعني الذرائعية، أو الوسائلية.
 - ٢- هي تعبر عن الحياة الأمريكية بأوسع صورها، مما حدا ببعض الباحثين أن يقول: أنها فلسفة أمريكية.
 - ٣- البراجماتية ظهرت في أمريكا، وتطورت في إنجلترا.
 - ٤- أشهر دعاةها وليم جيمس (١٨٤٢م - ١٩١٠م) الأمريكي الذي يعد مؤسسها الحقيقي، وشللر الإنجليزي (١٨٦٤ - ١٩٣٧م)، وجون ديوي (١٨٥٩-١٩٥٢م) الأمريكي.
 - ٥- البراجماتية تدور حول الإجابة عن السؤال المطروح: متى تكون الأفكار صادقة مهمة، وتوجب عليه بأن أهمية الفكرة وصدقها بحسب منفعتها.
 - ٦- قامت البراجماتية لأسباب، وكان لها مزايا، وعليه اعتراضات. فهذا مجمل الحديث عن البراجماتية، وفيما يلي بيان لذلك بشيء من البسط.
- أولاً: مفهوم البراجماتية**
- يقال: البراجماتية، أو الذرائعية، أو الوسائلية.
- وهي في الأساس اتجاه يتعلق بنظرية المعرفة التي ظلت متأثرة بالجواب عن

١ - هذا الملخص عن البراجماتية مستقى من:

- كتاب الفلسفة المعاصرة في أوربال. بوشنسكي، ترجمة د.عزت قرني.

- كتاب: الفلسفة المعاصرة د. محمد مهران رشوان.

السؤال التالي: متى تكون الأفكار صادقة؟

والإجابة عن ذلك تختلف باختلاف الاتجاهات:

١- فهناك اتجاه مثالي ألماني يقول: تكون الأفكار صادقة إذا كانت متلائمة مع العقل الإنساني.

٢- وهناك اتجاه تجريبي يقول: إذا كانت متلائمة مع قوانين التجربة العلمية.

٣- وهناك اتجاه جديد: يرى أن صدق الفكرة والمعرفة بحسب منفعتها.

وهذا الأخير هو الاتجاه البراجماتي؛ فالبراجماتية - إذاً - تنحصر في إرجاع الحقيقة إلى المنفعة؛ فهي تنكر أن تكون المعرفة نظرية خالصة.

ولكل واحد من البراجماتيين نحو يختص به في عرض هذه المبادئ؛ فهم على درجات، فالتيار الأكثر تشدداً يعلن أن القضية الصحيحة هي التي تؤدي إلى نجاح فردي، على حين أن التيار الأكثر اعتدالاً يرى أن الحقيقي هو ما يمكن التحقق من صدقه بوسيلة الوقائع الموضوعية.

غير أن القاسم المشترك بينهم هو أن قيمة الأفكار بحسب منفعتها، فهم يرون أن الأفكار تشبه قيمة صرف النقود؛ فكل براجماتي يرى أن المنفعة والقيمة والنجاح هي المعيار الوحيد للحقيقة، وهي - أيضاً - بصفة عامة جوهر الحقيقة.

أما ما يختلف بشأنه البراجماتيون فيما بينهم فهو شروط هذه المنفعة.

فعندما يقال - على سبيل المثال -: إن حقوق الإنسان فكرة فما قيمتها؟ فإن

الجواب عن ذلك يختلف باختلاف الاتجاهات:

فالالاتجاه المثالي يقيسها بالمقياس العقلي، والاتجاه التجريبي يقيسها بالتجربة،

والالاتجاه البراجماتي بالمنفعة، وهلم جراً.

وهكذا الحال يطبق على الدين ، أو على أي فكرة .
 المهم عند البراجماتيين أن هذه الأفكار تعد وسيلة لتحقيق منفعة؛ فمعيار الحكم
 عندهم على صدق الفكرة أو كذبها بحسب المنفعة.
 فهذا هو مفهوم البراجماتية عند دعائها ، ومنظرها على وجه العموم .

ثانياً: ظهور البراجماتية

ظهرت البراجماتية أول ما ظهرت في أمريكا؛ فالبراجماتية -في الأصل- انعكاس
 للحياة الأمريكية بما تنطوي عليه من شهوة الامتلاك ، والإمعان في الحياة المادية ،
 وإعلاء قيمة الفرد ومصالحه في أقصى درجاته؛ فهي تعبر عن النظام الرأسمالي
 الأمريكي ، حتى قيل : إن البراجماتية خاصة بأمريكا .
 وبعد ذلك انتقلت إلى إنجلترا ، وتطورت على أيدي بعض دعائها ومنظرها
 -كما سيأتي- .

ثالثاً: أبرز مؤسسيها وممثلها

١- تشارلز بيرس (١٨٣٩م-١٩١٤م) : الفيلسوف المنطقي الأمريكي فهو أول
 من أعلن عن آراء براجماتية؛ حيث قال : كيف يمكن أن نجعل أفكارنا واضحة؟
 ثم يجيب بلا تردد: أن تترتب عليها منفعة .

فهو - إذاً- أول من دعا إلى البراجماتية ، غير أن المذهب البراجماتي لم يظهر في
 صورته الواضحة على يديه ، وإنما ظهر على من جاء بعده وهو :

٢- وليم جيمس (١٨٤٢-١٩١٠م) : عالم النفس الأمريكي الذي يعد مؤسس
 هذه المدرسة ، وممثلها الأساسي؛ فقد كان عالم نفس مميز ، وذا طبع متدين ، كما
 كان كاتباً لامعاً .

وكان مبدأ فلسفته هو ردُّ فعلٍ للمثالية التي قدمها كل من برادلي، والأمريكي رويس.

وكان جيمس لا يقصد بالمنفعة إشباع الحاجات المادية للفرد، بل كان يقصد مع ذلك كل ما يسهم في تألق الإنسان والمجتمع.

ومن هذه الواجهة يرى أن عقائد الدين صحيحة تماماً، ويرى أن الحكم على الدين لا بشيء إلا بنتائجه.

٣- فردناند شلر (١٨٦٤-١٩٣٧): فهو الممثل الرئيسي للبراجماتية الإنجليزية التي ظهرت متأثرة بـ جيمس من جهة، وعلم النفس الجديد المعارض للمذهب الترابطي من جهة أخرى.

وأول ظهور للبراجماتية الإنجليزية كان في كتاب اشترك في تأليفه ثمانية من شباب الفلاسفة تحت عنوان: (المثالية الشخصية) ظهر عام ١٩٠٢م، وكان من بينهم شلر.

ولم يبدأ شلر في الإعلان عن براجماتيته بالمعنى الكامل إلا بعد عام ١٩٠٣م، وكان يسميها بـ: (النزعة الإنسانية)

وقد اهتم شلر بالمنطق، ويرى أنه لا توجد حقيقة مطلقة، إنما يرى أن كل حقيقة فهي إنسانية.

ولا يقول على الدقة: إن كل قضية نافعة حقيقية، وإنما يقول: إن الحقيقة لا بد أن تكون نافعة، وأن كل قضية تمثل قيمة.

ولم يجد شلر صدى كبيراً لمذهبه في أجواء الفلسفة الإنجليزية، وعدَّوه سوفسطائياً بارعاً، ولم يكمل أحد مذهبه بعد موته، ولكن كتاباته استمرت في

إحداث تأثير كبير.

ويمكن القول: إن جزءاً من الأفكار التي انتشرت في منتصف القرن العشرين إنما تعود إلى فلسفة شلر.

٤- جون ديوي (١٨٥٩-١٩٥٢م): الذي اكتسبت البراجماتية الأمريكية على يديه طابعاً خاصاً؛ حيث جمع بين المادية العلمية، وآراء وليم جيمس. وقد اتجه ناحية العلوم الطبيعية، وأخذ بالمذهب السلوكي، وانتهى إلى أنه لا توجد معرفة حقيقية خارج المعرفة التي ينتجها منهج العلوم الطبيعية. وقد ذاعت شهرته باعتباره مفكراً تربوياً، وأثرت فلسفته تأثيراً عظيماً على الولايات المتحدة الأمريكية.

فهؤلاء هم أشهر منظري البراجماتية.

وهناك شخصيات أخرى مثل المفكر الفرنسي جاستن باشلار، وفردنان جونست الذي يرى أن كل معرفة إنسانية هي معرفة جدلية، ويعني بذلك أنها ينبغي أن تكتفي بفلسفات وقواعد مؤقتة تقوم على أساس الوعي الجماعي الحي للباحثين في عصرٍ ما؛ فلا يوجد هناك معيار مطلق للحقيقة.

وينتج عن هذا أنه لا ينبغي أن نقبل بصحة قضايا أو قواعد أو نظريات إلا إذا كانت نافعة لحركة العلم.

وعلى كل حال فإن جونست يُعدُّ الممثل الرئيس للمدرسة الجدلية ذات العلاقة مع البراجماتية؛ فالجدلية ترى أنه لا يوجد منطق مطلق، وإنما توجد نظم منطقية مختلفة، وعلينا أن نقبلها أو نرفضها بحسب مدى نفعها.

والجدليون لا يقبلون اللوم الموجه إليهم بأن موقفهم موقف نسبي، بل

يصرحون بأنهم لا يقولون: إن الحقيقة نسبية فحسب، وإنما يقولون: إنه لا ينبغي أن نقبل أن يكون لأي شيء قيمة مطلقة.

رابعاً: مزايا البراجماتية

يرى بعض الباحثين أن للبراجماتية مزايا، ومنها:

- ١- نظرتها الواقعية؛ حيث أدركت أن الحقيقة التي يمكن بلوغها ليست أكثر من حقائق إنسانية يجوز عليها الخطأ والتغير.
- ٢- أدركت أن كل فلسفة هي موقف من أجل العمل، لا أفكاراً أكاديمية خاصة عاجزة.

- ٣- أنها تجعل الناس عمليين في نظرتهم لأمر، نشيطين من أجل الخير، عازمين على تغيير الأشياء لا على تحملها؛ فهي تساعد على العيش بقوة وتفاؤل.
- ٤- أنها تقف إلى جانب التحقيق الممكن للمثل العليا.

خامساً: أسباب قيام البراجماتية في أمريكا

هناك أسباب أدت إلى قيام البراجماتية في أمريكا، وعدّها فلسفة أمريكية، ومن أبرزها ما يلي:

- ١- حجم مساحة أمريكا الهائل.
- ٢- تنوع الأصول والحضارات القديمة التي اجتمعت في أمريكا، وانصهرت في بوتقتها.
- ٣- نظام الحكم في أمريكا؛ فهو يفتقر إلى النسبية المركزية، فهناك حكومات فيدرالية، بمعنى أن كل ولاية لها حكومة خاصة، وهي تتنافس على أخذ الأموال والضرائب.

ثم إن نظام القضاء يختلف من ولاية إلى ولاية؛ فهذا مما أدى إلى التنوع.

٤- طبيعة المجتمع الأمريكي: الميل إلى السرعة، والحركة، والتغيير؛ فالأمريكي بطبيعته وثقافته يمتلك السرعة في اتخاذ القرار، والسرعة في تغير المواقف والآراء، والأصدقاء، والانتقال من مكان إلى مكان.

٥- التعدد والثراء في المدنية الأمريكية: كتعدد المهن، واللهجات، والألوان، والأعراف، والطبقات، والمعايير الأخلاقية، والمدارس الفكرية.

فهذه العوامل أدت إلى قيام البراجماتية في أمريكا.

وبناءً على ذلك يمكن أن يقال: إن البراجماتية فلسفة أمريكية؛ ذلك أن آراء الفلاسفة البراجماتيين سواء في نظرية الصدق، أو آرائهم عن العالم، أو غير ذلك إنما جاءت متأثرة بالبيئة الأمريكية، وبالتالي وُصفت بأنها فلسفة أمريكية، وإن كان الفلاسفة البراجماتيون الأمريكيون لا يرضون بذلك؛ كيلا يوصموا بضيق الأفق والخصوصية.

سادساً: نقد المذهب البراجماتي

وَجَّهَ للبراجماتية انتقاداتٌ عديدةٌ، أبرزها ما يلي:

١- البراجماتية لا تقدم منهجاً إيجابياً على الحقيقة؛ إذ هي منهج لاكتشاف الأفكار الخاطئة، وهذا منهج سلبي لا إيجابي.

٢- الامتداد غير المشروع لفكرة المنفعة: فقد كان جيمس والبراجماتيون يفتخرون بسعة آفاقهم في تفسير المنفعة.

والحق أن هذه الروح الفضفاضة تبلغ حداً يؤدي إلى القضاء على كل معنى لكلمة النافع، وذلك عندما يفرضون الحقيقة عن طريق المنفعة؛ فالنافع عندهم هو

ما يفي بحاجة حيوية.

وهذا فهم قاصر ناقص؛ فهناك حاجات أخرى ترمي إلى حفظ الحياة، والعمل على استمرارها كالحاجة إلى الحب، وإلى إسعاد المرء من يحب، وكالحاجة إلى الإيمان، ونحو ذلك من الأمور التي هي قوام الحياة.

٣- لا شك أن الحقيقي نافع على نحو ما، لا على كل حال؛ إذ إن القول بأن الحقيقي نافع بإطلاق لا يستتبع القول بأن المنفعة هي أساس لتعريف الحقيقة؛ فالحقيقي نافع؛ لأنه حقيقي قبل اعتبار المنفعة.

مثال ذلك: الحالة الفعلية لمريض يقول لطيبه لا تقل سوى ما أحتاج إلى تصديقه، أو ما أرغب في ذلك.

فهل ينفع المريض إذا قال له الطيب: إنك سليم؟

لا شك أن ذلك خلل، وأن جيمس وسائر البراجماتية الذين يقولون بذلك - يلعبون لعبة خاسرة مع الحقيقة؛ لأن معنى ذلك - على مذهبهم - فتح الباب لأيّ خيالٍ لذيذ؛ وإلا فماذا ينفع المريض إذا قيل له: إنك معافى؟ وماذا ينفع البليد إذا قيل له: إنك ذكي؟ وماذا ينفع المخفق إذا قيل له: إنك ناجح؟.

٤- أن تعميم الأفكار البراجماتية على أساس ما تؤدي إليه من نتائج خطأ فادح: فلو كان شخص يعتقد أن الحل لمشكلاته الاقتصادية هو السطو على أحد البنوك لكانت الفكرة صحيحة في نظر البراجماتيين غير أنهم يصرون على أن المرء لا بد أن يضع في حسبانته الآثار البعيدة.

وهنا يقال: لا نستطيع معرفة النتائج العملية لهذه الفكرة ما دامت النتائج البعيدة تستمر إلى غير ما حد.

- ٥- أن تطبيق البراجماتية على الحقيقة في مجال العلم ينسف حقائق العلم؛ لأن العلم وقضاياها حقيقة؛ لأنها مفيدة فحسب في نظر البراجماتيين.
- ولا ريب أن العلم وقضاياها حقائق حقيقية بغض النظر عن منفعتها من عدمها.
- ٦- أن تطبيق المسلك البراجماتي على المعتقدات الدينية كارثة؛ ذلك أن التسليم لحقائق الدين مجرد أنها حقائق لا لأنها نافعة.
- أما البراجماتية فتراها أنها حقيقة؛ لأنها نافعة، ولو لم تكن نافعة لما كانت حقيقة.
- ولو سلمنا بقول البراجماتيين لتساوت بذلك: النحل، والمعتقدات الباطلة مع الديانات السماوية الحقّة.
- ٧- البراجماتية تركز على الفرد فحسب: وهذه الفردية يرتبط بها من الفوضى والغموض ما يجعل الأفراد عاجزين عن تحمل النظام والمهام الاجتماعية.
- ٨- البراجماتية قد تلاءم من يتمتعون بروح طموحة تسعى إلى السيطرة.
- أما بالنسبة لمن يتمسكون بالمثل العليا، والقيم الدينية فلا تلاءمهم؛ إذ تبدو لهم ضيقة الأفق محدودة النظر، مخيبة للآمال.

العولمة

أولاً: مفهوم العولمة^(١)

١- أصلها: كلمة (عولمة) لفظٌ جديدٌ، وكلمة محدثة لم تدخل بعد قوائم المفردات في القواميس السياسية والاقتصادية.

ومع هذا فهي منسوبة إلى العالم -أي الكون، أو العلم-.
والأقرب أنها جاءت توليداً لكلمة عالم، وافترض لها د. عبدالصبور شاهين عضو مجمع اللغة العربية اشتقاقاً بطريقة التوليد القياسي، فقال عولم يعولم عولمة، والمصدر الصناعي لها: عولمية.

٢- مفهومها الاصطلاحي: العولمة توصف بأنها شيءٌ، أو نظامٌ جديد يراد به توجيه العالم في إطار جديد واحد.

ومن هنا أطلق عليه بعضهم: النظام العالمي الجديد.
وهي تشمل السياسة، والاقتصاد، والثقافة، والاجتماع، والتربية، والأعراف، وغير ذلك.

بل إنها تتجاوز ذلك إلى الحدود السياسية، والجغرافية بين الدول.
ولهذا يمكن أن تعرف بأنها: نظام عالمي يقوم على العقل الإلكتروني، والثورة

١ - انظر مقالاً للدكتور عبدالصبور شاهين في كتاب مجلة المعرفة ص ٣٣ (نحن والعولمة من يربي الآخر) وانظر العولمة وخصائص دار الإسلام ودار الكفر د. عابد السفيناني ص ١٧-١٨.
وكتاب فسخ العولمة -الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية- ل: هانس بيتر مارتين وهارالد شومان ترجمة د. عدنان عباس علي، مراجعة وتقديم أ.د. رمزي زكي ص ٧-٨.

المعلوماتية القائمة على المعلومات، والإبداع التقني دون اعتبار للأنظمة والحضارات، والثقافات، والقيم، والحدود الجغرافية، والسياسية القائمة في العالم^(١).
 ويعبارة أخرى يقال: العولمة تعني إزالة الحواجز، ونفي الخصوصية، والتركيز على المشترك العام، والنظر إلى العالم على أنه قرية واحدة.
 والعولمة الاقتصادية تعني إلغاء الجمارك، والسعي للقضاء على الكيانات الصغيرة.

٣- بداية ظهور العولمة: الحديث عن العولمة بدأ في مطلع التسعينات من القرن العشرين الميلادي بعد تفكك الاتحاد السوفيتي؛ حيث كان هناك تنافر وتناقض قبل ذلك بين أمريكا ودول أوروبا من جهة، وبين الاتحاد السوفيتي ومن معه من دول العالم من جهة؛ فالفريق الأول يرى الديمقراطية، والفريق الثاني يرى الاستبداد.
 وكانت الحرب الباردة هي شعار تلك الرحلة.

وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي انتهت مرحلة الحرب الباردة؛ فبدأ الغرب بالبحث عن عدو جديد؛ إذ رأوا أن المرحلة مرحلة صدام بين الحضارات، وأن الصراع سيكون حضارياً، ودينياً، وثقافياً، وأن العسكري لا وجود له؛ فنشأ ما يسمى بالعولمة، أو النظام العالمي الجديد.

ثانياً: أثر العولمة على الدين^(٢)

الكلام على أثر العولمة على الدين يتلخص فيما يلي:

١- انظر الإسلام وعولمة الرأسمالية د. عبدالحفيظ محبوب ص ٩-١٠.

٢- مستفاد من محاضرات أ.د. أحمد جاد لطلاب الدراسات العليا في جامعة القصيم كلية الشريعة قسم العقيدة.

- ١- من خلال الحديث عن موازين القوى رأوا أن الصراع سيكون بين الإسلام والصين من جهة والغرب من جهة.
- ٢- انتشرت فكرة ما يسمى: نهاية التاريخ عند فوكوياما، وتتمثل في أن الاتحاد السوفيتي انهيار، وأن قطار التقدم وصل إلى مرحلته الأخيرة؛ فمن أراد ذلك فعليه أن يأخذ مكانه في الحضارة الأمريكية.
- ٣- كثر الحديث عن الخطر الذي سيمثله الإسلام، وأن خطر الإسلاميين يذكرهم بالجيش العثماني الذي يقف أمام بوابات فينا.
- ٤- كثر الحديث عن الجماعات الإسلامية، ووصفهم بالأصولية التي لها دلالات على المتشددین الذين يرفضون التطور، والتكنولوجيا.
- ٥- جاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر فأحدثت زلزالاً في ميدان القوى في أمريكا وأوروبا؛ حيث بدأت الأزمة الكبرى في العلاقات، والحديث عن الدور الذي يمكن أن يقوم به الدين في الثقافة المعاصرة، أو الصراع المعاصر.
- ٦- عند العودة إلى الوراء سنجد أن ما حدث هو رفض غربي لوجهة نظر المسيحية للكون، أي أن العقلانية الغربية أبعدت المقدس الديني؛ ليحل محله العقلاني من دون أن يبعد المقدس الديني تماماً، وقد تمثلت فيما يسمى بالمدنية العلمانية التي تُعَلِّمُ الدين.
- ٧- جاءت التأثيرات الحداثية من جهة أن الكراسي العلمية التي تعني بدراسة المسيحية ستتحول إلى أقسام للدراسات الدينية أي التي تدرس الأديان على نحو محايد.

وبالتالي ابتعدت عن المسيحية، وفتحت المجال لدراسة الأديان بنوع من الموضوعية.

٨- زادت النعمة حول ما يسمى بالدور الذي يمكن أن يقوم به الدين في صياغة العلاقات المعاصرة؛ أي كيف يكون الدين عاملاً مودياً وتراحماً بين الشعوب ثقافة، ولغة، وأعرافاً؟.

وكيف يمكن للإنسان أن يأخذ حقه دون تمييز ديني، أو عرقي، أو جنسي، أو ثقافي يمنع أن ينال حقه في التعبير أو الوظيفة؟.

إذاً كيف يمكن أن يأتي ما يسمى بالسلام بين أصحاب الديانات المختلفة؟
سوف يأتي الحوار بين الأديان، أو السلام بين الأديان؛ فيكون هو السبيل إلى ذلك من جهة نظر أولئك.

٩- إذاً كيف يمكن تحقيق ذلك الهدف المنشود؟

لأن الصعوبة تكمن في أن كل دين يرى أصحابه أنهم يملكون الحقيقة التامة الكاملة دون غيرهم على حد المثال الذي ذكره جلال الدين الرومي أو غيره من أن أصحاب الأديان كالعميان الذين أمسكوا فيلاً، فيزعم كل واحد منهم أنه امتلك الحقيقة أو علم الحقيقة.

والواقع أنه امتلك جزءاً من الحقيقة.

ومعنى ذلك: أ- أن الأديان نسبية، وهذا الأمر في غاية الخطورة؛ لأن هذا سيبعد الدين عن مفهومه المتعارف عليه.

ب- وأن الأديان لا بد أن يتعاون بعضها مع بعض؛ ليأخذ كل واحد ما لدى

الآخر من حق.

وهذه النزعة تتغافل تماماً عن تعريف الدين عند أهل الأديان، وعن دور الوحي في فهم الدين.

وههنا يغيب دور المقدس، فتسمى الخرافات، وسائر المذاهب كالعلمانية، والماركسية، ونظام البلد وغيرها أدياناً.

والحقيقة تشير إلى أن الإنسان - كما هو حيوان ناطق - هو حيوان متدين.

ثم إن النسبية ستكون في الأخلاق بحسب الثقافة والعادات.

١٠- ارتأى من ينادون بتلك الرؤى أن الأديان فيها ما هو جوهر أساسي، وفيها ما هو قشور، والحل في إيقاف التشاحن بين الأديان هو الأخذ بالجوهر دون القشور.

والقشور - على حد زعمهم - هي العوارض كالأنظمة الاقتصادية والسياسية والأخلاقية على حد قول شلاي ماخر.

والجوهر: هي قضية الألوهية؛ فلا بد - إذاً - من ثورة كوبرنيقية في مجال اللاهوت؛ بحيث تكون الألوهية هي المحور بدلاً من أن تكون الأديان هي المحور.

١١- كيف تحل قضية الألوهية؟

تحل بأن يستخدم المنهج المحايد، وأن ينقل من تعدد الأديان واختلافها إلى الحق ذاته.

١٢- ههنا موقفان إزاء هذا الطرح وهما:

أ- موقف الحصرية: ويعني أن أصحاب الموقف هذا يرون أن دينهم هو

الصحيح ، فيقيمون الأدلة على صحة دينهم ، وبطلان أديان ما غيرهم.
ويترتب على ذلك أن أصحاب هذا الدين هم الذين يملكون الحقيقة الكاملة ،
وأن ما عداهم يملكون الزيف.

ب- الوجهة التعددية: وتعني أن الأديان كلها حق ، وتملك نصيباً من
الحقيقة ، وهذا يعني أن الأديان نسبية.

وهذه المسألة التي تميل إلى تمييع الدين تسير إلى مجموعة من المرتكزات
كمفهوم الهوية الدينية، فكأن هناك علاقة جدلية بين الهوية الدينية ولحظة
الميلاد؛ فكأن البيئة الثقافية بمكوناتها الروحية، والاجتماعية، والثقافية هي التي
تحدد الانتماء.

١٣- في الإسلام مسألة الحنيفية، والفترة، كل مولود يولد على الفطرة؛
والفطرة تعني الإسلام، والاستعداد لقبول الهدى، وبعضهم يرى أنها التهيئة لما
هو أصلح.

١٤- الفيلسوف الألماني (كانت) في نظره التعددية التي تقوم على الشكية:
الشيء في ذاته، والشيء كما يبدو للإنسان؛ أي أن هناك - في نظره - مستويين:
أ- مستوى إدراك الشيء في ذاته.

ب- ومستوى على ما يبدو للإنسان.
ومعنى ذلك أن المعرفة كلها مشكوك فيها، وهذه هي النزعة الشكوكية في
المعرفة - اللاأدرية-.

والمقصود من ذلك: بيان كيفية انتقال نظرية (كانت) إلى الدين؟

والجواب أن أهل الأديان يركزون على المعرفة بالله، وكل دين يقدم تصوره لله؛ فكل أصحاب دين يختلفون عن غيرهم؛ فبناء على نظرية (كانت) يقال:
 أ- الله في ذاته. ب- الله كما يبدو لأصحاب الأديان.
 وهذا الإدراك متأثر بالبيئات التي يعيش فيها أتباع الأديان.
 (كانت) يرى أن الناس يعبدون الله، ويعرفونه كما بدالهم، وأنه لا يوجد دين من الأديان وصل إلى هذه الحقيقة.

١٥- خطورة آثار نظرية (كانت): هذه النظرية تؤدي إلى نتائج في غاية الخطورة، ويترتب عليها أن الحق في ذاته لم تفهمه الأديان؛ إذ إن مفهوم الدين عند أهل الأديان أن يكون من أعلى إلى أسفل، أما هنا - بحسب نظرية كانت - فالدين من أسفل إلى أعلى.

١٦- مفهوم لعبة اللغة موجودة عند الفلاسفة، وتعني أن ألفاظ اللغة متحركة، واللعب أن كل كلمة تعكس مصالح معينة، أو ثقافة معينة؛ فعندما يُحوّل مفهوم الدين إلى صنعة إنسانية يكون الخلل.

١٧- هناك كتاب اسمه (أسطورة الإله المتجسد) وهو كتاب يحتوي على مجموعة مقالات لكبار الأكاديميين في الغرب، وقد جمعه (جون هيك) وقد ذهب فيه (جون) إلى أن الإله المتجسد في المسيح أسطورة.

وقد لقي هذا الكتاب صدىً واسعاً، مع ما فيه من المغالطات، والأخطاء التي تنم عن قلة فهم للدين؛ فعندما تناول المسيحية، وأعجب بعض المسلمين كلامه عنها لم ينتبهوا إلى كتاباته الأخرى؛ فقد أعجبهم قوله: إن المسيحية ليس فيها ما

تتميز به عن الأديان.

ثم يجيب عن السؤال: لماذا لا توجد في المسيحية سياسة؟

يجيب عن ذلك - جون هيك - بقوله: إن المسيحية روحية خالصة، - أو بعبارة أخرى علمانية - ويعلل بأنها كانت مضطهدة من ملوك الرومان وغيرهم، بخلاف الإسلام؛ فهو - كما يرى - قد احتوى على السياسة ليس بسبب طبيعة الإسلام، وإنما بسبب الظروف التي نشأ فيها؛ حيث إن البيثة - العربية القرشية كانت تمتلك السياسة والسادة - كما يرى هيك -

وهذا الرجل لا يفهم الإسلام، وإنما لديه نزعة شكوكية، ويرى أن الإله تحول إلى إنسان، وأن التسامح الديني لا بد منه؛ لكي تقوم التعددية.

ولا ريب أن هذه النظرية لا تساوي شيئاً؛ فهذا التسامح الذي يقوم على التعددية شيء، والتسامح الموجود في الإسلام شيء آخر.

١٨- التسامح في الإسلام أشاد به كل من خالط المسلمين، وعاش بين ظهرائهم من اليهود والنصارى، حيث حُفظت حقوقهم، ولم يضطهدوا، بل عاشوا عيشة لم تكن في بلدانهم وفي حكم أهل ملتهم، والتاريخ حافل بذلك ناطقة به.

وما يرى من أخطاء في التعامل تحمل تبعاتها على أصحابها، والدين منها براء. فهو صالح لأن تحقق تحته رؤوس مختلفة المشارب والمذاهب.

١٩- القرآن الكريم أشار إلى كثير من مسائل التسامح، أو التعددية.

٢٠- هناك مبدأ عموم النبوة، والوحي - في الإسلام - وأن كل رسول أرسل

بلسان قومه؛ فالأساس في الإسلام يقوم على عمومية الوحي ، والنبوة.

٢١- مسألة تنوع الأديان قدر كوني إلهي واقع.

٢٢- الإسلام يقرر الحرية في اختيار الدين (لا إكراه في الدين).

٢٣- دين جميع الأنبياء واحد في الأصل ، وهو الإسلام بمعناه العام وهو

الاستسلام لله ، فالأديان الموحى بها من الله إسلام - إسلام عام - والأنبياء جميعهم أولاد لعلات.

أما الإسلام الخاص فهو شريعة القرآن التي جاء بها محمد ﷺ .

فهذه خلاصات يتبين من خلالها شيء من أثر العولة على الدين.

الفهرس

٣	مقدمة
٥	(الرسالة الأولى : العلمانية)
٩	مدخل: في مفهوم العلمانية، وأسباب قيامها
٩	أولاً: مفهوم العلمانية
١٠	ثانياً: أسباب قيام العلمانية
١٥	المبحث الأول: بداية ظهور العلمانية في بلاد الإسلام
١٥	تمهيد
١٧	المطلب الأول: ظهور كتاب (الإسلام وأصول الحكم)
٢١	المطلب الثاني: تطابقه مع كتاب: (الإسلام وسلطة الأمة)
٢٤	المطلب الثالث: المعارضة لكتاب: (الإسلام وأصول الحكم)
٢٦	المطلب الرابع: محاكمة علي عبدالرازق في الأزهر
	المبحث الثاني: إشكالات في نسبة كتاب (الإسلام وأصول
٣٢	الحكم) لمؤلفه، وقناعته به
	المبحث الثالث: إشكالات منهجية في كتاب (الإسلام
٤٨	وأصول الحكم)
٤٨	أولاً: عزوه الأحاديث النبوية إلى كتب الأدب
	ثانياً: رجوعه إلى غير المتخصصين في المسائل الشرعية في هذه
٥٠	المسألة الخطيرة

- ٥١ ثالثاً: كثرة الخلط والمغالطات
- ٥٥ رابعاً: كثرة المجازفات
- المبحث الرابع: مواجهة العلماء للعلمانية - الشيخ
٦٤ محمد الخضر حسين نموذجاً -
- ٦٤ تمهيد
- ٦٦ المطلب الأول: إثباته صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان
- ٦٦ أولاً: دراساته المستقلة في إثبات صلاحية الشريعة
- ثانياً: إجابته عن الأسئلة الواردة في مراعاة التشريع الإسلامي لظروف
٧٠ الزمان والمكان
- ٧٢ ثالثاً: إثباته أن الإسلام جاء بنظام شامل كامل للحكم
- ٧٣ رابعاً: بحثه في مسائل كثيرة في التشريع الإسلامي وصلاحيته
- ٧٦ المطلب الثاني: مواجهته للعلمانية
- ٧٦ أولاً: مواجهته لأكابر المنظرين للعلمانية، أو بعض مسائلها
- ٨٢ ثانياً: تقسيمه لدعاة العلمانية، وبيانه آثارها
- ٨٩ (الرسالة الثانية: الشيوعية)
- ٩١ المقدمة
- ٩٧ أولاً: تعريف الشيوعية
- ١٠٠ ثانياً: نبذة عن تاريخ الشيوعية - عموماً -
- ١٠٣ الفصل الأول: نشأة الشيوعية الماركسية، وأشهر شخصياتها

- ١٠٥ المبحث الأول: نشأة الشيوعية الماركسية
- ١١٦ المبحث الثاني: مؤسس الشيوعية الماركسية، وأشهر شخصياتها
أولاً: مؤسس الشيوعية الحديثة - كارل ماركس ١٨١٨ -
١١٦ - ١٨٨٣ م -
- ١٢٠ ثانياً: أشهر شخصيات الشيوعية الماركسية:
- ١٣٠ المبحث الثالث: أسباب قيام الشيوعية ومواطن انتشارها
١٣٠ أولاً: أسباب قيام الشيوعية
١٣٣ ثانياً: مواطن انتشارها
- ١٣٧ الفصل الثاني: معتقدات الشيوعية الماركسية، وأخلاقيها، وأهدافها
- ١٣٩ المبحث الأول: معتقدات الشيوعية وآراؤها
- ١٣٩ ١- الإيمان بالمادة وإنكار الغيب
- ١٤٠ ٢- التفسير المادي للتاريخ
- ١٤١ ٣- محاربة الدين
- ١٤٣ ٤- محاربة الملكية الفردية
- ١٤٤ ٥- محاربة نظام الأسرة والقول بشيوعية النساء
- ١٤٦ المبحث الثاني: أخلاق الشيوعية
- ١٤٩ المبحث الثالث: أهداف الشيوعية ووسائلها
- ١٤٩ أولاً: أهداف قيام الشيوعية
- ١٥٠ ثانياً: الوسائل التي توصل بها الشيوعيون إلى تحقيق أهدافهم

- ١٥٣ الفصل الثالث: موقف الشيوعية من الإسلام
- ١٥٥ تمهيد
- ١٥٧ المبحث الأول: طرق الشيوعيين في محاربة الإسلام
- ١٦٣ المبحث الثاني: أعمال الشيوعيين ضد المسلمين
- ١٦٥ أولاً: نكبات المسلمين ومذابجهم على أيدي الشيوعيين
- ١٧٠ ثانياً: نماذج من صور التعذيب للمسلمين
- ١٧٤ المبحث الثالث: أسباب انتشار الشيوعية في العالم الإسلامي
- ١٨١ الفصل الرابع: بطلان الشيوعية والرد على مزاعمها
- ١٨٣ المبحث الأول: آثار الشيوعية
- ١٨٣ أولاً: الشيوعية بعد التطبيق
- ١٩٢ ثانياً: الآثار المترتبة على الإلحاد
- ١٩٦ ثالثاً: سقوط الشيوعية
- المبحث الثاني: الرد على مزاعم الشيوعية، وحكم
- ١٩٩ الانتماء إليها
- ١٩٩ أولاً: الرد على مزاعم الشيوعية
- ٢٢١ ثانياً: حكم الانتماء إلى الشيوعية - فتوى المجمع الفقهي -
- ٢٢٦ خلاصة البحث
- ٢٣٠ الخاتمة
- ٢٣٥ (الرسالة الثالثة: الوجودية)

- ٢٣٧ المقدمة
- ٢٣٩ **المطلب الأول: مفهوم الوجودية ونشأتها**
- ٢٣٩ أولاً: تعريف الوجودية
- ٢٤٠ ثانياً: سبب التسمية
- ٢٤١ ثالثاً: أسماء الوجودية وأوصافها الأخرى
- ٢٤١ رابعاً: أنواع الوجودية
- ٢٤٣ **المطلب الثاني: نشأة الوجودية**
- ٢٤٨ **المطلب الثالث: أبرز الشخصيات الوجودية**
- ٢٥٣ **المطلب الرابع: أهداف الوجودية وأسباب قيامها**
- ٢٥٣ أولاً: أهداف الوجودية:
- ٢٥٤ ثانياً: الأسباب التي دعت إلى ظهور الوجودية
- ٢٥٦ **المطلب الخامس: الوجودية في بلاد الإسلام**
- ٢٦٠ **المطلب السادس: أفكار الوجودية وآراؤها**
- ٢٦٣ **المطلب السابع: بطلان الوجودية**
- ٢٧٠ **الخاتمة: حكم الوجودية والانتماء إليها**
- (الرسالة الرابعة : نبذة في الديمقراطية والإنسانية**
- ٢٧٣ **والليبرالية والبرجماتية والعولة)**
- ٢٧٥ **- الديمقراطية**
- ٢٧٥ أولاً: مفهوم الديمقراطية

- ٢٧٧ ثانياً: بين الشورى والديموقراطية
- ٢٨١ - الإنسانية
- ٢٨١ أولاً: مفهوم لفظة الإنسانية عموماً
- ٢٨٣ ثانياً: مفهوم النزعة الإنسانية
- ٢٨٣ ثالثاً: الملامح الأساسية للنزعة الإنسانية
- ٢٨٤ رابعاً: مستويات الإنسانية
- ٢٨٤ خامساً: شروط تحقق النزعة الإنسانية
- ٢٨٤ سادساً: نطاق الحركة الإنسانية
- ٢٨٤ سابعاً: معالم عامة عن الإنسانية
- ٢٨٥ ثامناً: المآخذ على الإنسانية
- ٢٨٧ - الليبرالية
- ٢٨٧ أولاً: مفهوم الليبرالية
- ٢٨٧ ثانياً: نشأة الليبرالية
- ٢٨٨ ثالثاً: مراحل الليبرالية
- ٢٨٨ رابعاً: تطور الليبرالية
- ٢٨٩ خامساً: الأسس الفكرية لليبرالية
- ٢٨٩ سادساً: اتجاهات الليبرالية
- ٢٩٠ سابعاً: مجالات الليبرالية
- ٢٩٠ ثامناً: أبرز تطورات الليبرالية

- ٢٩١ تاسعاً: عوامل ظهور الليبرالية في العالم الإسلامي
- ٢٩١ عاشراً: خلاصة الحديث عن الليبرالية
- ٢٩٢ - البراجماتية
- ٢٩٢ (مدخل)
- ٢٩٢ أولاً: مفهوم البراجماتية
- ٢٩٤ ثانياً: ظهور البراجماتية
- ٢٩٤ ثالثاً: أبرز مؤسسيها وممثلها
- ٢٩٧ رابعاً: مزايا البراجماتية
- ٢٩٧ خامساً: أسباب قيام البراجماتية في أمريكا
- ٢٩٨ سادساً: نقد المذهب البراجماتي
- ٣٠١ - العولة
- ٣٠١ أولاً: مفهوم العولة
- ٣٠٢ ثانياً: أثر العولة على الدين
- ٣١١ - الفهرس